الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف المسيلة

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم علم الاجتماع

مطبوعة بيداغوجية حول مقياس:

مدخل إلى الأنثروبولوجيا

مستوى سنة أولى ليسانس جذع مشترك علوم اجتماعية LMD

إعداد الدكتورة:

- زغلاش ليندة

السنة الجامعية: 2026/2025

- **الكلية: كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية**
- **مقياس: مدخل الى الأنثروبولوجيا**
- **السداسي: الأول**
- **وحدة التعليم: الأساسية**
- **الرصيد:05**
- **المعامل:02**
- **البريد الإلكتروني:** linda.zeghlache@univ-msila.dz

1.مفهوم علم الأنثروبولوجيا(الأنثروبولوجيا–الإثنولوجيا – الاثنوغرافيا)

2.علاقة علم الأنثروبولوجيا بالعلوم الاجتماعية :(من حيث النشأة / من حيث الموضوع / من حيث المنهج – الأنثروبولوجيا والفلسفة–وعلم النفس–والتاريخ–وعلم الاجتماع)

3.تاريخ الأنثروبولوجيا:

4.التطبيقات الأنثروبولوجيا قبل نشأة الأنثروبولوجيا:(الحضارات المائية–اليونان والرومان–الحضارة العربية الإسلامية–العصور الوسطى–أوروبا في عصر النهضة والأنوار–القرن التاسع عشر والتوسع الاستعماري)

5.نشأة الأنثروبولوجيا

6.من علم الاجتماع إلى الأنثروبولوجيا

7.الانثروبولوجيا التقليدية: الموضوع والهدف

8.التيارات الأنثروبولوجية: (التيار التطوري–التيار الانتشاري التاريخي–التيار الوظيفي–التيار الثقافي)

9.الانثربولوجيا الحديثة: الموضوع والهدف.

10.أهمية الأنثروبولوجيا في العصر الحالي.

11.النظريات الأساسية في علم الأنثروبولوجيا.

12.الدراسات الأنثروبولوجية في الجزائر قبل الاستقلال.

13.منهج البحث والتقنيات في الأنثروبولوجيا (الإثنية المنهجية – الوظيفية – البنيوية–تقنيات البحث الميداني)

14.علم الآثار (النشأة والتطور).

15.المدارس والفروع والتخصصات والعلوم المساعدة لعلم الآثار.

اسم المقياس:	مدخل الى الأنثروبولوجيا
مطبوعة موجهة الى طلبة السنة أولى لسانس جذع مشترك علوم الاجتماعية	
أهداف المقياس	- تزويد الطالب بمعارف أساسية حول الأنثروبولوجيا لتعرف على هذا العلم، بدءا من تحديد مفهومه، موضوعه، أهميته، أهدافه، وعلاقته بمصطلحات الإثنوغرافيا، الإثنولوجيا، والأركيولوجيا. - إلمام الطالب بحيثيات الأولى لنشأة التفكير الأنثروبولوجي عبر العصور (العصر اليوناني والروماني وعند الصين، العصور الوسطى، عصر النهضة الأوربية، القرن التاسع عشر، القرن العشرون). - تعريف الطالب بالأقسام الرئيسية للأنثروبولوجيا، مما يساعده على فهم فروع هذا العلم وأهدافه. - توسيع مدارك الطالب حول الأنثروبولوجيا وفق ما يتسم به من الشمولية، في إطار علاقة هذا العلم بغيره من فروع العلمية والمعرفية الأخرى. - توسيع مدارك الطالب، حول أهم المداخل النظرية في التحليل الأنثروبولوجي.

فهرس المحتويات

مقدمة 1

المحور الأول

المعنى الدلالي لعلم الأنثروبولوجيا وأهدافه، وعلاقته بمصطلحات الإثنوغرافيا، الإثنولوجيا، والأركيولوجيا

1. تعريف الأنثروبولوجيا وأهم موضوعاته: 5

2. سمات الأساسية للأنثروبولوجيا: 8

3. أهداف دراسة الأنثروبولوجيا: **9**

4. عرض المعنى الاصطلاحي لكل من الأثنولوجيا، والإثنوغرافيا، والأركيولوجيا: 10

5. العلاقة بين الأثنوغرافيا والأثنولوجيا والأنثروبولوجيا: 13

المحور الثاني

السياق التاريخي لنشأة التفكير الأنثروبولوجي (العصر اليوناني والروماني وعند الصين، العصور الوسطى، عصر النهضة الأوربية، القرن التاسع عشر، القرن العشرون)

1.الأنثروبولوجيا في العصر القديم: 18

2.الأنثروبولوجيا في العصور الوسطى: 21

3.الأنثروبولوجيا في عصر النهضة الأوروبية: 26

4.الأنثروبولوجيا في القرن التاسع عشر: 29

5.الانثروبولوجيا في القرن العشرون: 31

المحور الثالث

فروع الأنثروبولوجيا و انقساماتها

1. أقسام الأنثروبولوجيا: 35

2. فروع الأنثروبولوجيا: 38

1.2. الأنثروبولوجيا التطبيقية Anthropology Applied: 38

2.2.الأنثروبولوجيا الفيزيقية Physical Anthropology: 39

3.2.الأنثروبولوجيا الاجتماعية Social Anthropology: (من علم الاجتماع الى الأنثروبولوجيا) 41

4.2.الأنثروبولوجيا الثقافية Culture Anthropology: 46

5.2.الأنثروبولوجيا اللغوية Linguistic Anthropology: 50

6.2.الأنثروبولوجيا النفسية Psychological Anthropology: **52**

7.2.الأنثروبولوجيا التربوية Educational Anthropology: 53

8.2.الأنثروبولوجيا السياسية Political Anthropology: 55

9.2.الأنثروبولوجيا الاقتصادية Economic Anthropology: 56

10.2.الأنثروبولوجيا الحضرية Urban Anthropology: 57

11.2.الأنثروبولوجيا الاجتماعية الوظيفية Anthropology functional social: 58

المحور الرابع

علاقة الأنثروبولوجيا بمختلف الحقول المعرفية والعلمية

1.علاقة الانثروبولوجيا بالبيولوجيا (علم الأحياء): 60

2.علاقة الأنثروبولوجيا بعلم الاجتماع: 61

3.علاقة الأنثروبولوجيا بعلم النفس: 63
4.علاقة الانثروبولوجيا بالتاريخ: 68
5.علاقة الانثروبولوجيا بعلم الفلسفة: 70
6.علاقة الأنثروبولوجيا بالجيولوجيا والجغرافيا: 70

المحـــور الســـادس
الاتجاهات الكبرى في دراسة الأنثروبولوجيا

1. الاتجاه الأنثروبولوجي التطوري: 78
2. الاتجاه الأنثروبولوجي الانتشاري: 83
3. الاتجاه الأنثروبولوجي الوظيفي 90
4. الاتجاه الأنثروبولوجي البنيوي: 95

المحور السابع
الأنثروبولوجيا الحديثة: الموضوع والهدف

1. الأنثروبولوجيا الحديثة: الموضوع والهدف 99

المحـــور الثامـــن
أهمية الأنثروبولوجيا في العصر الحالي

1. أهمية الأنثروبولوجيا في العصر الحالي: 102

المحـــور التاسع
النظريات الأساسية في علم الأنثروبولوجيا

1. النسبية الثقافية (Cultural Relativism): 106
2. الاتجاه المادي الثقافي (Cultural Materialism): 107
3. اتجاه الأيكولوجي الثقافي(Cultural Ecology): 107
4. النظرية المعرفية (Cognitive Theory): 109
5. الأنثروبولوجيا الرمزية (Symbolic Anthropology) : 110

المحـــور العاشر
الدراسات الأنثروبولوجية في الجزائر قبل الاستقلال

1. العلاقة بين الانثروبولوجيا وقوى الاستعمار الغربي: 114
2. الأنثربولوجيا في الجزائر قبل الاستقلال: 115
3. الأنثروبولوجيا بعد الاستقلال الجزائر: 119

المحور الحادي عشر
منهج وتقنيات البحث الأنثروبولوجي

1. المنهج الأنثروبولوجي: 123
2.أهداف المنهج الأنثروبولوجي: 126
3. مناهج البحث الأنثروبولوجي: 126
4. الطرق الأنثروبولوجية: 135

المحـــور الثاني عشر
علم الآثار Archaeology

1. نشأة وتطور علم الآثار: 146
2. تعريف علم الآثار Archaeology : 148

3. أهداف علم الآثار: 149
4. علم الآثاروعلاقته بالأنثروبولوجيا: 150
الخاتمة 153
قائمة المراجع: 154

المعارف المسبقة المطلوبة
التكوين القاعدي في العلوم الاجتماعية.
التحكم في اللغات الأجنبية.
المعارف السابقة من الأطوار التعليمية.

جامعة محمد بوضياف المسيلة
ميدان:العلوم الاجتماعية
التخصص:علم اجتماع التربية
المستوى الدراسي:اولى ليسانس جذع مشترك علوم اجتماعية

الوحدة التعليمية:أساسية
الرصيد:05
المعامل:02
الحجم الساعي أسبوعيا: 1سا30
السداسي الأول للمحاضرة

مدخل الى الأنثروبولوجيا
جذع مشترك علوم اجتماعية

محتوى المحاضرة للمطبوعين

الفصل الأول

المعنى الدلالي لعلم الأنثروبولوجيا
3h00

01 تعريف الأنثروبولوجيا وموضوعاته
02 أهداف الأنثروبولوجيا
03 السمات الأساسية التي تميزها عن العلوم الأخرى
04 عرض المعنى الاصطلاحي للمصطلحات ذات صلة بالأنثروبولوجيا

الفصل الثاني

السياق التاريخي لنشأة الأنثروبولوجيا 4h00

العصر القديم
- عند الاغريق
- عند الرومان
- عند الصين

مثال: أرسطو

العصور الوسطى
- في: الحضارة الاوروبية
- في: المكتشفات الأوروبية

مثال: كرستوف كولومبوس

عصر النهضة الاوروبية

في القرن السادس عشر والعشرون

مثال: حضارة الاسلامية
مثال: ابن خلدون

الفصل الثالث

فروع الأنثروبولوجيا وانقسماتها
3h30

سنتطرق في القسم الأول الى: أقسام الرئيسية العامة
- في أمريكا
- في بريطانيا

سنتطرق في القسم الثاني الى: فروع الانثروبولوجيا
01 الفيزيقية
02 الثقافية تتفرع الى: علم الآثار، علم اللغويات، الإثنولوجيا
03 الاجتماعية
04 المزيوية
05 النفسية
06 التطبيقية

علاقة ارتباطية

الفصل الخامس

الاتجاهات الكبرى في دراسة الأنثروبولوجيا
4h00

- التطوري — الاتجاه — نظرية الداروينية
- الانتشاري — الاتجاه
- البنيوي — الاتجاه
- الوظيفي — الاتجاه

نماذج

إستخدام في تطوير العلم

الفصل الرابع

علاقة الأنثروبولوجيا بمختلف الحقول المعرفية والعلمية
3h30

- البيولوجيا
- علم اجتماع
- علم النفس
- علم التاريخ
- الجيولوجيا

علاقتها

مثل اسهامات: راد كليف براون

من اعداد الاستاذة:زغلاش ليندة

مقدمة

الأنثروبولوجيا هي دراسة الإنسان في جميع جوانبه، بما في ذلك الثقافة والتاريخ والتطور البيولوجي واللغة والاجتماع والسياسة والدين والتكنولوجيا والاقتصاد والبيئة وغيرها. تعتمد الأنثروبولوجيا على منهجية شاملة تهدف إلى فهم الإنسان وثقافاته بشكل عميق وشامل.

وهناك دلائل وشواهد عديدة على هذا الشمول، فالأنثروبولوجيا تجمع في علم واحد بين نظرتي كل من علوم بيولوجيا والعلوم الاجتماعية، فتركز مشكلاتها من الناحية، على الإنسان كعضو في المملكة الحيوانية، وعلى سلوك الإنسان كعضو في مجتمع، من ناحية أخرى، ثم إن الأنثروبولوجي لا يقصر نفسه على دراسة أي مجموعة معينة من الناس، أو أي حقبة من حقب التاريخية، بل أننا نجده على العكس من ذلك يهتم بالأشكال الأولى للإنسان وسلوكه بنفس درجة اهتمامه بالأشكال المعاصرة.

بالرغم من قدم هذا المصطلح أو هذه الكلمة في تاريخ المعرفة الإنسانية إلا أن استعمالها بدأ فعليا مع نهاية القرن 19 وبداية القرن العشرين حيث ازداد الاهتمام بها وبالخصوص في الأوساط الثقافية الأنكلوساكسونية (بريطانيا وامريكا)، وكان الاهتمام في هذه المرحلة منصبا على الأنثروبولوجيا البيولوجية أو الفيزيائية، أي أن الجسد كان محور اهتمامات الدراسات الأنثروبولوجية ومركزها. وبعد ذلك ثم جمع الموضوعين كليهما في موضوع واحد سمي بالأنثروبولوجيا الاجتماعية. ففي نفس القرن، حين بدأت خيوط علم الإنسان تشكل نسيجا متميزا كان الأنثروبولوجيون القدامى يعتقدون أنهم معنيون بكل شيء عن الإنسان.

غير أن القراءة السريعة للسجل الأنثروبولوجي على مدى أكثر من قرن من الزمان توضح لنا عدد مسار هذا العلم الذي يمثل أحدث حلقة في سلسلة العلوم الاجتماعية، ما يزال يتداخل عمليا مع علم الاجتماع بالرغم وجود عدد من الآراء حول علاقة العلمين بعضهما ببعض. وليس أدل على ذلك من رأي ذكره الرائد الأنثروبولوجي **راد كليف براون** بأن الأنثروبولوجيا الاجتماعية ما هي إلا علم اجتماع مقارن.

بيد أن أهم ما ميز الحقل الأنثروبولوجي عن الحقول الاجتماعية المقاربة هو البعد تطبيقي واعتماد الباحث الأنثروبولوجي على دراسة الحقلية وأسلوب الملاحظة بالمشاركة، وهو الأسلوب الدراسي الذي يعود الفضل في تثبيت دعائمه إلى الرائد الأنثروبولوجي **برونسلاو مالينوفسكي**.

ومع ذلك، ومع أن الأنثروبولوجيا العامة تقف في مفترق الطرق طرق عديدة، يؤدي بعضها الى تشابك مع العلوم الأخرى، فقد حققت الانثروبولوجيا خلال المائة سنة منصرمة نموًا وازدهارًا ووضوحًا في الرؤى، وتنوعًا في ميادين الدراسة وفي أساليبها من أجل فهم أوسع لجوانب الحياة البشرية واستيعاب ظواهر الإنسان طبيعيًا وحضاريًا واجتماعيًا.

سنحاول من خلال هذه المطبوعة التي هي موجهة الى سنة أولى ليسانس جذع مشترك للعلوم الاجتماعية، أن نلقي الضوء على بعض جوانب الأساسية لهذا العلم بغية إيضاح ماهيته وموضوعه وطريقة عمله، هذا الذي سنتطرق اليه من خلال بعض العناصر التي بدت لنا جوهرية في هذا السبيل حيث سنتطرق الى مقصود **بمفهوم مصطلح الأنثروبولوجيا** وتباينها حسب التوجهات النظرية الفكرية، و**علاقة الأنثروبولوجيا ببعض المفاهيم** ذات الصلة بهذا العلم (الأثنوغرافيا، الأثنولوجيا، الاركيولوجيا)، كما سنحاول في المحاضرة الثانية أيضا استقصاء وتتبع **مراحل تطور التاريخي للأنثروبولوجيا** خلال مختلف العصور قبل النشأة العلمية وصولا الى مرحلة النشأة خلال القرن التاسع عشر وكيف تغير النهج البحثي والمنهجيات المستخدمة في دراسات الثقافات البشرية، محاولين في السياق ذاته إلقاء الضوء على مختلف التيارات والنظريات والمناهج المستخدمة في دراسة الأنثروبولوجية بعد استوائها كعلم قائم بذاته بمطاع القرن العشرين، وطبيعة الموضوعات التي تشكل جوهر الدراسة الأنثروبولوجية.

وبعد ذلك عرضنا في المحاضرة الثالثة **فروع الانثروبولوجيا وانقساماتها**، والتي مثلت موضوع خلاف بين العلماء، وتحديدا بين الأنثروبولوجيين البريطانيين، والأمريكيين. ونظرا لكثرة العلوم ذات الصلة بالأنثروبولوجيا وفقا للمبدأ لما عرفت به الأنثروبولوجيا أنها دراسة شاملة ومتكاملة للإنسان، فقد انتقينا أهمها بما يمهّد الخوض في موضوع تفسير العلاقة هذا العلم بباقي العلوم الأخرى لاحقا.

في حين تناولنا في المحاضرة الرابعة **علاقة الأنثروبولوجيا بمختلف الحقول المعرفية والعلمية**، التي تربطها بها علاقة تكامل منهجي، والتي ساهم بعضها بشكل واضح في إرساء دعائم هذا العلم ومنها على وجه الخصوص البيولوجيا من ناحية العلوم الطبيعية وعلم الاجتماع من ناحية العلوم الاجتماعية، أما المحاضرات المتبقية فإن موضوعها يدور حول **الاتجاهات النظرية الكبرى** التي أثرت بشكل هام على تكوين الفكر الأنثروبولوجي.

كما تطرّقنا في المحاضرات اللاحقة إلى مجموعة من المواضيع التي تُعدّ امتدادًا طبيعيًا لما سبق، حيث تناولنا في محاضرة **الأنثروبولوجيا الحديثة: الموضوع والهدف** تطوّر هذا العلم في سياق التحولات الفكرية والعلمية المعاصرة، مع إبراز مقاصده الجديدة التي تجاوزت حدود الدراسة الكلاسيكية للثقافة والمجتمع إلى معالجة قضايا الإنسان في ظلّ العولمة والتغيّر الاجتماعي.

ثمّ تناولنا في محاضرة **أهمية الأنثروبولوجيا في العصر الحالي** الدور الذي تؤدّيه هذه المعرفة في فهم الظواهر الاجتماعية الحديثة، وفي المساهمة بحلّ الإشكالات المرتبطة بالتنوّع الثقافي، والهوية، والتنمية المستدامة.

وفي محاضرة **النظريات الأساسية في علم الأنثروبولوجيا** وقفنا على أهم الاتجاهات الفكرية والنظرية التي أسست للمدارس الأنثروبولوجية الكبرى، مع تحليل إسهامات أبرز روّادها في بناء التصور العلمي للإنسان والمجتمع، أما في محاضرة **الدراسات الأنثروبولوجية في الجزائر قبل الاستقلال** فقد تمّ تسليط الضوء على البعد

التاريخي للبحث الأنثروبولوجي في السياق الاستعماري، وبيان كيفية توظيف المعرفة الأنثروبولوجية في خدمة الأهداف السياسية آنذاك.

كما تطرقنا في محاضرة **منهج البحث والتقنيات في الأنثروبولوجيا** إلى الأسس المنهجية والإجراءات الميدانية التي يعتمدها الباحث الأنثروبولوجي لجمع وتحليل المعطيات، مع التركيز على أهمية الملاحظة بالمشاركة والعمل الميداني في بناء المعرفة العلمية الدقيقة.

وأخيرًا، خُتم المقياس بمحاضرة حول **علم الآثار** وعلاقته بالأنثروبولوجيا، حيث تمّ إبراز التكامل بين المجالين من خلال سعيهما المشترك إلى فهم الإنسان عبر ماضيه المادي والثقافي، بما يعمّق الرؤية الشمولية لطبيعة الوجود الإنساني وتطوّره عبر العصور.

وقد تم إدراج هذه المحاضرات بشكل مبسط وبأسلوب سلس يحتوي على أهم العناصر المعرفية لعلم الأنثروبولوجيا، وتكييف محتوى المقياس بما يتناسب شعب علم الاجتماع وما يحتاجه الطلبة من معارف الأنثروبولوجيا تخدم تكوينهم ضمن هذا التخصص العلمي، حيث تهدف هذه المطبوعة الى دعم مكتسبات المعرفية للطلبة من خلال ما سيتلقاه في مقياس مدخل الى الانثروبولوجيا اذ يزيد بمعارف أساسية حول هذا الحقل المعرفي وفق تدرج منطقي في عرض المعلوم حتى يسهل عليه استيعابها وترسيخها في أذهانهم.

وفي الأخير، آمل أن تجد هذه المطبوعة الفائدة لكل من يطلع عليها من الطلبة والباحثين، في حين تبقى قابلة للمناقشة والتوجيه من أجل إعادة تعديلها مستقبلا بصورة أفضل وبتكامل الأهداف التعليمية لباقي البرنامج المسطر.

المحور الأول

المعنى الدلالي لعلم الأنثروبولوجيا وأهدافه، وعلاقته بمصطلحات الإثنوغرافيا، الإثنولوجيا، والأركيولوجيا

1. تعريف الأنثروبولوجيا وأهم موضوعاته:

تعرف الأنثروبولوجيا من حيث الجوهر بأنّها علم الإنسان أو علم الإناسة، وهي علم يقوم بدراسة الكائنات الإنسانية في سياق النظم الثقافية الّتي تحيط بهم على نحو كلي. وتنطلق هذه التسمية من دلالة الأصل اللغوي لمفهوم الأنثروبولوجيا في اللغة اليونانية الّذي يتكون من تخاصب كلمتين يونانيتيين هما: **Anthropos**، ومعنى الإنسان "**Logos**" ومعناها "**علم**" وتأسيسا على هذا المصدر الاشتقاقي تعرف الأنثروبولوجيا بعلم الإنسان أو علم الإناسة، وهذه الدلالة لا تقف عند حدود الاشتقاق اللغوي، بل تنطلق أيضا من الدلالة الموضوعية لهذا العلم الذي يجعل من الإنسان في مختلف تجلياته الإنسانية موضوعا لدراسته وتقصياته المستمرة، وهي وفقا لهذا التصور تركز بالضرورة على الظروف الاجتماعية التي تحيط بالبشر وعلى طبيعة العلاقة التي تربط بين الناس والوسط الذي يعيشون فيه على نحو شمولي (علي وطفة، 2011، ص104).

لذلك تعرف الأنثروبولوجيا بأنّها العلم الّذي يدرس الإنسان من حيث هو كائن عضوي حي، يعيش في مجتمع تسوده نظم وأنساق اجتماعية في ظلّ ثقافة معيّنة، ويقوم بأعمال متعدّدة، ويسلك سلوكاً محدّداً؛ وهو أيضاً العلم الذي يدرس الحياة البدائية، والحياة الحديثة المعاصرة، ويحاول التنبّؤ بمستقبل الإنسان معتمداً على تطوّره عبر التاريخ الإنساني الطويل. ولذا يعتبر علم دراسة الإنسان (الأنثروبولوجيا) علماً متطوّراً، يدرس الإنسان وسلوكه وأعماله. (الشماس، 2004، ص13-14)

في المقابل نجد في معاجم عربية حديثة تعريفا مركزا يقدم الأنثروبولوجيا بأنّها "علم الإنسان، وهو علم يبحث في أصل الجنس البشري وعاداته ومعتقداته، وفي السلالات البشرية وخصائصها ومميزاتها". (حسن شحاتة، 1966، ص16)

فمصطلح الأنثروبولوجيا يعنى به علم دراسة الإنسان طبيعيا، واجتماعيا، وحضاريا. (شاكر مصطفى، 1981، ص56)، فهو علم يدرس الإنسان من حيث هو كائن فيزيقي واجتماعي ويتفرع من هذا العلم مجموعة من العلوم المتخصصة في دراسة الإنسان، كالأنثروبولوجيا الفيزيقية والأنثروبولوجيا الاجتماعية والأنثروبولوجيا الثقافية. (أحمد زكي، 2009، ص21)

ولعلّ أولى استخدامات الأنثروبولوجيا كانت في علم وظائف الأعضاء والتشريح، والّتي سميت بعد ذلك بالأنثروبولوجيا البيولوجية، وفي القرنين السابع عشر والثامن عشر استخدم اللاهوتيين الأوروبيين هذا المصطلح للإشارة إلى إسناد ميزات الإنسان إلى الآلة.

بمعنى أنّ الوظيفة الحقيقية للأنثروبولوجيا قد برزت في علوم أخرى، فهي استخدمت في تشريح الأجساد البشرية وفحص الأعضاء، على اعتبار أن هذه العمليات تتعلق بالإنسان وتشكل جزءا واحدا من اهتمامات الأنثروبولوجيا بشكل عام، أي أن العلوم اهتمت بوظائف الأنثروبولوجيا قبل نشوء هذا العلم وتطوره في أوقات لاحقة. (مازن مرسول محمد، 2015، ص109)

وفي هذا أدلى الباحث الفرنسي **جان بواربيه** أن اصطلاح الأنثروبولوجيا، قد ظهر أولا في كتابات علماء الطبيعة، إبان القرن 18، لتعنى بدراسة التاريخ الطبيعي للإنسان (**L'histoire naturelle de l'homme**)، إذ اعتبر بواربيه أن العالِم الطبيعة الألماني **جوهان بلومينباخ J.Blumenbach** أوّل من أدخل مصطلح الأنثروبولوجيا في منهج تدريس التاريخ الطبيعي، بالمقررات الجامعية، كما استخدمه في الطبعة الثالثة من كتابه الّذي صدر عام 1795 بعنوان "**عن التنوعات الطبيعية الجوهرية بين البشر**" (**Naturta de generis humani varietate**)، ويذكر بواربيه أيضا أنّ الفيلسوف الألماني إيمانويل كانت **I.kant** أشاع استخدام هذا المصطلح خاصة بعد صدور كتابه "**الأنثروبولوجيا من منظور علمي**" (**Anthropology in Pragmatischer**). (فهيم، 1986، ص15)

يصنف **توماس بنيمان T.Penniman, 1965** في كتابه "**تاريخ الأنثروبولوجيا في مائة عام**" " **A hundred years of Anthropology**" تاريخ الأنثروبولوجيا إلى **خمسة مراحل: المرحلة الأولى** وهي المرحلة التمهيدية التاريخية لهذا الفرع العلمي، وتبدأ منذ العصور التاريخية الإغريقية وتنتهي في عام 1838، وتتمثل هذه المرحلة بالأوصاف الأدبيّة للحضارات القديمة والتأملات الفكرية الخالصة في طبيعة الإنسان وحقيقته، وتقع **المرحلة الثانية** ما بين 1835 حتى 1859، حيث بدأت الأنثروبولوجية تأخذ صورة معرفة علمية بطابع تأملي فلسفي، وفي **المرحلة الثالثة** اتخذت الأنثروبولوجيا هيئتها علما أكاديميا في المدة ما بين 1859 حتى 1900، وتسمى **المرحلة الرابعة** مرحلة التأصيل العلمي الأكاديمي وتمتد بين عامي 1900 و1935، أما **المرحلة الخامسة** الّتي بدأت عام 1935 وحتى نهاية الخمسينيات فتوصف بأنّها مرحلة التدعيم والتثبيت ومرحلة ظهور الفروع العلمية الجديدة لهذا العلم. (علي وطفة، 2011، ص108-107)

لقد تعددت استخدامات مصطلح الأنثروبولوجيا حسب التوجهات النظرية الفكرية الّتي استخدمته، مما زاد اتساع الفجوة بين علماء علم الإنسان وفي تعقيد هذا العلم من حيث زيادة تنوع موضوعاته واهتماماته، "فنجد ما درج الأمريكيون على تسميته الأنثروبولوجيا الثقافية، يصطلح الفرنسيون على تسميته بالإثنولوجيا أو الإثنوغرافيا، وفي بعض الأحيان، يدرسونها تحت مظلة علم الاجتماع، وتعني الأنثروبولوجيا لدى العلماء الفرنسيين" دراسة

التاريخ الطبيعي للإنسان". (يحي مرسي، 2007، ص10) أما الإنجليز فأسموها بالأنثروبولوجيا الاجتماعية وتعاملوا معها كعلم قائم بذاته، وهذا ما يساعدهم على وضع نماذج نظرية تشرح أبنية المجتمعات وتفسر الآليات والوظائف الّتي تساعد على استمرارية الحياة الاجتماعية وتماسكها، وبهذا خرج إلى الوجود ما يعرف بأنثروبولوجيا القرابة أو الدّين أو الاقتصاد وغير ذلك مما يسير ضمن إطار الانثروبولوجيا الاجتماعية.

أما فيما يتحدث الأوروبيون عن الأنثروبولوجيا فهم يذهبون إلى ما يسميه الإنجليز الأنثروبولوجيا الفيزيقية، أمّا ما يسميه الإنجليز أنثروبولوجيا اجتماعية، فيسميه الآخرون الإثنولوجيا.

أما من حيث موضوع العلم، فإننا نجد من استعراض دراسات الأنثروبولوجيا في ماضيها وحاضرها أن رجال هذا العلم قد أخذوا التعريف اللفظي لعلمهم مآخذ الجد، ومن هنا أصبح موضوع هذا العلم بحق هو دراسة الإنسان وأعماله، أي كلّ إنجازاته المادية والفكرية، أي الدراسة الشاملة للإنسان، ولهذا نقول أنّ الأنثروبولوجيا هي أكثر العلوم الّتي تدرس الإنسان وأعماله شمولا على الإطلاق.

ثم إنّ الأنثروبولوجي لا يقصر نفسه على دراسة أي مجموعة معينة من الناس، أو أي حقبة من الحقب التاريخية، بل إننا نجده يهتم بالأشكال الأولى للإنسان وسلوكه بنفس دجة اهتمامه بالأشكال المعاصرة، إذ يدرس كلا من التطور البنائي للبشرية ونمو الحضارات منذ أقدم الأشكال الّتي وصلتنا عنها أي سجلات أو بقايا، كذلك يوجه الأنثروبولوجي اهتماما خاصا إلى الدراسات المقارنة في سياق اهتمامه بالجماعات والحضارات الإنسانية المعاصرة.

وهو يحاول كشف وتوصيف المعايير الفيزيقية الّتي تميز الجنس البشري عن سائر الكائنات الحية الأخرى، وكذلك تلك المعايير الّتي تصلح للتمييز بين الأنواع العديدة داخل الأسرة البشرية نفسها. وتركز الدراسة المقارنة للحضارات اهتماما على أوجه الاختلاف والتشابه في الثقافات، الّتي يمكن ملاحظتها بين الجماعات البشرية العديدة الّتي تعيش على سطح كوكبنا، وتحاول أن تحدد وتعرف القوانين أو المبادئ الّتي تحكم تكون المجتمعات البشرية وثقافاتها وتطورها. (الجوهري وآخرون، 2007، ص15)

ومن ناحية أخرى يقدم **مارسيل موس**، ابن أخت إميل دوركايم، وصاحب العمل الرائع **الهدية The gift** دراسة الأنثروبولوجيا إلى ثلاثة مستويات من التحقيقات: الأثنوغرافيا، والاثنولوجيا والأنثروبولوجيا، بالنسبة للأثنوغرافيا فيعرفها بأنّها الدراسة المفصلة للأعراف والمعتقدات والحياة الاجتماعية، ويعرف الإثنولوجيا بأنّها المهنة ذات الأساس التجريبي للمقارنة الإقليمية أما بالنسبة للأنثروبولوجيا نفسها فيعتبرها

المحاولة النظرية ذات البعد الفلسفي لصياغة تعميمات عن الإنسانية والمجتمع وفق نتائج البحث لكل من الأثنوغرافيا والإثنولوجيا. (هيلاند إريكس وفين سيفرت، 2014، ص08)

من خلال الإطلالة السابقة وجدنا أنّ الأنثروبولوجيا هي دراسة شمولية للإنسان وهو ما جعل منه فرع معرفي ذو مجالات عديدة وارتباطات بعلوم شتى، وهو المجال الّذي يرتبط مباشرة بالإنسان الّذي يتمحور حوله معظم الأنشطة المعرفية والتطبيقية من علم الطب وعلم النفس والفسيولوجيا والبيولوجيا وعلم الاجتماع... الخ.

"ولعلّ الكثير من العلوم الّتي تندرج في تسلسلاتها ما بين العلوم الطبيعية أو الاجتماعية والإنسانية قد ركز كلا منهما على جانب من جوانب حياة الإنسان، فالبيولوجية مثلا اهتمت بكل ما يتعلق بالنشأة البيولوجية للإنسان وتطوراتها وما ينتج عنها، وتتداخل معها العلوم الطبيعية الأخرى في دراسة ما يخصها بالإنسان، وعلوم اجتماعية وإنسانية تتعلق مثلا بتجمعات الإنسان وسيكولوجيته والاقتصاد الّذي يتعامل به وسياسة الدولة الّتي يعيش فيها وغيرها من العلوم الأخرى، في حين أنّ الأنثروبولوجيا شملت أكثر هذه التخصصات في دراسة الإنسان". (مازن مرسول محمد، 2015، ص109) وأن الأنثروبولوجي يرحب بكل إسهامات هؤلاء العلماء وذلك للوصول إلى تحقيق الهدف العام لعلم الإنسان نفسه ألا وهو فهم الإنسان ويقدم نتائج بحوثه ودراساته المختلفة من أجل تحقيق صالح الإنسان. (فاروق أحمد، 2013، ص13)

فالدراسة الأنثروبولوجية للإنسان هي دراسة متكاملة بما تحويه من جوانب سيكولوجية وبيولوجية وفيزيولوجية ثقافية واجتماعية فهي تحاول الكشف عن العلاقة بين المظاهر البيولوجية الموروثة للإنسان وما يتلقاه من تعليم وتنشئة اجتماعية وثقافية ومقارنة التنوع الهائل للجماعات الإنسانية للحفاظ على وحدة العلوم وتكاملها. وبهذا المعنى فإن الانثروبولوجيا تتناول موضوعات مختلفة من العلوم والتخصصات التي تتعلق بالإنسان. (سعيدي، 2013، ص17)

2. سمات الأساسية للأنثروبولوجيا:

وتختص الأنثروبولوجيا بوجه عام، بعدد من السمات الأساسية الّتي تميزها عن العلوم الأخرى، وأهمها:

- تركز الأنثروبولوجيا على دراسة جماعات خاصة من حيث التكوين والوظيفة، مثل: الجماعات البدائية، الجماعات الريفية، العرقية الإثنية، والأقليات، وتتميز هذه الجماعات بأنّها بسيطة وشفافة وصغيرة وقليلة الكثافة، ويبدو هذا التركيز واضحا في مرحلة التأسيس والنهوض.

- اعتماد الأنثروبولوجيا على منهج الملاحظة بالمشاركة والمقارنة والوصف الحي للظواهر المدروسة والدراسات القليلة، وتركز على نحو خاص على البحث بالمعايشة الذي يتطلب اندمج الباحث في الوسط الثقافي والاجتماعي للجماعات التي تدرس.
- تعتمد الأنثروبولوجية الطابع الشمولي والكلي في دراستها للمجموعات البشرية الخاصة، ويركز هذا المنهج على دراسة المجتمع دراسة كلية تشمل عقائده، وشعائره، واقتصاده، وسياسته، وتكويناته الفيزيائية والطبيعية والتاريخية.

وتعد الأنثروبولوجيا بصورتها الأكاديمية أحدث العلوم الاجتماعية على الإطلاق، وقد ولدت في نهاية القرن 18 في نسق من الدراسات الّتي خصصت لدراسة المجتمعات البدائية القديمة، وقد تطورت بصورة متوازنة من علم الاجتماع، حيث تمحورت حول المجتمعات البدائية بما عرف عنها من تجانس وشمول، وفي الوقت الّذي اهتم فيه علم الاجتماع بدراسة الظواهر الاجتماعية المعقدة والمتناقضة، وعلى الرغم من الاختلاف في المنهجية والموضوع البحثي، فإنّ التطور البحثي لكلا العلمين ينمُّ على تقارب كبير في القضايا والموضوعات الّتي يباشرها كلّ منهما، ويشمل هذا التقارب دراسة البنى الاجتماعية والعمليات الاجتماعية، مثل دراسة الطقوس والظواهر الرمزية والعلاقات الاجتماعية. (علي وطفة، 2011، ص105)

3. أهداف دراسة الأنثروبولوجيا:

استنادا إلى مفهوم الأنثروبولوجيا وطبيعتها فإنّ دراستها تحقق مجموعة من الأهداف، يمكن حصرها في الأمور التالية: (الشماس، 2004، ص17)

- وصف مظاهر الحياة البشرية والحضارية وصفاً دقيقاً، وذلك عن طريق معايشة الباحث المجموعة أو الجماعة المدروسة، وتسجيل كلّ ما يقوم به أفرادها من سلوكات في تعاملهم، في الحياة اليوميّة.
- تصنيف مظاهر الحياة البشرية والحضارية بعد دراستها دراسة واقعية، وذلك للوصول إلى أنماط إنسانية عامة، في سياق الترتيب التطوّري الحضاري العام للإنسان: (بدائي– زراعي– صناعي – معرفي – تكنولوجي).
- تحديد أصول التغيّر الذي يحدث للإنسان، وأسباب هذا التغيّر وعملياته بدقّة علمية... وذلك بالرجوع إلى التراث الإنساني وربطه بالحاضر من خلال المقارنة، وإيجاد عناصر التغيير المختلفة.
- استنتاج المؤشّر والتوقعّات لاتّجاه التغيير المحتمل، في الظواهر الإنسانية/الحضارية التي تتم دراستها، وبالتصوّر بالتالي لإمكانية التنبؤ بمستقبل الجماعة البشرية التي أجريت عليها الدراسة.

إن اهتمام الأنثروبولوجيا بدراسة المجتمعات الإنسانية كلّها، وعلى المستويات الحضارية كافة، يعتبر منطلقاً أساسياً في فلسفة علم الأنثروبولوجيا وأهدافها. ولكن على الرغم من التوسّع في مجال الدراسات الأنثروبولوجية، فما زالت الاهتمامات التقليدية للأنثروبولوجيا، ولا سيّما وصف الثقافات وأسلوب حياة المجتمعات، ودراسة اللغات واللهجات المحلية وآثار ما قبل التاريخ، تؤّكد ولا شك، تفرّد مجال الأنثروبولوجيا عمّا عداها من العلوم الأخرى، ولا سيّما علم الاجتماع. (فهيم، 1986، ص35)

ومن هنا كانت أهميّة الدراسات الأنثروبولوجية في تحديد صفات الكائنات البشرية، وإيجاد القواسم المشتركة فيما بينها، بعيداً عن التعصّب والأحكام المسبقة التي لا تستند إلى أية أصول علمية.

وإذا كان علم الأنثروبولوجيا، بدراساته المختلفة، قد استطاع أن ينجح في إثبات الكثير من الظواهر الخاصة بنشأة الإنسان وطبيعته، ومراحل تطوّره الثقافي/الحضاري، فإنّ أهمّ ما أثبته هو، أنّ الشعوب البشرية بأجناسها المتعدّدة، تتشابه إلى حدّ التطابق في طبيعتها الأساسية، ولا سيّما في النواحي العضوية والحيوية. (الشماس، 2004، ص18)

4. عرض المعنى الاصطلاحي لكل من الأثنولوجيا، والإثنوغرافيا، والأركيولوجيا:

من الجدير بالإشارة إلى ضرورة عرض موجز إلى معنى المصطلحات: الأثنوغرافيا، الإثنولوجيا، الأركيولوجيا، حتى يتضح مجال موضوع دراسة كلّ منهم.

1.4. الأثنولوجيا:

فرع من فروع الأنثروبولوجيا، وهي دراسة المقارنة، ويعتبرها الأنثروبولوجيون الأمريكيون فرعا من الأنثروبولوجيا الحضارية (**Cultural Anthropology**)، و"مصطلح الإثنولوجي يتكون من شقين الأول إثنوز **Ethnos**، ومعناها الشعوب، وهي كلمة يونانية قديمة، والشق الثقافي كلمة لوجي **Logy** ومعناها علم، فالمصطلح معناه علم دراسة الشعوب، وتعني الأثنولوجيا عند بعض المنظرين دراسة تصنيف الناس على أساس خصائصهم الثقافية والسلالية إلى جانب الاهتمام بتحركات الأفراد وانتشار سمات الثقافية". (عامر مصباح، 2010، ص70)، كما تعرف على أنها الدراسة المقارنة لأوجه الاختلاف والاتفاق بين الحضارات، لاستنباط تعميمات حول أصولها وتطورها وتنوعها، وتختلف الأثنولوجيا عن الأثنوغرافيا، من ميل الأولى إلى الدراسات النظرية، وإلى المقارنة بين الحضارات، كما تختلف عن الأنثروبولوجيا الاجتماعية من حيث ميل الأخيرة إلى التوكيد على التحليل البنائي لحضارة المجتمع المدروس، وقد أضحت أغلب الموضوعات الّتي كانت تعالجها الأثنولوجيا في النصف الأخير من القرن الماضي، وفي

مطلع هذا القرن، الآن ضمن اختصاص علوم أخرى مثل الأنثروبولوجيا الاجتماعية، والأنثروبولوجيا الحضارية والأنثروبولوجيا الطبيعية. (شاكر مصطفى، 1981، ص315)

الأثنولوجيا أو ما يصطلح عليها أيضا "علم الإنسان التحليلي"، تهتم بالدراسات المتعلقة بنشأة السلالات والأصول الأولى للنوع الإنساني كما تهتم بأحوال الثقافات والمناطق الثقافية وهجرة الثقافة وانتشارها والخصائص النوعية لكل منها. ولهذا كان يعبر عنها بالأنثروبولوجيا الثقافية وكانت إلى عهد قريب جدا تختلط بالأنثروبولوجيا الاجتماعية.

وكانت الموضوعات الّتي يدرسها علماء هذا الفرع من البريطانيين، وهي الّتي يدرسها علماء الأثنولوجيا الأوروبيون والأمريكيون، وكانت الأنثروبولوجيا الاجتماعية والاثنولوجيا يعتبران في نظر علماء القرن التاسع عشر علما واحدا ودراسة واحدة، لأنّ كلّ منهما يبحث الثقافات والمجتمعات الإنسانية.

وكانت الجماعات البشرية والمجموعات السلالية تصنف على أساس ثقافتها وكانت عناية العلماء عامة تتبع الأول الأولى للثقافات والحضارات الإنسانية، وبعد أن اتجهت أنظار العلماء إلى العناية بالدراسة الوظيفية لنظم الجماعات **Functional Approsch** وتوجيه مزيد من الاهتمام إلى البنية الاجتماعية **Social Structure** وبيان العلاقات الوظيفية والتكاملية بين النظم الاجتماعية، وإغفال الجانب النشوئي والتاريخي أو التحلل من أهميته النسبية في البحوث الاجتماعية ظهر الاتجاه إلى فصل الدراسة الإثنولوجية عن الدراسة الأنثروبولوجية الاجتماعية، وبذلك استقل كل من فرعي الانثروبولوجيا بعضهما عن البعض الآخر، بالرغم من عدم ظهور هذا الاستقلال بالنسبة للدراسات الأنثروبولوجية في أمريكا، إذ ظلت العناية بدراسة الثقافة وتحليلها أهم ما يشغل أذهان علماء الأنثروبولوجيا الأمريكان. (أحمد زكي، 2009، ص140-141)

الأثنولوجيا تهتم بالدراسة التحليلية والمقارنة للمادة الأثنوغرافية، بهدف الوصول إلى تصورات نظرية أو تعميمات بعدد مختلف النظم الاجتماعية الإنسانية، من حيث أحوالها وتطورها وتنوعها، وبهذا تشكل المادة الأثنوغرافيا قاعدة أساسية لعمل الباحث الأثنولوجي، فالأثنوغرافيا والأثنولوجيا مرتبطتان إذن وتكمل الواحدة الأخرى. (فهيم، 1986، ص15)

من خلال ماسبق نجد الأثنولوجيا تعنى بالدراسة التحليلية والمقارنة للثقافات أو الشعوب، وتمثل السلالة وحدة الدراسة الأساسية فيها، كما عرفها علم الأثنولوجيا السوفييتية أو الأوروبية.

وقد عرف كروبر ميدان دراسة الأثنولوجيا بأنّه يشمل كلا من الثقافة والتاريخ والجغرافيا، بينما ميز راد كليف براون* الأثنولوجيا الّتي تعني في رأيه الدراسة التاريخية والجغرافية للشعوب، عن الدراسة الوظيفية للأنساق الاجتماعية والّتي أطلق عليها مصطلح الأنثروبولوجيا الاجتماعية.

2.4. الأثنوغرافيا Ethnography:

مصطلح الأثنوغرافيا أو وصف الأعراق البشرية، مشتقة من الأصل اليوناني **إثنوس Ethnos** ويعني ناس، شعب، امة، قبيلة، الأقلية...، و**غرافو Grapho** يعني "أنا أكتب" لذا فإنّ ترجمتها هي "أنا أكتب عن القبيلة" أو "وصف الشعوب"، وهناك من المراجع يؤول معناها إلى "الكتابة"، "كما نجد معناها "الوصف والتصوير" ليصبح معنى إثنوغرافيا هو الدراسة الوصفية للشعوب". (سعدي، 2013، ص19) أي بمعنى الدراسة الوصفية لأسلوب الحياة ومجموعة التقاليد والعادات والقيم والأدوات والفنون، والمأثورات الشعبية لدى جماعة معينة، أو مجتمع معين، خلال فترة زمنية محددة. (فهيم، 1986، ص14)

أو ما يطلق عليه علم الإنسان الوصفي؛ يهتم بدراسة المظاهر المادية والثقافية للجماعة في مختلف الأمكنة والأزمنة والّتي تبرز نتاج جهد الإنسان للسيطرة على بيئته الطبيعية ومحاولة استغلال مواردها في سبيل قضاء حاجاته الأولية والضرورية والاجتماعية. لذلك فإنّ في مقدمة ما تعنى به الأثنوغرافيا المواضيع المادية الّتي تصور التقدم التكنولوجي العام الّذي يظهر دينامية العقل الإنساني في محاولته السيطرة على الطبيعة.

وما من شك أنّ المخلفات الأركيولوجية قد أماطت اللثام عن الأدوار الحضارية الّتي مرت بها الإنسانية في فجر تقدمها.

وقد اتخذ العلماء من الأدوات والآلات الّتي استخدمها الإنسان في العصور الجيولوجية المتعاقبة دلائل وسمات على التطورات الحضارية كالعصر الحجري والعصر البرونزي والعصر الحديدي.

فهي تدل على المهارة والمعرفة العلمية المتحققة في تلك الازمنة، كما أنّها تعكس النظم الاقتصادية القائمة في الجماعات الّتي تستخدمها كوسائل إنتاج، والمعلومات الّتي تجمعها الأثنوغرافيا تقوم الأثنولوجيا بتحليلها وإيجاد العلة بين بعضها البعض. (أحمد زكي، 2009، ص140)

* رادكليف براون Radcliffe Brown: من أشهر علماء الأنثروبولوجيا الاجتماعية المعاصرين إذ اعتبر أبا للأنثروبولوجيا الحديثة، وأول من فتح مجال التركيز على المفاهيم الأنثروبولوجية العلمية الدقيقة، وأن جهوده كانت مميزة وواضحة في فصله بين الإثنولوجيا [وهو العلم الّذي يركز في مجال دراسته النظرية والتطبيقية على دراسة الشعوب] وبين الأنثروبولوجيا الاجتماعية، وقارن بين العلمين واستنتج أنّ لكل منهما منهجه وموضوعه الخاص به. (جعنيني، 2009، ص140)

3.4. الأركيولوجيا Archaeology:

- **التعريف الاشتقاقي بالفرنسية Archéologie** : مشتقة من الكلمة الإغريقية Archéologia ومعناها ذلك العلم الّذي يهتم بكل ما هو قديم.
- **التعريف الاصطلاحي:** علم يهتم بالأشياء القديمة، وبالخصوص الفنون والآثار القديمة. (تيلوين، 2011، ص42)

الأركيولوجيا أو ما يصطلح عليه بعلم الآثار القديمة، يعتبر في الولايات المتحدة الأمريكية فرعا من الأنثروبولوجيا، وعلما وثيق الصلة بها في بريطانيا، ويدرس علم الآثار الماضي، بقدر ما يتعلق الأمر بالمجتمعات الإنسانية وحضارتها في العصور القديمة وعصور ما قبل التاريخ، عن طريق التنقيب، والأساليب الّتي يعتمدها هي جمع المخلفات، وتحليل المعلومات المستنبطة من الحفريات، ثم وصف الأدوات الّتي يعثر عليها وصفا دقيقا، وتصنيفها، مع التركيز على المعلومات المتعلقة بالتسلسل الزمني، ورغم أنّ علم الآثار ظهر في القرن 16، لم يصبح علما محدد المناهج والأهداف إلا في القرن 19، وأكبر أهدافه إعادة بناء تاريخ الحضارات القديمة، لدراسة تطور الحضارات البشرية، ويقسم علم الآثار الى قسمين: "علم آثار ما قبل التاريخ" ويدرس الحضارات الّتي لم تعرف الكتابة، ويشمل فترة تمتد قرابة مائة ألف عام، و"علم آثار الكلاسيكي" ويدرس الحضارات التاريخية القديمة الّتي عرفت الكتابة، ويشمل فترة تمتد نحو ستة آلاف عام". (شاكر مصطفى، 1981، ص63)

ويعتبر علم الآثار في القارة الأمريكية جزءا من علم الإناسة "الأنثروبولوجيا" بينما يرى علماء الآثار في أوروبا أنّ علمهم يرتبط ارتباطا وثيقا بميدان علم التاريخ.

5. العلاقة بين الأثنوغرافيا والأثنولوجيا والأنثروبولوجيا:

يتفق أغلب الباحثين الاجتماعيين على أنّ العلاقة بين الأنثروبولوجيا والأثنولوجيا والإثنوغرافيا هي علاقة معرفية تكاملية وعضوية يصعب فصل الواحدة عن الأخرى أحيانا حيث أنّها لا تشكل ثلاثة علوم مختلفة بل ثلاث مراحل متتابعة وبشكل أدق ثلاثة تصورات مختلفة لبحث واحد، هذا من جهة، ومن جهة أخرى، فالمعارف الثلاث تؤدي إلى بعضهم البعض في كثير من الدراسات الّتي تبدأ إثنوغرافيا وتنمو إثنولوجيا لتصل إلى ذروة المساءلة الأنثروبولوجية. (سعيدي، 2013، ص19)

ظهرت كلمة إثنوغرافيا للمرة الأولى عام 1772 لدى المؤرخ الألماني سلاتزر **(Schlazer)** لكي تعرف عن منهج ليني[1] **(Lunnéen)** لدراسة تاريخ الشعوب الخاص، وفي الفرنسية يظهر مصطلح إثنولوجيا **(Ethnologie)** عام 1787 لأول مرة في كتاب شافان **(Chavannes)** "دراسة عن التربية الفكرية من شروع لعلم جديد". (تولرا وبيار فارنييه، 2004، ص27)

كما سبق أن عرفنا أنّ علم الإثنوغرافيا والإثنولوجيا أتيا من أصلين يونانيين وكلا العلمين يقوم بدراسة الثقافات الإنسانية، غير أنّ الإثنوغرافيا هي علم وصفي صرف، إذ يقوم بتصوير لثقافة الشعب ووصفها وبيان ما يسودها من نظم وعادات وتقاليد، دون الدخول في تحليل هذه المعلومات وإيجاد الصلة بينها وبين بعضها بعض، فمهمته أشبه شيء بآلة التصوير، إذ ينقل صورة مضبوطة أمينة لما يسود الشعوب المدروسة من ثقافات وحضارات بلا زيادة ولا نقصان، ثم يأتي علم الإثنولوجيا فيحلل هذه "المادة الخام" التي جمعها علم الإثنوغرافيا، ويصنفها ويبوبها ويوجد العلاقات بينها حتى يصل إلى الكشف عن المبادئ العامة، أو القواعد والقوانين الّتي تخضع لها هذه الظواهر، ويصل ما بين هذه المبادئ من جهة والمبادئ العامة المعروفة عند علماء الإنسان من جهة أخرى، ويقوم بما يتبع ذلك من المنهج العلمي المعروف من فرض الفروض وإجراء الاختبارات الّتي تثبت صحة تلك الفروض أو خطأها. (حسن شحاتة، 1966، ص23-24)

هذا يعني أنّ الأهداف النهائية للعالم الأثنولوجي، هي في الأساس محاولة فهم كيف تعمل المجتمعات والثقافات؟ وكيف ولماذا تتغير الثقافات؟ كما يحاول أن يتوصل إلى تعميمات معينة أو "قوانين" بحسب المصطلح الدارج للمفهوم، لتساعده في التنبؤ باتجاه سير الأحداث، بقصد التحكم به في النهاية.

فاذا كان القول بأنّ الأثنولوجيا تدرس الظواهر الثقافية دراسة رأسية، أي دراسة مقارنة زمانية تاريخية لثقافات الماضي، مع متابعة دراسة تلك الثقافات وتطورها ومقارنتها عبر التاريخ، فإنّ الأثنوغرافيا تدرس الظواهر الثقافية دراسة أفقية محددة المكان، وهكذا تكون الأثنولوجيا دراسة مقارنة في الزمان، بينما تكون الأثنوغرافيا دراسة مقارنة في المكان. (الشماس، 2004، ص142)

أما الأنثروبولوجيا فهي تشكل المحطة الأخيرة في هذه المسيرة، فهي تشكل في نهاية الأمر منهجا يسعى إلى تجميع المعرفة بالإنسان من كافة الجوانب وذلك بهدف تقديم فهم متكامل ومترابط عن الإنسان ونتاجه الحضاري، في الماضي والحاضر، ومن ثم يكون لها قدرة على استقراء أنماط الحياة المستقبلية...

---

[1] **منهج ليني:** نسبة إلى عالم الطبيعة السويدي كارل فون ليني (Carl Von Linné) الّذي قام بتصنيف لأنواع النبات والحيوان من خلال تحديد مزدوج يتميز فيه الكائن الحي بنوعه وجنسه.

وإبراز الكيفية الّتي ينظم بها الأفراد والجماعات وسائل معيشتهم والمحافظة على بقائهم. من خلال هذا الطرح المعرفي والموضوعاتي، نشير إلى أنّ المسيرة الإثنوغرافية والأثنولوجية، الأنثروبولوجية تتلخص فيما يلي:

- المحطة الأولى: الاثنوغرافيا: الرصد والشرح والوصف والتفسير.
- المحطة الثانية: الاثنولوجيا: التحليل والمقاربة والتصنيف.
- المحطة الثالثة: الأنثروبولوجيا: استنباط القواعد والقوانين والأنساق.

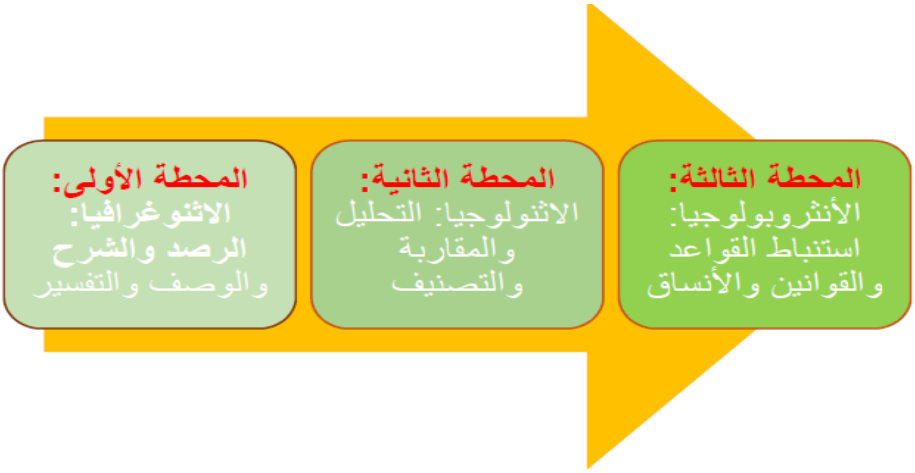

قد يستعين الباحث الأنثروبولوجي بالوصف والتصوير اللذين ينجزهما الباحث الإثنوغرافي، كما قد يستعين أيضا بما توصل إليه الباحث الإثنولوجي، من تحديد لخصوصيات الموضوع وتصنيفاته له، فهو يستعين بكل هذه الانجازات مضيفا لها أشياء أخرى تتعدى الوصف والتحليل الإثنوغرافي والإثنولوجي، وذلك بهدف صياغة قضايا تتعلق بالظروف الاجتماعية في وجود الإنسان، فضلا عن تحقيق تلك القضايا الّتي تكون (قوانين الإستاتيك الاجتماعية) أو تتعلق بمظاهر الانتظام والأنساق في عملية التغيير الاجتماعي فتكون (قوانين الديناميكا الاجتماعية). (سعيدي، 2010، ص20-22)

كما يجب الإشارة إلى أنّ مصطلح الأثنوغرافيا في بريطانيا يعني البحوث الوصفية والتحليلية الّتي قام بها علماء الأنثروبولوجيا البريطانيون حول الشعوب والأقوام البدائية الّتي درسوها دراسة ميدانية، وبالرغم من أنّ الأثنوغرافي يهتم بالدراسة الوصفية للمجتمعات البدائية والأنثروبولوجي الاجتماعي يهتم بالتحليل البنائي أو التركيبي للمجتمعات البدائية، فإنّ هناك ارتباطا وتداخلا وثيقا بين هذين العلمين بخصوص الدراسات العلمية الّتي يقومان بها، غير أنّه في الولايات المتحدة الأمريكية لا توجد هناك علاقة وثيقة بين علم الأثنوغرافيا وعلم الأنثروبولوجيا الاجتماعي، بل توجد علاقة مرتبطة بين علم الأثنوغرافيا والأثنولوجيا،

فالعالم **هيرز كوفنتر** يرى في كتابه "**الإنسان وأعماله**" بأنّ الاثنوغرافي هو وصف للحضارات وبحث مشاكل النظرية المتعلقة بتحليل العادات البشرية للمجتمعات الإنسانية المتباينة.

والإثنوغرافيا من أقدم فروع المعرفة في علم الأنثروبولوجيا عندما قام الأوروبيون بوصف القبائل والشعوب المحلية في أمريكا وإفريقيا وأستراليا وآسيا، حيث وصفوا أدواتهم وعاداتهم وتقاليدهم وكل ما يتصل بثقافاتهم المادية المختلفة، وسرعان ما تبنى الأنثروبولوجيون هذه المعلومات واستخدموها في دراساتهم لتطوير المجتمع البشري، أما في علم الآثار فقد استخدمت هذه المعلومات من المجتمعات البدائية والبسيطة والتقليدية لنماذج لمجتمعات ما قبل التاريخ والتاريخ القديم، وذلك عن طريق عقد المقارنات البسيطة وحتى أسماء ووظائف الأدوات التي توجد في المواقع الأثرية أخذت من ما هو معروف لدى الشعوب البسيطة الّتي درسها ووصفها الأثنوغرافيون، وهكذا فإنّ استخدام الأثنوغرافيا في الآثار قديم قدم العلم نفسه. (محمد الجوهري وآخرون، 2007، ص19)

المحور الثاني

السياق التاريخي لنشأة التفكير الأنثروبولوجي

(العصر اليوناني والروماني وعند الصين، العصور الوسطى، عصر النهضة الأوربية، القرن التاسع عشر، القرن العشرون)

رغم حداثة العلم الانثروبولوجي، الذي تبلور كدراسة متخصصة إلا في أواخر القرن التاسع عشر، غير أن بوادر الأولى لدراسات بعض المفكرين والكتاب التي تناولت ثقافات الشعوب والحضارات الانسانية خلال رحلات قاموا بها منذ عصور ما قبل الميلاد، قد لعبت دورا هاما في حدوث اتصال بين الشعوب واكتساب معرفة الواحد بالآخر، خاصة فيما يتعلق باللغة والتقاليد والعادات، إذ يعتبر مؤرخو الأنثروبولوجيا تلك المعرفة بمثابة جذور أولية للدراسات الأثنوغرافية التي تشكل قاعدة هامة للمقارنة بين النظم الاجتماعية، والتنظير بصدد تطورها عبر التاريخ الانساني، والافتراض الأساسي للأنثروبولوجيا هو أن معرفة الأصول الأولى لنشأة الحياة الاجتماعية ومختلف أنساقها سوف يساعد في فهم المجتمعات المتطورة أو المركبة في العصر الحديث، ولعل هذا هو درب علماء الانثروبولوجيا الأوائل والذين اهتموا بدراسة الحياة الأولى للإنسان ومختلف الجماعات البشرية التي مرت بمختلف عصور التطور الإنساني، وتطور أدوات إنتاجه ونمط عيشه، غير أن الأحداث التاريخية الكبرى فيها، وما تميّز به الانتاج المعرفي في كل مرحلة أو حقبة تاريخية يحمل في طياته ملامح نشأة الفكر الأنثروبولوجي والذي سنوضح تبلوره في كل مرحلة من مراحل تشكله الذي سنعرضه على التوالي انطلاقا من العصور القديمة الى العصر الحالي.

1. الأنثروبولوجيا في العصر القديم:

يجمع معظم علماء الاجتماع والانثروبولوجيا، على أن الرحلة التي قام بها المصريون القدماء في عام 1493 ق.م الى بلاد بونت (الصومال حاليا) بهدف التبادل التجاري، تعدّ من أقدم الرحلات التاريخية في التعارف بين الشعوب، وقد كانت الرحلة مؤلفة من خمسة مراكب، على متن كل منها 31 راكبا، وذلك بهدف تسويق بضائعهم النفيسة التي شملت البخور والعطور، ونتج عن هذه الرحلة اتصال المصريين القدماء بأقزام افريقيا. وتأكيدا لإقامة علاقات معهم فيما بعد، فقد صورت النقوش في معبد الدير البحري، استقبال ملك وملكة بلاد بونت لمبعوث مصري (الشماس، 2004، ص23)، أوضحت النقوش كذلك بعض تفاصيل الصفات الجسمية لتلك الشعوب، وبدأ واضحا ما اتصف به أهل المملكة من تراكم السمنة بإفراط، شأنهم في ذلك شأن جماعة البوشمان **pushmans** الموجودين حاليا في صحراء كلهاري (فهيم، 1986، ص34).

1.1. عند الإغريق (اليونانيين القدماء):

جاءت في كتابات عدد من الكتاب الاغريقيين، شواهد أخرى لجذور المادة الوصفية لشعوب المجتمعات القديمة مثل الشاعر اليوناني **هوميروس homer** الذي عاش خلال القرن التاسع أو الثامن قبل الميلاد، وصاحب ملحمتي **الإلياذة iliad** و**الأوديسة** (فهيم، 1986، ص34). وكذلك **تيوجنيس Theognis** سنة550

ق.م، الذي عرض بعض المبادئ التي تحسن النسل وتؤدي بالشعوب الى التفوق (حسن شحاته، 1966، ص34). والمؤرخ اليوناني **هيرودتس Heredotus** الذي عاش خلال القرن الخامس قبل الميلاد، (485 ق.م–425 ق.م) وصف وصفًا تحليليًا مُسهبا حياة بعض الشعوب البدائية التي عاشت في زمانه، مثل (المصريين) و(سكان بابل) و(الفرس) و(الأثيوبيين)، وشرح عاداتهم وسجل خرافاتهم وأساطيرهم.

ولذا، يمكن أن يعتبر **هيرودتس** الأنثروبولوجي الأول، ولقد أقبس بعض قدامى الأنثروبولوجيين، مثل **باخوفن Bachofen** من كتاباته، واعتمدوا عليها، كانت أهم مؤلفاته عن تاريخ الحرب الإغريقية–الفارسية التي وقعت بين عامي (500 ق.م–**479** ق.م). (شاكر مصطفى، 1981، ص447).

وهذا بفضل ما يمتلكه من فضول علمي لمعرفة ثقافة المجتمعات عبر العصور وما تحويه من خصوصيات، والتي استطاع **هيرودتس** اكتشافها وتسجيلها في كل رحلاته، ولم يقتصر فضوله العلمي على الاكتشاف والتسجيل فقط بل تعداه الى التساؤل عن الاختلافات التي يلاحظها في واقع كل مجتمع، وفي الوصف العام لثقافة ومظاهر حياة الشعوب وأنظمتها الاجتماعية.

وهذا ما يفسر بأن **هيرودتس** كغيره من المفكرين القدماء، كان يمتلك خصائص عصره، لكونه يبحث في الواقع التي تخرج عن المألوف وتكون أحداثها استثنائية بعيدة، بحيث تنحرف عن العادات وسلوكيات الحياة اليومية، لأجل ذلك فقد عرف بالتسامح والرغبة في فهم الثقافات الأخرى التي اكتسبها من احتكاكه الثقافي. (فهيم، 1986، ص37)

وهو أول من قام بجمع معلومات وصفية دقيقة عن عدد كبير من الشعوب غير الأوروبية، (حوالي خمسين شعبا)، حيث تناول بالتفصيل تقاليدهم وعاداتهم وملامحهم الجسمية وأصولهم السلالية، اضافة الى أنه قدم وصفا دقيقا لمصر وأحوالها وشعبها، وهو قائل العبارة الشهيرة "مصر هبة النيل". (الشماس، 2004، ص23)

كما عرض **سقراط** في كتابه "الأجواء والمياه والأمكنة" أثر الوسط الفيزيقي على تكوين الأجسام وأنماط التفكير والعادات والتقاليد، ثم يأتي أفلاطون وأرسطو بفلسفتهما الأرستقراطية التي تفرق بين طبقات المجتمع على أساس وجود نفوس عليا وأخرى دنيا (حسن شحاتة، 1966، ص34). إن الفكر اليوناني القديم تبلور حول الذات وذلك في إطار فلسفات تأملية لما يجب أن يكون لا لما هو كائن محسوس، وعلى هذا الأساس نستطيع أن نفسر اهتمام **افلاطون** (428–347 ق.م) مثلا بموضوع تغيير مجتمع أثينا "عاصمة اليونان" وذلك من خلال تصورات مثالية لما يجب أن تكون عليه الحياة الاجتماعية. وهو ما تبلور عنه كتابه الشهير "**الجمهورية**" الذي عرض فيه لهذه التصورات ولعل الدافع وراء مثل هذا التخيل

للمدن الفاضلة كان هو تلك الأزمات السياسية، والحروب واضطراب أحوال المجتمع آنذاك بصفة عامة، كذلك نجد أن **أرسطو** (348–322 ق.م) كان من أوائل المفكرين الذين وضعوا بعض أوليات الفكر التطوري للكائنات الحية، وذلك من خلال ملاحظاته وتأملاته في التركيبات البيولوجية وتطورها في الحيوان، كما ينسب إليه أيضا توجيه الفكر نحو وصف وتحليل نشأة الحكومات وأشكالها وأفضلها، الأمر الذي يعتبر مساهمة مبدئية وهامة في دراسة النظم الاجتماعية والإنسانية. (فهيم، 1986، ص38)

2.1. عند الرومان:

امتد عصر الامبراطورية الرومانية حوالي ستة قرون، تابع خلالها الرومان ما طرحه اليونانيون من مسائل وأفكار لكنهم وجهوا دراساتهم نحو الواقع الملموس، ومع ذلك لا يجد الأنثروبولوجيون في الفكر الروماني ما يمكن اعتباره كإسهامات أصلية في نشأة علم مستقل لدراسة الشعوب وثقافاتهم أو تقاليد راسخة لمثل هذه الدراسات. (الشماس، 2004، ص21)

غير أن نلتفت الى **تاسيتوس** الروماني من أجل أفضل مثال قديم على "الدراسة الإثنوغرافية" عن ثقافة "بدائية" خاصة في كتابه الموسوم "**جرمانيا**" 98 ق.م، وصف **تاسيتوس** أخلاق وعادات القبائل الجرمانية وبيئتهم الجغرافية. كتب محذرًا زملاءه الرومانيين من قوة الجرمانيين وشجاعتهم لأنه رأى فيهم برابرة (همجا)غير فاسدين يمكن أن يسببوا سقوط روما الآيلة الى الانحلال. وقد لاحظ بإعجاب أنه لا أحد في ألمانيا يجد الرذيلة أمرا ممتعا أو يسميها شيئا عصريًا في أن يفسق احدا أو يفسق به. وكتب أيضا عن الزواج في ألمانيا وأهم ما يتميز به (بيرتي ج بيلتو، 2010، ص37). كما نستثني أشعار **كارلوس لوكرتيوس** (98–55 ق.م) **Lecretuis** التي احتوت على بعض الأفكار الاجتماعية الهامة وعرض لفكري "التطور والتقدم" اذ تحدث عن الانسان الأول والعقد الاجتماعي، ونشأة اللغة ونظامي "الملكية والحكومة" الى جانب مناقشته للعادات والتقاليد والفنون والأزياء والموسيقى، ويرى بعض الأنثروبولوجيون أن **لوكرتيوس** استطاع أن يتصور مسار البشرية في عصور حجرية ثم برونزية (3300ق.م–1200 ق.م) ثم حديدية. (فهيم، 1986، ص39) مما جعل البعض يماثل نظرته التطورية بما جاء به **لويس مورغان** أحد أعلام الانثروبولوجيا في العصر الحديث.

إن قلة الإسهامات الفكر الروماني في نشأة علم الانثروبولوجيا، يرجع البعض هذا الأمر الى أن الرومان وجدوا في أنفسهم امتيازًا وأفضلية على الشعوب الأخرى فكان الروماني فوق غيره بحكم القانون

حتى إن الرومان إذا ما أرادوا أن يرفعوا من قدر إنسان أو شأن سلالة أصدرت الدولة قرارا بمنح المواطنة لأي منهما.

3.1. عند الصينيين القدماء:

نظرا بما كان يسود النظرة العنصرية لدى الصينيون القدماء، أنهم أفضل الخلق – كالرومان– وأنه لا وجدود لأية حضارة أو فضيلة خارج جنسهم، بل كانوا يرون أنهم لا يحتاجون الى غيرهم في شيء.... ولكي يؤكد ملوكهم هذا الواقع، أقاموا "سور الصين العظيم" حتى لا تدنس أرضهم بأقدام الآخرين.

ولذلك اهتم فلاسفة الصين القدماء بالأخلاق وشؤون المجتمعات البشرية من خلال الاتجاهات (الواقعية /العملية) في دراسة أمور الحياة الانسانية ومعالجتها، لأن معرفة الانماط السلوكية التي ترتبط بالبناء الاجتماعي في أي مجتمع، تسهم في تقديم الدليل الواضح على التراث الثقافي لهذا المجتمع، والذي يكشف بالتالي عن طرائق التعامل فيما بينهم من جهة، ويحدد أفضل الطرائق للتعامل معهم من جهة أخرى، وهذا ما يفيد الباحثين في العلوم الأخرى، ولا سيما تلك التي تعني بالإنسان.

فالصينيون القدماء كانوا يشعرون بالأمن والهدوء داخل حدود بلادهم، وكانوا مكتفين ذاتيا من الناحية الاقتصادية المعاشية، حتى أن تجارتهم الخارجية، انحصرت فقط في تبادل السلع والمنافع، من دون أن يكون لها تأثيرات ثقافية عميقة، فلم يعبأ الصينيون في القديم، بالثقافات الأخرى خارج حدودهم، ومع ذلك، لم يخلُ تاريخهم من بعض الكتابات الوصفية لعادات بعض الجماعات البربرية، والتي اتسمت بالازدراء والاحتقار. (الشماس، 2004، ص27)

2. الأنثروبولوجيا في العصور الوسطى:

1.2. العصور الوسطى في أوروبا:

مع نهاية القرن الخامس الميلادي تقريبا بدأت السلطة المركزية لروما في التدهور والانهيار، ودخلت أوروبا في فترة زمنية طويلة ترتبط عادة في أذهان الأوربيين **بالنكسة الحضارية** والارتداد بالفكر الى حقبة مظلمة وتعرف هذه الحقبة بالعصور الوسطى، لأنها وقعت بين عهدين أولهما زمن الفلسفات الأوروبية القديمة سواء ما ازدهر منها في أثينا أو روما، وثانيهما عصر النهضة الأوروبية الذي حاولت أوروبا خلاله الخروج من الظلمات الى النور، في هذه الفترة انتشر الارهاب الديني المسيحي.

خلال العصور الوسطى تدهور التفكير العقلاني وأدينت أية أفكار تخالف التعاليم المسيحية أو ما تقدمه الكنيسة من تفسيرات للكون وسيطرت الكنيسة سيطرة مطلقة على اتجاهات التفكير الاجتماعي،

لذلك كان من بين المحاولات التي ظهرت في أوروبا وصنفت على أنها أعمال ذات صلة بالأنثربولوجيا، والتي اتسمت بالوصف التخيلي، ما قام به الأسقف **إسيدور isidore** الذي عاش ما بين (560-636)، أعد موسوعة عن المعرفة خلال القرن السابع الميلادي أشار فيها الى بعض عادات وتقاليد الشعوب المجاورة، حيث قرر **إسيدور** وبنظرة عنصرية أن قرب الشعوب أو بعدها من أوروبا هو الذي يحدد درجة تقدمها، كما وصف الذين يعيشون في أماكن نائية أنهم أناس غريبو الخلقة، كما ظهرت أيضا خلال القرن الثالث عشر موسوعة أخرى للفرنسي **باتولو ماكوس Batolomacus** والتي تختلف عن سابقتها في اعتمادها على الخيال في وصف الشعوب. (فهيم، 1986، ص41-43).

ومن بين الأسفار التي قام بها المحاربون، في الحروب الصليبية والمبشرون التجار، ظهرت كتابات عديدة عن تلك الأسفار والرحلات من بينها صدرت مدونات الايطالي **جون دي بلانو كاربيني Carpini** (1182-1252)، الذي توجه الى البلاد التتار، بناءا على تكليف البابا، لدراسة تقاليدهم وعاداتهم، قصد انجاح عمليات التنصير فيما بعد. (فهيم، 1986، ص51).

ومن الرحالة المشهورين الذي عاشوا تلك الفترة أيضا **ماركو بولو Marco polo** البندقي (1254-1323) الذي سافر الى الصين ومكث فيها منشغلا بالتجارة لمدة 24 سنة، وفي نفس الوقت كتب عن العادات والتقاليد الاجتماعية ونمط التفكير في المجتمع الصيني.

2.2. العصور الوسطى عند العرب:

اتسمت هذه الفترة بما سمي بالفتوحات الاسلامية، مما اقتضت الفتوحات لبلدان وشعوب متنوعة الاهتمام بدراسة أحوال الناس في البلاد المفتوحة وسبل إدارتها، فبرز العرب والمسلمون في وضع المعاجم الجغرافية كمعجم البلدان **لياقوت الحموي** (626هـ/1228م)، الذي وصف البلدان التي مر بها مع وصف لشعوبها، كذلك تم إعداد الموسوعات التي بلغت ذروتها في القرن الثامن الهجري، الرابع عشر الميلادي مثل **مسالك الأمصار لابن فضل الله العمري** (1301-1349م)، و**نهاية الإرب في فنون العرب للنويري** (شهاب الدين بن أحمد) (667-721هـ). ومنهم من تخصص بدراسة إقليم معين مثل **البيروني** بين 362-440هـ الذي وضع كتابا بعنوان "**تحرير ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة**"، وصف فيه المجتمع الهندي بما فيه من نظم دينية واجتماعية وأنماط ثقافية، والى جانب اهتمام هذه الكتب بشؤون العمران فقد اتسمت مادتها بالاعتماد على المشاهدة والخبرة الشخصية، وهذا ما جعلها مادة خصبة من ناحية المنهج الانثروبولوجي في دراسة الشعوب والثقافات الإنسانية. (الشماس، 2004، ص21-22)

كما نستطيع الربط بين تبلور الأفكار الانثروبولوجية والرحلات التي قام بها المغامرون والمستكشفون الى أقاصي مناطق الأرض، قد صدرت على إثرها العديد من الكتب تتحدث عن الشعوب التي اكتشفوها، ومن بينهم **ابن جبير** الذي جاب بلدان العالم الاسلامي من مراكش الى صقلية الى الحجاز، وكتب عما شاهده من عادات وأنماط الحياة، واختلافها من منطقة الى أخرى، وكذلك تحدث عن الإسكندرية، ووصف المسجد الحرام ومكة، وزار العراق وأنهاره وعن كل ما لاحظه في رحلته. (أحمد رشوان، 2003، ص39-40).

كما كانت رحلات **ابن بطوطة** (1304-1378م) وكتاباته ذات طابع انثروبولوجي، اذ يعتبر أعظم رحالة عربي في العصور الوسطى فقد انطلق من موطنه في شمال افريقيا في سلسلة من الأسفار الى روسيا والصين والهند وسومطرة وكمبوديا ثم غرب افريقيا شبه الصحراوية ومن ضمنها تمبكتو، وكان مجمل ما قطعه في أسفاره خلال الثمانية والعشرين عاما ينوف على خمسة وسبعين ألف ميل. ثم أملى روايته بأمر ملكي علي محمد بن جزي، وتكشف رواية **ابن بطوطة** كثيرا من المعلومات عن الحكومات الاسلامية في زمانه وكذلك تفصيلات من الممارسات الاسلامية الدينية والثقافية (بيرتي ج بيلتو، 2010، ص33-34)

ومن بين مؤلفاته كتاب "**الرحلة**" الذي دون فيها ملاحظاته وقد أسماه بـ "**تحفة النظّار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار**"، هذا العالم الجليل دخل التاريخ من باب رحلته العظيمة التي أصبحت مرجعا مهما للجغرافيين والمؤرخين وعلماء الأنثروبولوجيا والمهتمين بالحياة اللغوية والاقتصادية والدينية والسياسية، ولقد أصبحت الرحلة اليوم بعد دراستها واستيعابها وتتبع مضامينها وشخصياتها الإسلامية، الى جانب طول فترتها التي امتدت الى ما يقرب من ثلاثين سنة، واتساع رقعة مساحتها التي تجاوزت افريقيا الى آسيا وأوروبا، وتنوع معلوماتها ومصداقية أخبارها... أصبحت نتيجة لكل ذلك تُنعت بأنها أعظم رحلة في تاريخ البشرية جمعاء (عبد الهادي التازي، 2002، ص10).

وكان **ابن خلدون (1332-1406)** المؤرخ الأعظم والفيلسوف الاجتماعي لهذه الفترة، الذي عاش فيما يعرف الآن بتونس. كتب **ابن خلدون**، فضلا عن أشياء أخرى، تاريخا ضخما عن العرب والبربر، مزودًا بمقدمة نقدية طويلة حول استخدامه للمصادر، لقد أنشأ أولى النظريات الاجتماعية غير الدينية وسبق أفكار ايميل دوركايم عن التمسك الاجتماعي، والتي تعد اليوم حجر الزاوية لعلم الاجتماع والانثروبولوجيا، بالتوافق مع دوركايم والأنثروبولوجيين الأوائل الذي استخدموا نظرياته، ويؤكد **ابن خلدون** أهمية القرابة والدين في خلق شعور من التلاحم والالتزام المتبادل بين أعضاء جماعة ما. (هيلاند إريكس وفين سيفرت، 2014، ص18).

يبدو أن ابن خلدون ينظر الى موضوعه من أفق شاسع جدا، ويجعل من المجتمع الإنساني كله وما يعرض له من الظواهر الطبيعية مادة لتأمله، ويحاول أن يتتبع هذا المجتمع بالدرس والتحليل في جميع أطواره منذ نشأته وبداءته، وتردده بين الضعف والقوة والفتوة والشيخوخة والنهوض والسقوط. ويستقصي من خلال ذلك أحوال هذا المجتمع وعناصر تكوينه وتنظيمه من الفرد والجماعة الى السلطان والدولة وما تقتضيه سلامة هذا المجتمع وما يؤذن بفساده وانحلاله.

وقد أعطى **ابن خلدون** التاريخ تعريفا اجتماعيا حيث يقول: "يهدف التاريخ الى إفهامنا الحالة الاجتماعية للإنسان، أعني الحضارة، و يهدف كذلك الى أن يُعلمنا الظواهر التي ترتبط بهذه الحضارة والى معرفة الحياة البدائية وتهذيب الأخلاق وروح الأسرة والقبيلة، وتباعد وجهات النظر في أن سُمّو شعوب على شعوب أخرى يؤدي الى نشأة إمبراطوريات وأسر حاكمة، وفوارق الطبقات والمصالح التي يكرس لها الناس أعمالهم ومجهوداتهم مثل المهن المريحة، والصناعات التي تعين على الكسب، والعلوم والفنون، وأخيرا جميع التغييرات التي تحدثها طبيعة الأشياء في سلوك المجتمع". (جاستون بوتول، 2021، ص26).

وقد ناقش **ابن خلدون** علم الانثروبولوجيا في المقدمة من الكتاب "**العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**". حيث انطلق من مقدمات عامة بنى عليها تحليله للاجتماع الإنساني.

كما استند في تحليلاته الى مصطلح العصبية، التي هي بمثابة مفهوم مركزي في التحليل الخلدوني لنشأة المجتمعات وتطورها واندثارها، وهو بالطبع يتخذ من المجتمعات العربية التي عاشها حالة واقعية لدراسته، ويعني بلفظ "**عصبية**" الروابط الديناميكية والروح العشائرية القائمة على لحمة الدم. فالعصبية هي رابطة الدم المشترك التي تحرك القبيلة لتفرض سلطتها على غيرها، وتساهم في رص العصبيات الأخرى الضعيفة لتشكل منها الدولة والحضارة، ولا زالت هذه الدولة قوية ما دامت العصبية قوية مجافية للنعيم والتمتع بالملذات، فلا تماسك للدولة بدون عصبية. (عامر مصباح، 2010، ص32).

كما أشار الى أن الانسان هو كائن الحي الوحيد الذي يحتاج الى سلطة بدونها لا بد أن تسود الاضطرابات والفوضى، لأن الغرائز الشريرة تكمن فيه. أما من جهة سلطته فإنها لا تقوم إلا على القوة، وهذه القوة تتعلق بالجماعات التي تكتسب السلطة بفضل شجاعتها وتماسكها وتضامنها، وهذه الصفات التي تخلق الاستعداد لأخذ السلطة ترجع أصولها الى الحياة البدوية، ولكن ليس نوع هؤلاء إلا القلة من

البدو وأنصاف البدو مثل الجرمانيين والمغول والتتار والنورمانديين الذي قاموا بكثير من الغزو في أسرع وقت وعلى أوسع نطاق (جاستون بوتول، 2021، ص27-28).

كما تضمن علم الانثروبولوجيا عند ابن خلدون موضوع أثر المناخ في صياغة سلوك البشر وأخلاقهم، إذ أنه في بعض الأحيان، تتباين سلوكيات البشر تبعا لتباين المناخ السائد في كل منطقة، ويعتمد ابن خلدون في التدليل على أطروحات بالأدلة الميدانية التي جمعها عبر الملاحظة. فهو ينسب سلوك المرح والحمق الذي يتميز به ذوي البشرة السوداء الى طبيعة المناخ الحار السائد في مناطقهم، وفي المقابل يرى أن المناخ البارد أو الآخذ في الاعتدال يؤثر بدوره في سلوكيات البشر وأخلاقهم، ونمط عيشهم وإدراكهم للبيئة بحيث ينمي المخاوف لديهم نحو المستقبل، ومن ثم يُسخّرون جهودهم في الاستعداد للأسوأ ويدخرون قوتهم ويكثرون أموالهم، فالهواء البارد يجعل سلوك الانسان شديدا عبوسا، مشوبا بالمخاوف.

كما تطرق الى موضوع العلاقة بين النبات وخصوبة الأرض، وحجم وشكل أجسام البشر، فهو يرى أن الشعوب التي تعيش في المناطق المرتفعة ألوانهم صافية، وأبدانهم أنقى وأشكالهم حسنة وتامة، على عكس نظرائهم الذين يعيشون في مناطق المنخفضة الرطبة تكون أجسامهم قبيحة وألوانهم متغيرة من جراء الأكل العفن، فأجسامهم ممتلئة بشكل سيء، ووجود ترهلات مشوهة لقامة الجسم واستوائه. كما يربط **ابن خلدون** بشكل مباشر ووثيق بين طبيعة الكلأ والعشب والنبات والأشكال التي تكون عليها أجسام الحيوانات، ثم يسحب كل ذلك على العمران البشري وتصنيفه على أساس الجغرافيا والبيئة النباتية والمناخية، وما تفرزه من أنواع متباينة من الأجسام الحيوانية. (عامر مصباح، 2010، 32-35)

نجد ما تناوله **ابن خلدون** يتخلله طابع أنثروبولوجي، حتى أن بعض مبادئ ابن خلدون عصرية على نحو رائع على الرغم من أنها كتبت قبل أكثر من خمسة مئة عام، وفي آخر هذه المرحلة يجدر الإشارة الى **علي بن الحسين المسعودي**، الكاتب الموسوعي، والرحالة، والمؤرخ الاجتماعي الذي كان على حد الوصف "يسير في البلاد مفتوح العين والأذن طلعة العقل والفكر كثير التساؤل، وبذلك أتيح له أن يدرك من أحوال هذه الدنيا وتطور شعوبها وشيعها ما يتيح لكثير من معاصريه"، ويعتبر مؤلفه الشهير "**مروج الذهب ومعادن الجوهر**" الذي دونه حوالي سنة 912م، "**كتاب سياحة ومعرفة جغرافية، وعمران وعلم وملاحظة، وأخبار وأساطير**" ويحتوي **الجزء الأول** منه بصفة خاصة على ما يمكن أن يشار إليه بأنه ذو صلة وثيقة بمسائل أنثروبولوجية أساسية، وذلك لما ورد فيه من وصفه للخليقة، وعرضه للأديان والعادات والمذاهب، ففي **الجزء الثاني** من مؤلفه نجده يشير الى تأثير البيئة على الإنسان فيذكر أن

"سحب الشام ومرتفعاتها ورياحها تحسن الجسم، وصفي اللون، وإن كانت تبلد العقل وتجفي الطبع، أما حرارة مصر وركود هوائها فتكدر الألوان وتخيب الفطن، والمغرب يقسي القلب ويوحش الطبع، ويذهب بالرحمة والجبال في (همدان أو عراق العجم) تخشن الأجسام وتبلد الأفهام لغلظ التربة وتكاثف الهواء. أما العراق سرة الأرض وقلبها، حيث وقف الاعتدال، فصفت أمزجة أهله، ولطفت أذهانهم، واحتدت خواطرهم، فهو مفتاح الشرق ومناره". (فهيم، 1986، ص46)، لذلك كان المؤرخون يطلقون على **المسعودي** لقب **شيخ الرحالة العرب**، كما يشار إليه أحيانا باسم **هيرودوت العرب**، وبناء على ذلك، فإن الفلاسفة والمفكرين العرب والمسلمين قد أسهموا بفاعلية كبيرة في معالجة كثير من الظواهر الاجتماعية التي تدخل في الاهتمامات الأنثروبولوجية، من حيث التنوع الثقافي وابراز خصائصه وسيماته الثقافية على أساس عقد مقارنات بين مختلف الشعوب والمجتمعات البشرية والتي تعد مصدرا للمادة الاثنوجرافية تصف أسلوب الحياة لمجتمع معين من عادات وتقاليد ونوع النشاط الاجتماعي وأنماط الحياة، فهي تراث ثقافي من خلاله يسمح بالتعرف على مختلف المجتمعات عاشت في فترات زمنية سابقة.

3. الأنثروبولوجيا في عصر النهضة الأوروبية:

يتفق المؤرّخون على أنّ عصر النهضة في أوربا، بدأ في نهاية القرن الرابع عشر الميلادي، حيث شرع الأوروبيون بعملية دراسة انتقائية للعلوم والمعارف الإغريقية والعربية، مترافقة بحركة ريادية نشطة للاستكشافات الجغرافية. وتبع ذلك الانتقال من المنهج الفلسفي إلى المنهج العلمي التجريبي، في دراسة الظواهر الطبيعية والاجتماعية، والذي تبلور وتكامل في القرن السابع عشر، لقد تميّز عصر النهضة الأوربية، بظاهرة كان لها تأثير في توليد نظريات جديدة عن العالم والإنسان، وهي أنّ المفكّرين اتفقوا، على الرغم من تباين وجهات نظرهم، على مناهضة فلسفة العصور الوسطى اللاهوتية، التي أعاقت فضول العقل الإنساني إلى معرفة أصول الأشياء ومصادرها، وتكوين الطبيعة وقوانينها، وصفات الإنسان الجسدية والعقلية والأخلاقية. (الشماس، 2004، ص33)

ومن حيث صلة عصر النهضة بعلم الأنثروبولوجيا، نجد أنه إذا كانت الانثروبولوجيا قد تبلورت فيما بعد في القرن 19 على وجه التحديد حول دراسة تطور الحضارة الإنسانية في إطارها العام عبر التاريخ، فقد كان لزما حينذاك أن تتوفر مادة وصفية عن ثقافات أو حضارات أوروبا وغيرها حتى يتسنى عقد المقارنات وترتيب الشعوب وأساليب حياتهم وفق مراحل تطورية معينة، وهنا يكمن أحد الإسهامات الأساسية لعصر النهضة في تكوين الأنثروبولوجيا ونشأتها. (فهيم، 1986، ص64).

شهد القرن 15 سلسلة من التطورات المهمة مهدت الطريق لإضافات واسعة الى معرفة الانسان فقد طورت في عام 1446 طباعة ناجحة. وجلب العرب صناعة الورق الى أوروبا الغربية. وأدى سقوط القسطنطينية عام 1453 الى هجرة العلماء الارسطوطاليين في أوروبا الغربية. وقد كان لكل هذه التطورات أثر محفز في الحالة العلمية في الغرب.

وفي نهاية القرن الخامس عشر قام بحارة برتغاليون واسبان وغيرهم بمغامرة في المحيطات المجهولة آنذاك حتى وصلوا العالم الجديد (بيرتي ج بيلتو، 2010، ص35) وتم اكتشاف القارة الأمريكية خلال الرحلة التي قام بها **كريستوف كولومبوس** (1492–1502) حيث عاين وشاهد طريقة عيش السكان الأصليين في العالم الجديد من خلال احتكاكه المباشر بالسكان ومعايشته المباشرة لمختلف أنماط حياتهم، ذلك الذي جعل وصفه يتسم بشيء من الموضوعية.

وصف **كولومبوس** سكان جزر الكاريبيان في المحيط الأطلسي، كما وصف سكان أمريكا الأصليين:" أنهم يتمتعون بحسن الخلق والخلق، وقوة البنية الجسدية، كما أنهم يشعرون بحرية التصرف فيما يمتلكون الى حد أنهم لا يترددون في إعطاء من يقصدهم أيا من ممتلكاتهم، علاوة على أنهم يتقاسمون ماعندهم برضا وسرور...." (الشماس، 2004، ص34).

كان لرحلات **كولومبس** أثرها الكبير في إدخال أوروبا حقبة جديدة، وفي تغيير النظرة الى الإنسان عامة، والإنسان الأوروبي خاصة، مما أثر بالتالي في الفكر الأنثروبولوجي، وذلك لأن هذه الاكتشافات الجغرافية الاجتماعية وما تبعها من معرفة سكان هذه الارض بميزاتهم وأنماط حياتهم، أظهرت بوضوح تنوع الجنس البشري، وأثارت كثيرا من المسائل والدراسات حول قضايا النشوء والتطور عند الكائنات البشرية (الشماس، 1986، ص34).

وقد ظهر في هذا العصر، أول كتاب يحمل عنوان مصطلح الأنثروبولوجيا في عام 1501، **لهاندت Hundt** وهو محاولة للحديث عن جسم الإنسان من الناحية التشريحية، ثم توالت الأعمال حول علم الأنثروبولوجيا منها عمل **ميسي Messie** تحت عنوان "**دروس متنوعة**"، وكذلك **جون بودان Bodin** الذي كتب عام 1557 كتابا بعنوان "**كتب الجمهورية الستة Six Livres de la Republic**"، وكذلك **إدوارد بربروود** الذي نشر دراسات حول السلالات البشرية في أمريكا. (عامر مصباح، 2010، ص30)

تبلور في الفترة ذاتها الاتجاه الإنساني العلمي الذي يقوم على المنهج العلمي التجريبي منه والعقلي الرياضي، على يد كل من **فرانسيس بيكون** (1561–1626) و**رونيه ديكارت** (1596–1650) و**اسحاق**

نيوتن 1727، بحيث أصبح ينظر للإنسان باعتباره ظاهرة طبيعية يمكن دراسته باستخدام المنهج العلمي من أجل الكشف عن القوانين التي تحكم تطور الانسان والمجتمع بما مهد لبلورة قاعدة نظرية ومنهجية للعلوم الاجتماعية والانسانية، وأسهم بشكل واضح في تشكيل الأرضية العلمية للأنثروبولوجيا كعلم خلال القرن التاسع عشر (الشماس، 1986، ص35).

ثم جاء القرن الثامن عشر فانتعشت الكتابات الأنثروبولوجية بسبب زيادة ظاهرة الاستيطان، وزيادة معرفة الإنسان بالأرض والتدفقات الاستعمارية الى مناطق شاسعة من الأرض. وفي هذا الصدد نجد **لافيتو Lafiteau** الذي قام بتأليف كتاب تحت عنوان "**مقارنة أخلاق الأمريكيين المتوحشين بأخلاقهم في العصور الأولى**" «Ameriquains Mœurs des Sauvages Conparces aux Mœurs des temps» عام 1729، الذي درس عادات الهنود الحمر في أمريكا (عاصر مصباح، 2010، ص30) .وكتاب **جان دي منييه Démeunier** سنة 1778 بعنوان "**روح العادات والتقاليد في جميع الشعوب**" عرض فيه لعدد كبير من عادات الشعوب المختلفة، عاقدا بينها مقارنات وموازنات ولا سيما الموازنة بين عادات الشعوب التي ورد ذكرها في الكتاب المقدس كالعبرانيين، وعادات الشعوب الأوروبية، مستنتجا من ذلك أن العادات والتقاليد والاخلاق ومعاييرها كلها نسبية، أي هي تنشأ بالنسبة لكل شعب حسب ظروفه، ومن هنا يأتي اختلاف المعايير الأخلاقية والجمالية بين الشعوب (حسن شحاتة، 1966، ص37).

كما احتلت كتابات **جان جاك روسو j.j. Rossow** أهمية كبيرة لدى مؤرخي علم الأنثروبولوجيا، وذلك بالنظر لما تضمنته في دراستها الأثنوغرافيا للشعوب المكتشفة (المجتمعات البدائية) مقارنة مع المجتمعات الغربية/ الأوروبية. ومن مؤلفاته "**العقد الاجتماعي**" الذي يعد من البواكر الأولى للفكر الأنثروبولوجي. (الشماس، 1986، ص37).

ومن الأعمال المنجزة نجد عمل المفكر الاجتماعي الفرنسي **بارون دي مونتسكيو Baron de Montesquieu** (1689–1755) الذي يحمل عنوان "**روح القوانين The spirit of the Laws**" الذي نشر في عام 1748، قام من خلاله بتحليل ظاهر القوانين في المجتمعات الإنسانية، باعتبارها الروابط الطبيعية التي تنظم الجماعات الإنسانية في كل المناطق التي تشهد تجمعات حضرية، والتي بدورها تؤثر على نمط تفكير هذه المجتمعات... كما أن المجتمع الإنساني يتأثر بعدة عوامل منها المناخ والدين والقوانين وسياسة الحكومة والأخلاق والعادات فهو بذلك أوضح فيه فكرة الترابط الوظيفي بين القوانين والعادات والتقاليد والبيئة. (عامر مصباح، 2010، ص36–40)، وقد سادت هذه الفكرة الترابطية في أعمال الأنثروبولوجيين في أوائل القرن العشرين، وانتقل اهتمام **مونتسكيو** الى الكتابات الانثروبولوجية وشكل مجالا واسعا للدراسات الأنثروبولوجية. (الشماس، 2004، ص37). وبعده قام **ترجو Turgot** نظريته حول

التقدم الاجتماعي، حيث قال أن أسلافنا، وروادنا من اليونان القدامى، كانوا يشبهون المتوحشين، حين اكتشفت أمريكا، ونحن نرى شعوبا مُتمدينة، في بعض أجزاء العالم، وأخرى تتجول في الغابات، في البعض الآخر، فهنالك اذن تقدم غير متكافئ، أما عن **كوندرسيه Moravis de Condercet** (1743–1794م) فقد قدم بحث عام 1793، أُعتُبِر مسودة لتاريخ تقدم الانسان.

وفي ألمانيا فقد تبلور الفكر في عصر التنوير، عن التفوق العنصري والنزعة القومية الشوفينية (التعصبيّة)، وظهر ذلك واضحا في كتابات كل من **فلاديمير وليم هيجل v.w.Hegel** (1770–1831)، و**جوهان فختة Fichte** (1762–1814) حيث جعلا الشعب الألماني الشعب الأمثل، والأنقى بين شعوب العالم. (أحمد رشوان، 2003، ص48)

4. الأنثروبولوجيا في القرن التاسع عشر:

منذ القرن التاسع عشر، أصبحت تأخذ الدراسات الأنثروبولوجية طابعا أكاديميا يسير نحو ظهورها كعلم مستقل عن التراث الاجتماعي كما طرحه الرواد الأوائل. وذلك من خلال القيام بالعديد من الدراسات حول بقايا الحياة الإنسانية المكتشفة في الحفريات التي أجريت في مناطق مختلفة من العالم، وكذلك بسبب تقدم دراسات علوم الآثار، والتقدم الحاصل في فهم الحضارات القديمة. بالإضافة الى تقدم الأبحاث في العلوم الجيولوجية **Geological** والباليونتولوجية **Palaeontological** والتي كشفت عن عمر الأرض التقريبي. وتعتبر الفترة الممتدة ما بين عامي 1861–1871 هي فترة تبلور الأنثروبولوجيا كعلم مستقل. وذلك بسبب العديد من الدراسات التي ظهرت في هذه الفترة، سواء في بريطانيا أو في فرنسا أو في الولايات المتحدة. ويمكن تعداد العلماء والأعمال التي قاموا بها في النقاط التالية:

- **هنري مين** Henry Main: وتمثلت أعماله في كتابه "**المجتمع القديم**" Ancient Society الذي صدر عام 1861، وكتابه **المجتمعات القروية في الشرق والغرب**" Village Community in East and West الذي صدر عام 1871.
- ادوارد **تايلور** Sir Edward Tylor (1832–1917م): وتمثلت أعماله في كتابه تحت عنوان "أبحاث في التاريخ القديم للجنس البشري Research into the Early History of Mankind الذي نشر عام 1965، وكتابه تحت عنوان "**الثقافة البدائية**"، بالإضافة الى أنه عمل مدرسا لعلم الأنثروبولوجيا في جامعة أكسفورد خلال الفترة الممتدة بين عامي 1884–1909م.
- **السير هنري لابوك** H.Labbock: الذي أنجز عملا بعنوان "**أصل الحضارة**The Origin of Civilization".

- **ماكلينان Mclennan** (1827–1881م): وكان محاميا اسكتلانديا، ونشر مقالا بعنوان "**القانون**" في دائرة المعارف البريطانية عام 1858، ثم ألف كتاب تحت عنوان "**الزواج البدائي**" Primitive Mariage ونشره عام 1865م.
- **فوستيل دي كولانج** Fustel Coulange: من فرنسا، وكتب كتابا تحت عنوان "**المدينة العتيقة** La Cite Antique ونشره عام 1864م.
- **لويس هنري مورجان** Lewis Henry Morgan: وهو أميركي، قام بدراسة على قبائل الهنود الحمر في أميركا الشمالية، كما ألف كتابا تحت عنوان "**أنساق روابط الدم والمصاهرة في العائلة الانسانية**" ونشر عام 1871م.
- **باخوفين** lt. Bachofen: وهو سويسري ألف كتابا في علم الأنثروبولوجيا تحت عنوان "**حق الأم**"، ونشره عام 1861.

كذلك **وليام سميث w. Smith** أحد مؤسسي علم الأديان المقارن و**جون لبوك G.Lubbock** في دراسته عن تطور الزواج من مرحلة الاباحية أو الشيوعية الجنسية في فترة لاحقة، و**هربرت سبنسر H.Spencer** (1820–1903) وفكرته عن تطور المجتمع الانساني...

وغيرهم كثيرون، ولقد ساهم هؤلاء العلماء بالكثير من الموضوعات وادخلوا الكثير من المفاهيم والمصطلحات الانثروبولوجية نذكر منها على سبيل المثال:

الأنيميزم Animism أو المذهب الحيوي، **الاندوجامية Endogamy** أو الزواج الداخلي، و**الاكسوجامية Exogamy** أو الزواج الخارجي أو الاغترابي، و**المونوجامية** أي الزواج الاحادي و**البولياندرية Polyandry** أو تعدد الأزواج بالنسبة للمرأة الواحدة، و**الليفراتيه Levirate** إشارة الى زواج الأخ بأرملة أخيه المتوفي، وكذلك مفهوم **العائلة الأموية Matrilimeal Family** و**العائلة الأبوية Patrilined Family**، وكلاهما يشير الى الانحدار في خط الاناث أو الذكور على التوالي، و**الطوطمية Toem** وتطلق على كل أصل حيواني أو نباتي تتخذه العشيرة رمزا ولقبا لها وتنزله منزلة التقديس...الخ (فاروق مصطفى، 1980، ص17)، نجد أن هؤلاء العلماء وغيرهم قد قدموا مساهمات قيمة للعلم، وهذا ما يقابل طبيعة العصر شجعت الناس لأن يبحثوا وأن يعتنقوا الأفكار عاصرت حركة النهضة الفكرية.

5. الانثروبولوجيا في القرن العشرون:

ان الفترة الممتدة ما بين عامي 1900 الى عام 1924م، فإن علم الأنثروبولوجيا وصل مرحلة التبلور، والصياغة لوحدات التحليل والتفكير الخاصة به وتميزت هذه الفترة بكثرة الأبحاث الميدانية حول المجتمعات البدائية وبقايا آثار الإنسان القديم أو ما يسمى بالدراسات ما قبل التاريخ (الأركيولوجي)، وانتشار تدريس الانثروبولوجيا في الجامعات العالمية، وأصبح هناك تمييزا بين الأنثروبولوجيا من ناحية والإثنولوجيا من ناحية أخرى، ولو أنهما يشتركان في نفس موضوع البحث. ويرجع الفضل الكبير في تطبيق الدراسات الميدانية بطريقة منهجية لعالم الأنثروبولوجيا الانجليزي **هادون**، عندما كان على رأس بعثة علمية من جامعة كامبردج لدراسة منطقة توريس **Torres Straits** في المحيط الهادي، واستغرقت تلك الدراسة عامين (1898–1900)، كما عمل استاذا لعلم الانثروبولوجيا في جامعة كامبريج منذ عام 1900. كذلك برز عالم الاجتماع والانثروبولوجي **مالينوفسكي برونسلو** هو عالم انجليزي من أصل بولندي، وكذلك **راد كليف براون** في دراسة علم الأنثروبولوجيا من منظور الوظيفي. اذ يعود الفضل الى **مالينوفسكي B.Malinovski** في تأسيس المنظور الوظيفي في التحليل الانثروبولوجي، وذلك بالدراسة التي قام بها لسكان **جزر التروبرياند** بمنطقة ميلايتريا (عامر مصباح، 2010– ص48)، الذي قضى في دراسة السكان مدة استطاع من خلالها، أن يفهم ويحلل العلاقات الاجتماعية بينهم، وسنة 1924 بدأ **مالينوفسكي** تدريب مجموعة من الانثروبولوجيين الأذكياء، في مجال الدراسة الميدانية، كما يعد **راد كليف براون** من أشهر علماء الأنثروبولوجيا البريطانيين، وهو تلميذ لكل من **ريفرز** و**هادون**، قام بدراسة **سكان الأندمان**، وهي مجموعة من الجزر في الخليج البنغال، جنوب بروما، وفي سنة 1937 أعاد تنظيم معهد الانثروبولوجيا في جامعة أكسفورد وعمل تطور اتجاهاته، هذا بالإضافة للاهتمام بدراسة النظام السياسي، أخذ يظهر جليا، عندما اتجهت الدراسات الميدانية نحو افريقيا من أجل دراسة وضع الرئيس في المجتمعات البدائية، وذلك من خلال الدراسة التي أجراها العلامة **ايفانز بريتشارد**، حول **قبائل النوير The Nuer** في السودان، عام 1940. (أحمد رشوان، 2003، ص51)

أما في الولايات المتحدة الأمريكية فقد انشئ مكتب للأثنولوجيا أو علم الإنسان التحليلي في واشنطن سنة 1879، كان هذا المكتب يصدر تقارير سنوية دفعت البحوث الانسانية الى الأمام دفعا أدت الى تقدمها.

ورأس علماء الإنسان الامريكيين **فارنتس بواس F.Boas** (1858–1942) الذي كتب عن **الاسكيمو** و**قبائل كواكيوتل** وأصدر سنة 1911 كتاب القيم عن "**الرجل البدائي**". ولقد سبق أن عرضنا لجهود

مورجان الأمريكي في هذا الشأن. والى جانب هذين المفكرين نذكر **كلارك فسلر Wissler** في كتابه عن "**الهندي الأمريكي أو الإنسان والثقافة في أمريكا**" سنة 1923، و**ألفرد كروبر A.L.Kroeber** (1876-1960م) في كتبه المختلفة ولا سيما كتاب "**طبيعة الثقافة**" سنة 1952، ثم **الكزاندر جولد نفيزر** صاحب المؤلفات الشهيرة في فروع علم الأنثروبولوجيا، ولا سيما كتاب "**الحضارة المبكرة**" سنة 1922، وكذلك **روبرت لوى R.H.Lowie** في كتبه المعروفة وأبحاثه وعلى الخصوص كتاب "**الثقافة وعلم الانسان التحليلي**" سنة 1917م و"**المجتمع البدائي**" سنة 1920 و" **التنظيم الاجتماعي**" سنة 1948، وأخيرا نجد **ادوارد سابير Sapir** صاحب الدراسات اللغوية.

وفي فرنسا نذكر على وجه الخصوص لوسيان ليفي بريل **Levy Bruhl** في مؤلفاته "الروح البدائي" و"العقلية البدائية" سنة 1922 و" الأساطير الدينية البدائية"، ثم لوتورنو **Ch.Letourneau** (1831-1902) الذي كان يتبع المذهب التطوري في كتابه" علم الاجتماع وفق علم الإنسان الوصفي"، ودينيكر **j.Deniker** في كتابه" سلالات الأرض وشعوبها" سنة 1900، ثم اميل ماسكاري الذي بحث في شعوب شمال افريقيا منذ سنة 1886.

ثم ظهر بعد ذلك كل من ليفي ستروس **Levy Strauss**، وبول ريفي **Rivet**، وموريس ليهاردت **Leehardt**، وأعمال مارسل موس **M.Mauss** في مجال الدراسات الإنسانية ولا سيما في مؤلفه" الموجز في علم الانسان الوصفي" **Manuel d'Ethnographie** الى جانب مقالاته وكتبه الأخرى.

وفي روسيا السوفيتية نشأت مجلة للدراسات الإنسانية **Sovets Kaja Ethnographia** ولكن معظم البحوث –حتى في علم الاجتماع–تتجه وجهة سياسية اقتصادية لتثبيت المذهب الماركسي.

وتدخل في دراسة فروع علم الإنسان دراسة **الفولكلور Folklore** أو المرددات الشعبية، أو العادات والتقاليد والأغاني الشعبية. ولقد اشتق هذه الكلمة العالم الانجليزي **وليام جون توماس** سنة 1846، لتدل على كل ما يتعلق بالحياة الشعبية داخل المجتمعات المتحضرة. ولقد اشتق الألمان كلمة أخرى وهي "**الفن الشعبي Volks Kunde**" ولكن كلمة فولكلور كتب لها الانتشار والذيوع. (حسن شحاتة، 1966، ص42-43).

وبذلك انتقل الفكر الانثروبولوجي مع بداية النصف الثاني من القرن 20 في الدراسات الاجتماعية والثقافية من البحوث التاريخية والتطورية الى الميدانية (الحقلية)، وأصبحت الأنثروبولوجيا علما قائما بذاته، له مناهجه ومواضيعه وأهدافه، وأخذ يتطور تباعا للتطور الذي حدث على المجتمعات البدائية، واتسع نطاقه الآن الى دراسة قرى الفلاحين، بما فيها الأوروبية، وكذلك البيئات الصناعية، والمدن في المجتمعات

النامية، والشركات المتعددة الجنسيات...، كما تنوعت فروع الانثروبولوجيا وتشابكت وعلم البيولوجيا، وصولا الى دراسات الحياة الاجتماعية للشعوب المعاصرة، الريفية والحضرية. (يحي مرسي عيد بدر، 2007، ص22).

المحور الثالث

فروع الأنثروبولوجيا و انقساماتها

1. أقسام الأنثروبولوجيا:

لم تعرف الأنثروبولوجيا قبل النصف الثاني من القرن العشرين، تقسيمات وفروعًا، إذ كانت تتّم لأغراض خاصة بالباحث أو من يكّلفه، كدراسة حياة بعض المجتمعات أو مكوناتها الثقافية، ومع انطلاقتها في الستينات والسبعينات من القرن العشرين، حيث أخذت تتبلور مبادئها وأهدافها، كانت ثّمة محاولات جادّة لتوصيفها كعلم خاص، وبالتالي وضع تقسيمات لها وفروع من أجل تحقيق المنهجية التطبيقية من جهة، والشمولية البحثية التكاملية من جهة أخرى، فظهرت نتيجة ذلك تصنيفات متعّددة، استند بعضها إلى طبيعة الدراسة ومنطلقاتها، بينما استند بعضها الآخر إلى أهدافها.

فقد قّسمها **رالف بدنجتون** في كتابه "مقّدمة في الأنثروبولوجيا الاجتماعية" الصادر عام 1960، الى قسمين أساسيين (الأنثروبولوجيا العضوية أو الطبيعية، والأنثروبولوجيا الثقافية).

أما **بارنو** فقد قّسمها في كتابه "الأنثروبولوجيا الثقافية" الصادر عام 1972، إلى ثلاثة أقسام "الأنثروبولوجيا التطبيقية أو الأنثروبولوجيا النفسية أو الثقافة والشخصية، الأنثروبولوجيا الاجتماعية). (الشماس، 2000، ص59)

ومن أقسام الأنثروبولوجيا في أمريكا، نجد رالف لينتون (Ralph Linton) يقسمها الى قسمين رئيسيين:

الشكل رقم(01): يبين تقسيم لينتون لفروع الانثروبولوجيا العامة

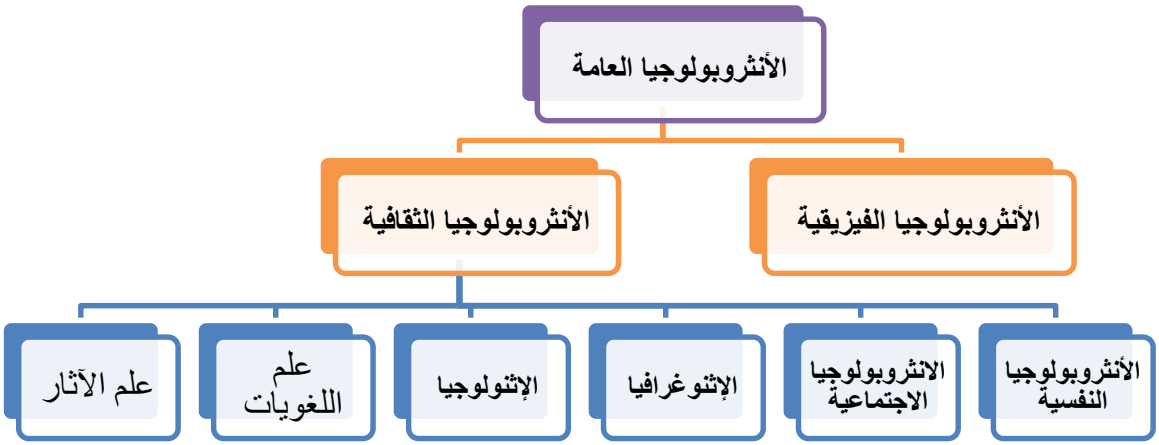

المصدر: (عطيل لموالدي، 2016، ص76)

وحسب **بوجر كيسينج Poger Keesing** تنقسم الانثروبولوجيا العامة الى قسمين رئيسيين هما:

الشكل رقم(02): يبين تقسيم بوجر كيسينج لفروع الانثروبولوجيا العامة

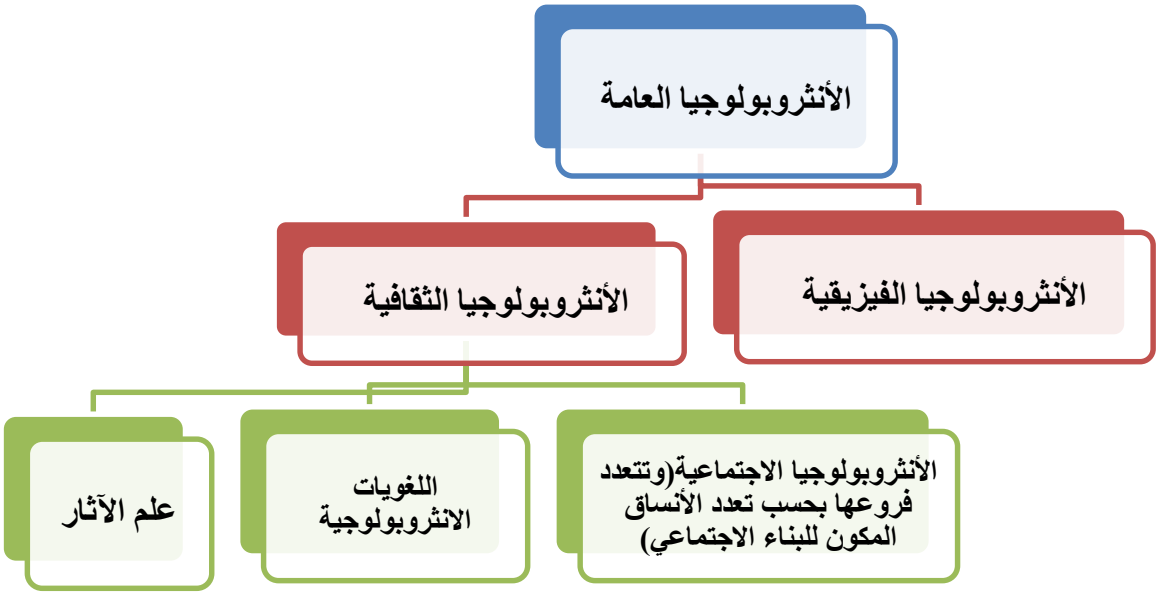

المصدر: (عطيل لموالدي، 2016، ص77)

من الشائع أنّ الأنثروبولوجيا الأميركية تقسم تقليديًا إلى أربعة فروع رئيسية: الأنثروبولوجيا الثقافية **(Cultural)** ، والأنثروبولوجيا اللغوية **(Linguistic)** والأنثروبولوجيا الفيزيائية أو البيولوجية**(Physical/Biological)** ، والأنثروبولوجيا الأثرية **(Archaeology)** هذا التقسيم حسب فرانز بواس الذي حث على المقاربة الحقل الرباعية، بمعنى تقسيم الانثروبولوجيا الى أربعة مجالات، فله الفضل في ترسيخ فكرة تضمين الميادين الأربعة في برامج الجامعية الأنثروبولوجية الأمريكي.(توماس إيركسون، فين نيلسون، 2013، ص65)

الشكل رقم(03): يبين تقسيم الانثروبولوجيا العامة حسب بواس في الجامعات الأمريكية

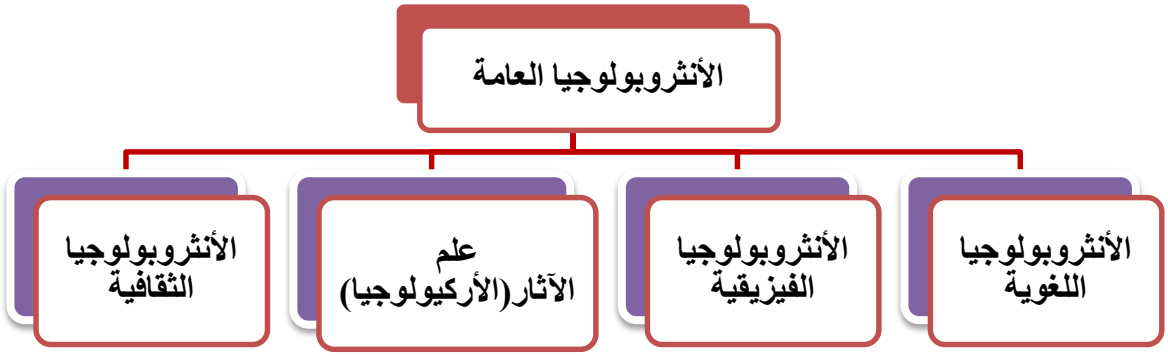

المصدر: (توماس إيركسون، فين نيلسون، 2013، ص65)

أما في بريطانيا، يُنظر إلى الأنثروبولوجيا باعتبارها **علماً اجتماعياً وإنسانياً** أكثر من كونها علمًا طبيعيا، ولهذا نجد أن أغلب الجامعات البريطانية تقسّم الأنثروبولوجيا إلى ثلاثة محاور رئيسية، هي:

الشكل رقم(04): يبين تقسيم الجامعات البريطانية لفروع الأنثروبولوجيا العامة

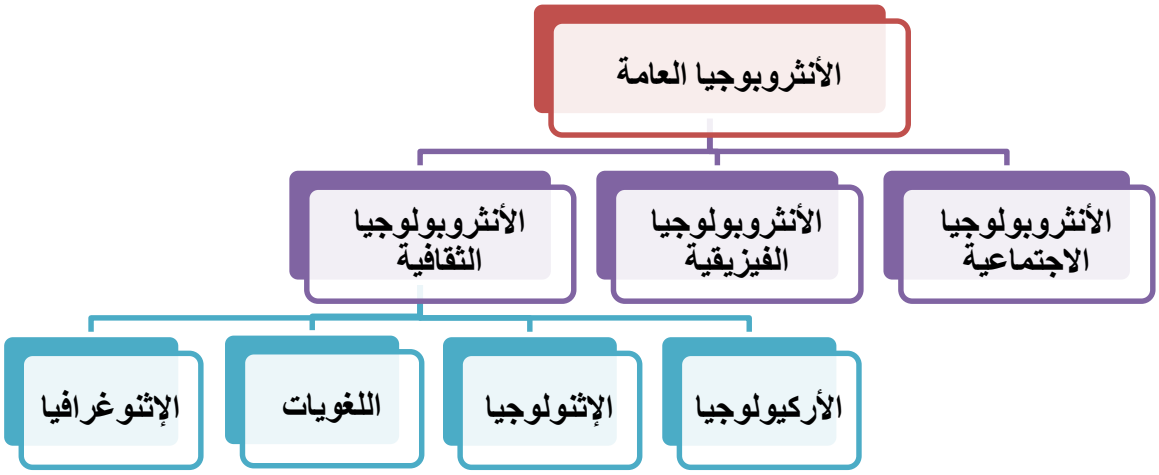

المصدر:(عطيل لموالدي، 2016، ص77)

وفي أوروبا، تميّزت الأنثروبولوجيا بتعدّد مدارسها واتجاهاتها النظرية، تبعًا للتاريخ الفكري والاجتماعي لكل بلد، مما جعلها تختلف عن النموذج الأمريكي ذي الحقول الأربعة (الثقافية، اللغوية، البيولوجية، الأثرية). ففي بريطانيا، تبلورت **الأنثروبولوجيا الاجتماعية** بوصفها المحور المركزي للبحث، حيث ركّزت على دراسة البنى الاجتماعية، والقرابة، والدين، والتنظيم الاجتماعي، متأثرة بالوظيفية والبنيوية كما تجلت في أعمال رواد مثل برونيسلاف مالينوفسكي، وإيفانز بريتشارد، ورادكليف براون. ومع تطور هذا الحقل، ظهرت فروع تطبيقية مثل الأنثروبولوجيا الطبية والبصرية والمادية، لكنها ظلت تدور في فلك المقاربة الاجتماعية.(Eriksen & Nielsen, 2013, p 102–110)

أما في **فرنسا**، فقد ارتبطت الأنثروبولوجيا ارتباطًا وثيقًا بالفلسفة البنيوية وبعلم الاجتماع، حيث ظهرت ما يُعرف بـ "**الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية**" التي اهتمت بالعقل الجمعي والرموز والأساطير في ضوء أعمال كلود ليفي–شتراوس، الذي سعى إلى الكشف عن البنى الذهنية العميقة التي تحكم الثقافة الإنسانية.(Lévi-Strauss, 1962, p. 18–25)

وتدرس الأنثروبولوجيا الفرنسية عادة ضمن كليات العلوم الاجتماعية والفلسفة، وتنقسم إلى فروع اجتماعية، وثقافية، وبيولوجية، إلى جانب الإثنولوجيا.

وفي **ألمانيا**، تطورت الأنثروبولوجيا في إطار ما يُعرف بـ Völkerkunde، أي علم الشعوب، وهو أقرب إلى الإثنولوجيا المقارنة منه إلى الأنثروبولوجيا الأمريكية. وقد انقسمت الدراسة هناك إلى ثلاثة اتجاهات رئيسية: الإثنولوجيا(Ethnologie) ، والأنثروبولوجيا البيولوجية(Biologische Anthropologie) ،

وعلم ما قبل التاريخ(Ur- und Frühgeschichte) ، مما يعكس التداخل بين المقاربة الثقافية والطبيعية والتاريخية.(Kuper, 1996, p. 35–39)

وفي **جنوب أوروبا**، لا سيما في إيطاليا وإسبانيا، ارتبطت الأنثروبولوجيا بدراسة الثقافة الشعبية والفولكلور والدين والهوية المحلية، وتُدرّس تحت تسميات مثل: "الأنثروبولوجيا الثقافية Antropologia) culturale) و"الإثنولوجيا .(Etnologia) "وقد ركزت هذه التوجهات على فهم الخصوصيات الثقافية للمجتمعات المحلية وعلاقتها بالتحولات التاريخية والاجتماعية. (Signorelli, 1996, p 44–52)

وعموما، يمكن القول إن الأنثروبولوجيا الأوروبية تمثل **تنوعًا في المقاربات أكثر من كونها نظامًا موحدًا**، إذ تتجه في مجملها نحو دراسة الثقافة والمجتمع والتاريخ، مقابل ميل الأنثروبولوجيا الأمريكية إلى الجمع بين المقاربات الثقافية والبيولوجية واللغوية في إطار واحد، هذا التنوّع يجعل الأنثروبولوجيا الأوروبية فضاء غنيًا للتفاعل بين الفلسفة والعلوم الاجتماعية والتاريخ، يعكس عمق التجربة الفكرية في القارة الأوروبية.

2. فروع الأنثروبولوجيا:

لقد تم عرض أهم أقسام الأنثروبولوجيا في المحاضرة، ووجدنا أنّ الأنثروبولوجيا تحتوي على الكثير من الفروع الّتي تختلف باختلاف الموضوعات الّتي تتناولها وتعالجها، ولقد تطورت هذه الموضوعات مع تطور المجالات المعرفية الّتي حاولت الأنثروبولوجيا أن تعرفها، وأن تكون معرفة قائمة حولها بذاتها من حيث الموضوع والقوانين والمنهج، وفي هذا السياق سنحاول التطرق إلى أهم فروعها:

1.2. الأنثروبولوجيا التطبيقية Anthropology Applied:

هي فن علمي وعملي يرتكز على محاولة الانتفاع بالنتائج الّتي يصل إليها البحث العلمي التحليلي في فروع الأنثروبولوجيا واستغلالها في النواحي العلمية التطبيقية في مقابلة ومعالجة مشكلات الجماعات المتأخرة أو القطاعات المختلفة عن المجتمعات المتحضرة، وقد اهتمت الأنثروبولوجيا التطبيقية في أوّل الأمر بحل المشكلات الإدارية الخاصة بالمستعمرات. (أحمد زكي، 2009، ص21)

وهذا بعد تأسيس الجمعية الأمريكية للأنثروبولوجيا التطبيقية، في عام 1941، امتد نطاق توظيف الأنثروبولوجيين واستخدامهم في جهات حكومية عديدة وفي بعض المؤسسات الصناعية خلال الثلاثينيات والأربعينيات، وقد اتضح بجلاء خلال الحرب العالمية الثانية إمكانية توظيف الأنثروبولوجيا لخدمة أهداف الحرب.

ومع ذلك فإنّ توظيف المعرفة الإثنولوجيا للغايات السياسية قد تعدّل بعد الحرب العالمية الثانية تحت تأثير الاتجاهات التحريرية في الفكر الإثنولوجي، الّتي سادت خاصة في الستينيات والسبعينيات حين

رفض عدد كبير من الأنثروبولوجيين توظيف الإثنولوجيا لخدمة الإدارة الحكومية أيا كان نوعها وهدفها، على أساس أنّ ذلك يمثل استخداما غير أخلاقي لمعلوماتهم عن الشعوب أو المجتمعات الّتي أولتهم الثقة ومنحتهم فرصة الدراسة.

ويصر الاتجاه السائد الآن في نشاطات الأنثروبولوجيا التطبيقية على استخدام نتائج الدراسات الإنسانية لمساعدة الدول النامية على النهوض والتقدم من خلال عمليات التغيير الموجه في إطار التنمية القومية، ونتيجة لذلك نشأ تخصص جديد في الإثنولوجيا يعرف باسم "أنثروبولوجيا التنمية Anthropology of development" وكان من نتائج ذلك أنّ كثيرا من الهيئات الحكومية والدولية والمؤسسات الاستشارية الخاصة بدأت في استخدام الباحثين الأنثروبولوجيين للاستعانة بخبراتهم المعرفية والحقلية عند القيام بمشروعات التنمية الاقتصادية، وخاصة في مجالات الزراعة والصناعة وبرامج الارتقاء بالمستوى الاجتماعي والتعليمي والصحي في البلاد النامية والمتقدمة على حد سواء. (فهيم، 1986، ص161)

2.2.الأنثروبولوجيا الفيزيقية Physical Anthropology:

ويشار إليها بعدة تسميات منها الأنثروبولوجيا الطبيعية، الأنثروبولوجيا البيولوجية، الأنثروبولوجيا الفيزيائية، والأنثروبولوجيا العضوية.

ويعتبر هذا الفرع أقدم فروع الأنثروبولوجيا العامة، وقد ظهر بشكل متميز أواخر القرن 18 وأوائل القرن 19، تحت تأثير النظرية التطورية (الداروينية)، ونشأ هذا الفرع، نتاج الجمع بين علم التشريح والأبحاث المنسقة، الّتي أجرت على الحيوانات خلال تلك الفترة، "غير أنّ الألمان يعتبرون يوهان بلومينباخ المؤسس الأول للأنثروبولوجيا الطبيعية، فهو من الروّاد في دراسة الجماجم البشرية، كما أنّه قسم الجنس البشري إلى خمسة أقسام (سلالات)، هي: القوقازي، المغولي، الأثيوبي، الأمريكي، والملاوي". (شماس، 2004، ص88)

فخلال هذه الفترة بيّن **داروين** في كتابه "**أصل الأنواع**" أنّ الأشكال المختلفة للحياة، ذات أصل مشترك، تطورت عنه تدريجيا، وأن من يصمد في وجه الصراع، من أجل الحياة، هي الكائنات الحية الّتي تكون أكثر تكيفا، وظروف الحصول على الغذاء، وتجنب هجمات المتنافسين من الكائنات الحية الأخرى، وعبّر عن ذلك بمقولته "**البقاء للأصلح**". وكان **داروين** من خلال صياغته لهذه النظرية، يهدف إلى الرد على العقائد الدينية الّتي تقول بثبات الأنواع، فيما يتعلق بخلق الكون.

ولقد اعتقد أنّ الإنسان أصله قرد، لكن هذه الفرضية أصبحت باطلة من خلال دراسة الهرمون لدى الإنسان والقرد، فتأكد علماء البيولوجيا أنّهما لا يملكان نسبة الهرمون نفسها، فبالنسبة للإنسان يمثل

الحامض النووي (**ADN**) 100%، أما بالنسبة للقرد فأنّه يمثل 90%، أما فيما يخص التنوع البيولوجي للإنسان فيتم ذلك عن طريق الكيمياء العضوية الخلوية من خلال علم المورفولوجيا (أي الشكل أو الهيئة الخارجية)، ومن خلال علم الفيزيولوجيا (علم وظائف الأعضاء)، ومن خلال علم الأمراض (الباتولوجيا **Pathologie**) ومن خلال علم النفس. وهذا ما أدى إلى ظهور طرق وتقنيات عديدة استفاد منها علم الأنثروبولوجيا من خلال القياسات على سبيل المثال وروائز الذكاء، وهذا دائما بالاعتماد على علم البيولوجيا الّذي أفاد الأنثروبولوجيا كذلك من خلال ما يسمى بتحليل الدم، وهذا دليل آخر على استفادة الأنثروبولوجيا من علم البيولوجيا. (تيلون، 2011، ص31-32)

يدرس هذا الفرع من فروع الإنسان المظهر الجسمي للإنسان، وهذه الدراسة تنقسم إلى قسمين كبيرين: قسم يتعلق بالبحث في الأصول البعيدة للإنسان، وهي الأصول الّتي انحدر منها الإنسان وأصبح كما هو عليه أو كما نراه اليوم، وقسم ثانٍ يتعلق بالبحث في توزيع المجموعات البشرية المختلفة أو ما نسميه بالسلالات البشرية المختلفة وتوزيعها على وجه الأرض كما يشاهد في عصرنا الحالي.

ذلك أن جميع ما نرى اليوم من سلالات بشرية تختلف فيما بينها في المظاهر الجسمية الخارجية قليلا أو كثيرا، ترجع كلها إلى، أو قد انحدرت من مجموعة واحدة أو نوع واحد، أو جمع واحد من بني البشر وهو نوع الإنسان العاقل **Homo sapiens**، وهذا الجمع يحتوي في داخله على جماعات كبيرة مختلفة فيما بينها من ناحية المظاهر الجسمية وتسمى عند العلماء باسم السلالات **Races**.

فعلم الأنثروبولوجيا الفيزيقية يدرس السلالات البشرية وسماتها الجسمية وتوزيعها، أي يدرس المظاهر الجسمية للمجموعات البشرية **Hominids** ولا يقتصر على ذلك، بل يعود إلى الوراء لينبش في مجاهل ما قبل التاريخ عن أصول الجموع البشرية والحيوانات الشبيهة بالإنسان وكيف تطورت إلى أن انحدر منها الإنسان العاقل، وذلك عن طريق الدراسات والحفريات **Fossils**، وما خلفته تلك الجموع من بقايا وآثار، وبذلك يدرس الأول الإنسانية الأولى **Proto hominids** والحيوانات الشبيهة بالإنسان ثم الحيوانات الّتي تعد من أرقى المجموعات الحيوانية في العالم الحيواني ودراسة تاريخ الحياة الحيوية...حتى يستطيع في النهاية رسم تاريخ كامل لتطور الحياة البشرة على هذا الكوكب وهو الأرض. (حسسن شحاتة، 1966، ص14-16).

إن الطرق العلمية الّتي يعتمدها الأنثروبولوجي من خلال استعانته بعلم الحياة أو الفيزيقا أنّه ينشغل ويهتم بتلك التغيرات المرتبطة بالمناخ والمواد الغذائية وعلاقتها بالسعادة أو تدمير المجتمعات البشرية، وينشغل الأنثروبولوجي كذلك بالممارسات الثقافية كالزواج المكرر والزواج بالأقارب والزواج بالأجانب،

ويهتم الأنثروبولوجي أيضا في هذا المجال من البحث بأصول التجمعات البشرية، مثلا: أمريكا هي خليط من الشعوب والأجناس، والجزائر كذلك خليط من القبائل والإثنيات مثل قبيلة بني هلال وبني سلامة، الذين هاجروا من الجزيرة العربيّة، بالإضافة إلى الرومان، الإسبان، الأمازيغ، الوندال (شعوب هاجرت من أوروبا إلى المغرب العربي للغزو)، ويهتم الأنثروبولوجي كذلك في الاختلافات والتجانسات الموجودة بن هذه الأجناس المختلفة، ويبحث في أصول العائلات، وبالتحديد العائلات الراقية الّتي لها نفوذ سياسي أو سلطة علمية وثقافية. (تيلون، 2011، صص32-33)

3.2.الأنثروبولوجيا الاجتماعية Social Anthropology: (من علم الاجتماع الى الأنثروبولوجيا)

استخدم اصطلاح الانثروبولوجيا الاجتماعية في بريطانيا، وإلى حد ما في الولايات المتحدة الأمريكية، ليشير إلى ذلك الفرع من فروع الأنثروبولوجيا العامة، وهو فرع حديث النشأة، لا يتجاوز عمره بالكاد قرنا من الزمن، وكان استخدام هذا المصطلح لأول مرة من قبل العلامة سير جيمس **فريزر Sir James Fraser** الّذي كان أستاذ في هذا الفرع بجامعة ليفربول، في محاضرته تحت عنوان "مجال الأنثروبولوجيا الاجتماعية" وعرفها بأنّها "محاولة علمية للكشف عما يسميه"بالقوانين العامة" الّتي تحكم الظواهر المختلفة في حياة الإنسان وتفسر ماضي الظواهر للتمكن على ضوئها من التنبؤ بمستقبل المجتمعات البشرية، استنادا إلى الإدراك الدقيق لتلك القوانين السوسيولوجية العامة، الّتي تنظم حياة الانسان عبر الزمان، حيث يعتقد بأن الطبيعة البشرية واحدة بعينها في كلّ زمان ومكان". (قباري، 1971، ص12)

يصف **إيدوارد إيفانز بريتشارد E.Evans Pritchard** (1902-1973)، أحد رواد الأنثروبولوجيا الاجتماعية الأوائل، مهمة الأنثروبولوجيا الاجتماعية بأنّها تدرس السلوك الاجتماعي الّذي يتخذ في العادة شكل نظم اجتماعية كالعائلة، ونسق القرابة، والتنظيم السياسي، والإجراءات القانونية، والعبادات الدينية، وغيرها، كما تدرس العلاقة بين هذه النظم سواء في المجتمعات المعاصرة أو في المجتمعات التاريخية، الّتي تتوفر فيها معلومات مناسبة تساعد على القيام بالأبحاث والدراسات. (فهيم، 1986، ص16)

مرت الأنثروبولوجيا الاجتماعية بمراحل تاريخية أهمها مرحلة القرن الثامن عشر الميلادي وهذه المرحلة مهدت لظهورها واستفادت من بعض دراسات المفكرين أمثال الفرنسي مونتسكيو **Montes quieu** في كتاب" روح القوانين" **L'Espirt des lois**، كما استفاد التراث الأنثروبولوجي من المفكر سان سيمون **sain simon** الّذي يعد بحق أوّل من فكر في ضرورة إنشاء علم يدرس المجتمع يقوم على العلاقات الاجتماعية كما، نبه إلى ضرورة دراسة الوقائع والحقائق كما هي ليس التصورات عنها، وأسهم في ظهور

الأنثروبولوجيا في هذا القرن كلّ من دافيد هيوم **David Hume** وآدم سميث **Adam Smith** حيث نظر إلى المجتمع على أساس أنّه نسق طبيعي.

أما في القرن التاسع عشر ميلادي الّذي يعد قرن نشأة الأنثروبولوجيا الاجتماعية، صدرت مجموعة كبيرة من الكتب الهامة الّتي ساهمت إلى حد كبير في وضوح معالم هذا الفرع أهمها: القانون القديم **Ancient Law** لهنري مين **H.Maine**، والثقافة البدائية **Primitive culture** لإدوارود تايلور **E.Taylor**، الزواج البدائي **Primitive Marriage** لماكلينان **Mclennan**، والمدينة العتيقة **La cite Antique** لفوستيل دي كولانج **Fustel de coulange** وغيرها.

وأهم ما يميز القرن التاسع عشر ظهور اتجاه جديد في الدراسة وهو تفسير الظواهر الاجتماعية والنظم الاجتماعية من زاوية جديدة لم تكن معروفة من قبل، هذه الزاوية هي التفسير الاجتماعي، غير أنّ ما يلاحظ على هذه الفترة غياب الدراسات الميدانية والاعتماد فقط على أقوال الرحالة ورجال الإدارة من المستعمرين الأوروبيين. (فاروق احمد، 2013، ص20)

وكثيرا ما نجد أنّ علم الاجتماع هو أقرب العلوم الاجتماعية إلى الأنثروبولوجيا الاجتماعية وفق ما أدلت به **لوسي مير** في كتابها الأنثروبولوجيا الاجتماعية، تقول: "إنّ علم الاجتماع هو أقرب العلوم الاجتماعية إلى الأنثروبولوجيا الاجتماعية، ولو أنّ الآراء تختلف وتتباين حول تكييف طبيعة هذه العلاقة، فكلّ منهما يدعي لنفسه دراسة المجتمع كله، وليس جانبا واحدا منه مثل الاقتصاد أو السياسية".

غير أن علم الاجتماع أقدم بكثير من الأنثروبولوجيا الاجتماعية، فقد بدأ على يد أوغست كونت (1798–1857) في فرنسا، وهربرت سبنسر (1820–1903) في إنجلترا، أما الرجلين اللذين يعتبران مؤسسا التراث البريطاني في الأنثروبولوجيا الاجتماعية، وهما مالينوفسكي وراد كليف براون، فقد نهلا من أفكار علماء الاجتماع الفرنسيين في أواخر القرن التاسع عشر.

فقد كان راد كليف براون شخصيا ميالا إلى صياغة ما توصل إليه من قواعد عامة في إطار المجتمع الإنساني بصفة عامة، وليس حسب نوع معين من المجتمعات الّتي تنتمي في الواقع إلى تخصص عالم الأنثروبولوجيا الاجتماعية، وقد وضح ذلك خلال خطابه الافتتاحي الّذي ألقاه بصفته رئيسا للمعهد الأنثروبولوجي الملكي إنه "على استعداد تام لتسمية هذه المادة بعلم الاجتماع المقارن، إذا أراد أي فرد ذلك". (الجوهري وآخرون، 2004، ص30)

فكان هناك الكثير من علماء الأنثروبولوجيا البريطانيين ومن الأنثروبولوجيين الأوروبيين يعتبرون الأنثروبولوجيا الاجتماعية هي فرع من علم الاجتماع ومنهم جيمس فريزر الّذي عرفها بأنّها" ذلك الفرع من علم الاجتماع الذي يدرس الشعوب البدائية"، ووافقه على ذلك برنسولاف مالينوفسكي وراد كليف براون.

غير أنّ نهاية القرن التاسع عشر أي فترة نشوء الأنثروبولوجيا كعلم مستقل عن الفكر الفلسفي ومعترف به أبستمولوجيا، كانت العديد من الإسهامات والكتب الّتي تبحث في هذا العلم وحددت معالمه الإنسانية ولاسيما مؤلفات كلّ من **تايلور وماكلينان** في إنجلترا و**بافوفين** في سويسرا، حيث اهتم هؤلاء بجمع المعلومات عن الشعوب البدائية، وأبرزها بصورة منهجية منظمة من خلال دراسة النظم الاجتماعية في حدود الأبنية الاجتماعية لهذه المجتمعات وليس في حدود الفلسفة وعلم النفس، فوضعوا بذلك أسس علم الأنثروبولوجيا الاجتماعية، ولكن هذه الدراسات لم توضع بشكل ميداني بل تبقى نظرية تجريدية، وهنا ظهرت مدرستان متداخلتان هما:

"النشوئية والتطورية وكان يبحث أصحابها عن نشأة وتطور النظم الاجتماعية كالأسرة والدين وقد أثارت نتائج الدراسات الّتي قام بها أصحاب هذه المدرسة الكثير من التعليقات من علماء الأنثروبولوجيا الاجتماعية اللاحقين وذلك بسبب صعوبة دراسة الأصول والبدايات الأولى واهتمام العلماء بالبحث عن وظيفة النظم الاجتماعية والأدوار الّتي تقوم بها وتأثيرها في البناء الاجتماعي".

دفعت هذه النظرية علماء القرن 19 إلى تصنيف المجتمعات على أساس أبنيتها الاجتماعية بدلا من ثقافتها، وكان لظهور هذا الاتجاه الخطوة الحاسمة لكي تستقل الأنثروبولوجيا الاجتماعية عن فروع الأنثروبولوجيا الأخرى وأصبح موضوعها الأساسي هو العلاقات الاجتماعية وليست الثقافية بجميع عناصرها المادية والمعنوية.

وهذا التميز أدى بظهور بحوث ميدانية مما زاد بروز هذا العلم، خصوصا الدراسة الميدانية التي قام بها "هادون **Haddon**" لدراسة توريس **Torres Straits** في المحيط الهادي واستغرقت عامين من 1898 حتى 1900، حيث هيأت هذه الرحلة إلى بروز أهمية الدراسة العقلية في أذهان علماء آخرون، فقاموا بمتابعة بروز أهمية الدراسة الحقلية في أذهان علماء آخرون، فقاموا بمتابعة البحوث والدراسات الحقلية أمثال (مورجان **Morgan**)، (بواز **Boas**)، و(ريفرز **Rivers**)، و(سلجمان **Silgman**)، هذا بالإضافة إلى دراسة راد كليف براون **Rad cliffe Brown** الذي درس الإندمان (**The Andaman is landers**)،

ومالينوفسكي الّذي درس جزر التروبرياند[2]، كما ظهرت مدارس علمية في مجال الأنثروبولوجيا الاجتماعية من أهمها المدرسة الانتشارية **Diffusionist** الّتي اهتمت بالبحث عن انتشار العلاقات والنظم الاجتماعية، والمدرسة الوظيفية الّتي تهتم بالكشف عن وظائف النظم الاجتماعية والّتي تعد من أقوى مدارس لهذا الفرع. (أحمد فاروق، 2013، ص20-21)

مما سبق نجد، على رغم تشابك الأنثروبولوجيا الاجتماعية إلى حد كبير مع حقل علم الاجتماع على اعتبار أنّ كليهما يهتم بالبيئة الاجتماعية وعنصرهما، إلا أنّ الاختلاف يكمن في طبيعة الموضوعات بالنسبة لكلا المعرفتين، فالأنثروبولوجيا تركز على البناء الوجداني للفعل الاجتماعي وكذا أشكاله التأسيسية المنتقلة من الحالة البسيطة إلى الحالة المعقدة كالعادات والتقاليد والبحث في أصولها وأشكالها واختلافها من مجتمع لآخر، في حين أن علم الاجتماع تركز موضوعاته على الرابط والعلاقات الاجتماعية وتأثير المؤسسات عليها سواء كانت هذه المؤسسات معنوية رمزية أو رسمية معترف بها، كما يهتم علم الاجتماع بنتائج ومحددات التفاعل الاجتماعي وما يحدثه على مستوى التغير الاجتماعي، وبالتالي فإنّ علم الاجتماع يهتم بالبناء والتنظيم الاجتماعي أو ما يعرف بالنسق. (ذرذاري، 2019، ص112)

ويجدر الإشارة إلى وجود بعض الاختلاف بين العلماء حول مفهوم الأنثروبولوجيا الاجتماعية، حيث اعتبر علماء المدرسة الأمريكية، أن الأنثروبولوجيا الاجتماعية، فرع من الأنثروبولوجيا الثقافية، على أساس أنها الفرع الّذي يتخصص في دراسة جانب العلاقات الاجتماعية من الثقافة، في حين يرى علماء المدرسة البريطانية، أنّ الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، كلاهما تمثل قسما مستقلا بذاته، في نطاق الأنثروبولوجيا العامة، لذلك فإنهم يرون ضرورة الفصل بينهما، أمّا ما يسميه البريطانيون بالأنثروبولوجيا الاجتماعية، فأنّه يعرف في أوروبا باسم الإثنولوجيا أو علم الاجتماع. (يحي مرسي، 2007، ص26)

في حين نجد تشابك آخر يظهر بين الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، فكثير من الأدبيات النظرية لا تقيم فواصل بين القسمين وظل تناولهما واحدا، خاصة مع المراحل التأسيسية للأنثروبولوجيا، ويعزى هذا الترابط إلى الصلة الوثيقة بين البيئة الاجتماعية وما تنتجه من أنماط ثقافية تؤسس للفعل الثقافي لأي مجتمع من المجتمعات، "غير أنّ بعض الجامعات الأمريكية قد وضعت تمييزا بين الانثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، مؤكدة على أنّ هذا الأخيرة تهتم خاصة بالأعمال الإبداعية وعلى رأسها الأعمال

[2] وضع مالنوفسكي هذه الدراسة بكتابه الضخم تحت عنوان: (Argonauts of the western pacific) الّذي يعتبر أوّل بحث أنثروبولوجي يتمكن من فهم حياة الناس وعلاقتهم الاجتماعية من خلال تتبع عاداتهم وتقاليدهم وتحليل مدلولاتها الاجتماعية.

الفنية وكذلك بالرموز، كالأساطير، الطقوس الدينية، التقسيم الطبقي والايديولوجيات، أما "**كلود لفي ستراوس**" الأنثروبولوجي الفرنسي المعاصر المشهور بالأنثروبولوجيا البنيوية، فقد رأى أنّ السلوكات الاجتماعية كممارسات الزواج (نظام الزواج) وبناء نظام الأسرة بالخصوص في المجتمعات غير المتحضرة كقبائل الهنود الحمر في منطقة الأمازون ترتبط بالإنتاج الرمزي لهذه المجتمعات كاللغة، طرق التعبير، الرقص، الإبداعات الفنية، اللباس، ولهذا فلا فرق بين الانثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية (تيلوين، 2011، ص34)، وهو ما ذهب إليه موس **Mauss** ومالينوفسكي **Malinowski** "إنّ الأشياء المادية كالأدوات الصناعية والأسلحة والآلات، يمكن أن تتضمن في مجال كلّ من الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، فيما يرى العلامة إيجان **Eggan** ضرورة التعاون بين الفرعين لاستمرار وازدهار الدراسات الأنثروبولوجيا، للوصول إلى نتائج أكثر عمقا ونضجا.

في حين قال راد كليف بروان "أنّ مجال دراسة الأنثروبولوجيا يمكن أن يكون أي مكان ملائم بحجم مناسب"، وأنه بعد اختيار مجتمعه بهذه الطريقة عليه أن يدرس بناءه، والبناء هو الآن المفهوم الأساسي في الجزء من البحوث الّتي تتم في مجال الانثروبولوجيا الاجتماعية، وهو يعني أننا نفكر في المجتمع، وليس في الثقافة كتكوين منظم لأجزاء متعددة، وأن واجبنا هو اكتشاف هذا النظام وتفسيره، وهو يتكون من العلاقات القائمة بين الأفراد، وهي علاقات ينظمها مجموعة من الحقوق والواجبات المعترف بها. (الجوهري وآخرون، 2007، ص52)

رغم اختلاف الطرح في إشكالية الخلط بين الانثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية غير أنّ الواقع ثمة فرقا بين مجال هذين العلمين، "فعلم الإنسان الاجتماعي مهتم بالبناء الاجتماعي، بينما يهتم علم الإنسان الثقافي بالثقافة ككل، كما يهتم بالمظاهر التكنولوجيا للثقافة والفنون، فعلم الإنسان الاجتماعي هو إلى حد ما جزء من علم الإنسان الثقافي، لأنّه يقتصر على دراسة البناء الاجتماعي والتنظيم الاجتماعي للمجتمعات المدروسة، بينما يدرس علم الإنسان الثقافي الثقافة في مجموعها في المجتمع المدروس، والوسائل التكنولوجية والفنون والمعارف والأفكار والمعايير السلوكية والعادات والتقاليد... (حسن شحاتة سعفان، 1966، ص22)

ومن خلال ما سبق نجد أنّ الأنثروبولوجيا الاجتماعية تتمثل في كونها تهتم بدراسة الإنسان الاجتماعي والعلاقات الإنسانية والبناءات الاجتماعية والنظم الاجتماعية على أوجه التكامل والتماثل والاختلاف بين هذه النظم، كما تدرس السلوك الاجتماعي الّذي يندرج عادة تحت شكل هذه النظم الاجتماعية كالأسرة ونسق القرابة والتنظيم السياسي والعبادات الدينية والعلاقة بين هذه النظم سواء في

المجتمعات القديمة أم المعاصرة، وتحاول الأنثروبولوجيا الاجتماعية بأدواتها البحثية الخوض في الصورة التوصيفية لهذه النظم والأنساق وتصنيفها وفق ما تنطوي عليه صورها بغرض الوصول إلى نتائج تربط بين أشكالها والتغييرات الّتي تطرأ عليها وأسباب هذه التغيرات والتطورات.

في حين تسعى الأنثروبولوجيا الثقافية إلى دراسة مختلف المجتمعات والثقافات في كلّ الأماكن، وكيف تتشكل هذه الثقافات وطبيعتها في كلّ أنحاء العالم دون التفريق بين مجتمع وآخر أو بين ثقافة وأخرى، وتهتم بشكل أكبر بالشقين المادي والمعنوي لثقافة الإنسان واختلافاتها وتطوراتها وفق البيئة والظروف الّتي يعيش فيها الإنسان في أي ثقافة معينة.

4.2.الأنثروبولوجيا الثقافية Culture Anthropology:

يندرج هذا الفرع من الأنثروبولوجيا العامة، الّذي يهتم بدراسة السلوك الإنساني في ماضيه وحاضره، ولما كانت ثقافة الإنسان (العرف والتقاليد والمعتقدات والممارسات... الخ)، هي الوسيلة الّتي تمكنه من الاتصال بالآخرين سواء جماعته أو الجماعات الأخرى المحيطة، بما لها من خصائص اجتماعية في بيئتها الطبيعية المتباينة، لذا كان أحد أهداف الانثروبولوجيا الثقافية دراسة هذا التباين أو التشابه الثقافي في هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى الاهتمام بتاريخ هذه الثقافات وأصولها ونموها وتطورها. (فاروق مصطفى، 1980، ص28)

ولم تظهر الأنثروبولوجيا الثقافية كفرع مستقل عن الأنثروبولوجيا العامة، إلا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وربما يعود الفضل إلى العالم الإنجليزي إدوارد تايلور، الّذي يعد من رواد الأنثروبولوجيا، والّذي قدم أوّل تعريف شامل للثقافة عام 1871 في كتابه "الثقافة البدائية" بقوله: "إنّها الكل المركب والمعقد والّذي يحتوي على المعرفة والعقيدة والأخلاق والفن والقانون والعادات والتقاليد وأي قدرات تكتسب بواسطة الإنسان من حيث هو عضو في المجتمع".

والثقافة باختصار من وجهة النظر الأنثروبولوجية تعني جملة النشاطات والمشروعات والقيم المشتركة لدى أمة من الأمم الّتي يشتق منها تراث مشترك من الصلات المادية والروحية تغتني عبر الزمان وتغدو في الذاكرة الفردية والجماعية إرثا ثقافيا بالمعنى الواسع، وهو الذي تبنى على أساسه مشاعر الانتماء والتضامن والمصير والوحدة. (جعنيني، 2009، 138-141)

شكلت الثقافة موضوع دراسات أنثروبولوجية عديدة ومتنوعة من حيث الطرح المنهجي حيث أفرد بلها الأنثروبولوجيون موسوعات ضخمة محاولين في ذلك مساءلة فضاءاتها المختلفة من حيث الانتماء الجغرافي

والبشري والزمني. وقد رافق هذا الاهتمام ثراء على مستوى المفاهيم والمصطلحات الّتي شكلت محور هذا العلم، بل أكثر من ذلك، "أن هذه المفاهيم تعرف نقاشا حادا حول ماهيتها من جهة وحول ما تقدمه للأنثروبولوجيا الثقافية من جهة اخرى، مما نتج عنه ثراء معرفي لم ينقص من قيمة هذا العلم، فعلى سبيل المثال تظهر الجدلية المفاهيمية في الأنثروبولوجيا من خلال مفهومي الثقافة والحضارة، باعتبارهما مفهومين أساسيين في الأنثروبولوجيا الثقافية، ففي حين يرى الكثيرون أنّ الثقافة هي ذلك الجزء الّذي لا يتجزأ من الحضارة، نجد أنّ هناك اختلاف حول المفهومين في التناول الغربي خاصة بين التناول الفرنسي ونظيره الألماني، حيث يبدو مفهوم الحضارة في التقليد الفرنسي أنّها ذلك "الكل المعقد والمتعدد الزوايا، يتضمن حقائق سياسية واقتصادية وتقنية وأخلاقية واجتماعية، وبالتالي كلّ ما هو تفوق على المجتمعات الأخرى، في حين أنّ الألمان ينظرون إلى الحضارة على أنّها أمر خارجي ونفعي ذو عدة أوجه، غريب عن قيمهم الوطنية، على عكس الثقافة التي يعتبرونها تعبيرا عن فخرهم بإنجازاتهم، فهم بذلك لا يتحدثون عن حضارتهم بل عن ثقافتهم"، بالإضافة إلى وجود نقاشات حول عمومية المفهومين ومحدودية تأثيرهما في المجتمعات، وكذلك الحال بالنسبة لمفاهيم أخرى من قبيل الدين، والتاريخ، الأخلاق، السياسة... الخ. (ذرذاري، 2019، ص114)

وصفوة القول، أن الأنثروبولوجيا الثقافية هي دراسة الوصفية والتحليلية لمظاهر الثقافة بكل عناصرها المادية والمعنوية من حيث الطرح الاجتماعي والعقائدي والسياسي والاقتصادي والديني والنفسي والفني، فهي تهتم بكل ما صنعه وأبدعه وابتكره الإنسان تلبية لحاجاته المادية والمعنوية، كما تهتم بدراسة وظائف الثقافات الإنسانية في الماضي والحاضر، ومن ثم تعقد مقارنات بين طرائق حياة المجتمعات المنقرضة والحالية والبدائية والمتقدمة.

ويهتم المتخصصون في دراسة الأنثروبولوجيا الثقافية بدراسة ماضي الإنسان، وقد عرفت هذه الدراسة بالدراسات الأركيولوجية، كما يهتم بالوقوف على ثقافة الإنسان الحاضرة، فيما يعرف باسم الإثنولوجيا، ويبذل جهدا خاصا في فهم الثقافة، وذلك هن طريق ما يعرف باسم اللغويات والّتي سنتناولها كالآتي:

1.4.2. علم اللغويات:

علم اللغة هو دراسة اللغة، وهي نظام الاتصال البشري الراقي الإتقان، ولا تعني هذه الدراسة بتعليم الكلام في اللغات الأجنبية بطلاقة ولكنها تهدف إلى الوصف العلمي الدقيق للغات ومقارنتها، ولعلّ أقدم اهتمام بعلم اللغة تطور حول دراسة العلاقات بين اللغات ولاسيما حين اكتشف أنّ أغلب اللغات الأوروبية على الرغم من أنّها لا يتم التفاهم بها فيما بينها، تنحدر من لغة جدة واحدة مشتركة هندو أوروبية. (بيرتي، 2010، ص21)

يدرس علماء الأنثروبولوجيا، اللغة في سياقها الاجتماعي والثقافي في المكان والزمان، ويقوم بعضهم باستنتاجات تتعلق بالمقومات العامة للغة وربطها بالتمثلات الموجودة في الدماغ الإنساني، يقوم آخرون بإعادة بناء اللغات القديمة من خلال مقارنتها بالمتحدّرات عنها في الوقت الحاضر، ويحصلون من ذلك على اكتشافات تاريخية عن اللغة، وما يزال عدد من علماء الأنثروبولوجيا اللغوية يدرسون اختلافات اللغة ليكتشفوا الإدراكات والنماذج الفكرية المختلفة في عدد وافر من الحضارات.

ويعتبر فرع اللغات من أكثر الفروع الأنثروبولوجيا الثقافية استقلالا وانعزالا عن الفروع الأخرى، فدراسة اللغات يمكن أن تجري دون اهتمام كبير بعلاقتها مع الجوانب الأخرى في النشاط الإنساني، ومما لا شك فيه، أنّ اللغات بما فيها من تراكيب معقدة وغريبة، وما تنطوي عليه من تنوع هائل، ولاسيما عند الشعوب البدائية، تزود الباحث بمادة دراسية غنية لا يمكن حصرها.

لذلك يعطي **ليفي ستروس** أهمية بالغة للغة، ويعتبرها أحد الأركان الأساسية في علم الإنسان، وعلى أساس أنّها تمثل الخاصية الرئيسية الّتي تميز الإنسان عن الكائنات الحية الأخرى، ولذلك يعتبرها الظاهرة الثقافية الأساسية الّتي يمكن عن طريقها، فهم كلّ صور الحياة الاجتماعية. وهذا ما يؤكد في كتابه (المناطق المدارية الحزينة) والّذي يعرف في العالم العربي باسم (الآفاق الحزينة) وهو نوع من السيرة الذاتية في قالب أنثروبولوجي، حيث يقول: "حين نقول الإنسان فإننا نعني اللغة، وحين نقول اللغة... فإننا نقصد المجتمع..."، ويقسم علم اللغويات إلى أقسام فرعية، من أهمها: علم اللغات الوصفي، وعلم أصول اللغات.

1.1.4.2. علم اللغات الوصفي:

يهتم بتحليل اللغات في زمن محدد، ويدرس النظم الصوتية، وقواعد اللغة والمفردات، ويعتمد عالم اللغات في دراسته هنا على اللغة الكلامية، ولذلك يستمع إلى الأفراد، ولاسيما إذا كانت الدراسة متعلقة بلغات لم تكتب، فيقوم عالم اللغة بكتابة تلك اللغات عن طريق استخدام الرموز المتعارف عليها.

2.1.4.2. علم أصول اللغات:

يهدف إلى تحديد أحوال اللغات الإنسانية، لذلك، يختص بالجانب التاريخي والمقارن، حيث يدرس العلاقات التاريخية بين اللغات الّتي يمكن متابعة تاريخها، عن طريق وثائق مكتوبة، وتكون المشكلة أكثر تعقيدا بالنسبة للغات القديمة الّتي لم تترك أية وثائق مكتوبة تدل عليها، ولكن ثمة وسائل خاصة يمكن للباحث أن يستخدمها في دراسة تاريخ تلك الشعوب. (الشماس، 2004، ص131-135)

2.4.2. علم الآثار القديمة Archeology:

يهتم هذا الفرع من الأنثروبولوجيا الثقافية بالكشف عن مخلفات الإنسان القديم وآثاره ورواسبها لمعرفة النظم الّتي كان يسير عليها، ويحاول هذا العلم استكمال المعرفة الواردة في السجلات المكتوبة ويقوم علماء الآثار بدراسة المخلفات الثقافية كالمباني والأدوات والأواني الفخارية والأشياء الفنية وعظام الحيوانات، ومعنى ذلك أنّ علم الآثار يقوم بدراسة الرواسب الثقافية المادية. (أحمد زكي، 2009، ص25)

كلّ هذه الآثار هي بمثابة أدلة وشواهد على نشاط إنساني في حقبة تاريخية معينة، يمكن فهمه وحتى معرفة طرق التفكير آنذاك باستخدام تقنيات وأدوات حديثة، والاستعانة بالتكنولوجيا الدقيقة كالحاسوب والأشعة المختلفة والكيمياويات المختلفة، كلّ هذا العمل موجه نحو هدف معين وهو فهم الحضارات القديمة ومعرفة مضمون الثقافات التي كانت سائدة آنذاك، كما يهدف الى معرفة مدى تأثير الثقافة على سلوك الإنسان المجسد في النظم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية المختلفة، بمعنى معرفة العلاقة بين الثقافة والسلوك.

ويقسم علماء الأريكولوجيا مراحل التطور البشري إلى خمس فترات رئيسية، تتمايز على أساس ثقافي وعلى أساس أدوات الإنتاج المستخدمة أيضا، وهذه المراحل هي:

- العصر الحجري القديم Paleolithic.
- العصر الحجري القديم الأوسط Mesolithic.
- العصر الحجري الجديد Neolithic.
- العصور المعدنية Metal Ages.
- والبعض منهم يضيف مرحلة خامسة وهي العصر الشمسي الّذي تتمثل بدايته المميزة في استخدام الطاقة الشمسية. (عامر مصباح، 2010، ص59-60)

علم الآثار إذًا، يدرس تاريخ الإنسان وما رافقه من تغيرات ثقافية، في محاولة لبناء تصور كامل عن الحياة الاجتماعية الّتي عاشتها المجتمعات القديمة، مجتمعات ما قبل التاريخ، وإذا كان علم الآثار يعتمد- إلى حد ما- على التاريخ، فإنّه يختلف عن علم التاريخ في أنّه لا يدرس المراحل الحضارية المؤرخة، وإنّما يدرس تلك الفترات الّتي عاشها المجتمع الإنساني قبل اختراع الكتابة وتدوين التاريخ (الشماس، 2004، ص138)، وباختصار أنّه يحاول إعادة تقديم صورة لأسلوب الحياة في الثقافات التقليدية من خلال تصنيفه البقايا المادية وتحديدها بفترات زمنية.

3.4.2. الأثنولوجيا Ethnology:

وهو فرع من الأنثروبولوجيا، ويمكن القول أنّ موضوع الأثنولوجيا الرئيسي هو الثقافة، ويعرف **هيرسكوفيتز** الأثنولوجيا بأنّها "دراسة مقارنة للثقافات وبحث المشكلات النظرية الّتي يمكن عن طريق تحليلها معرفة العادات الإنسانية".

ويرى **إيفانز بريتشارد** الأثنولوجيا بأنّها دراسة "ديناميكيات الثقافة، من حيث نمو وتغير الثقافات المختلفة، وكيف تتعامل هذه الثقافات مع الثقافات الأخرى بالإضافة إلى اهتمام علماء الأثنولوجيا بالتفاعل الّذي يحدث بين المعتقدات المختلفة والممارسات داخل الثقافة وتأثير هذه المعتقدات والممارسات على الشّخصيات الفردية". (عامر مصباح، 2010، ص70)

من خلال هذه التعاريف يتبين لنا أنّ الإثنولوجيا تدخل في دراسة أصول الثقافات والمناطق الثقافية، وهجرة الثقافات وانتشارها والخصائص النوعية لكل منها، دراسة حياة المجتمعات في صورها المختلفة، لذا "معظم الأثنولوجيين من الناحية المهنية إنّما يميلون إلى إجراء بحوثهم ودراساتهم خارج ثقافاتهم المحلية لإلقاء الضوء على هذه الثقافات وما تحويه من معرفة وفن و فلكور وسحر وقانون وأخلاق ومعتقدات، فضلا عن نظرتهم الفلسفية للكون بل ومعرفتهم التكنولوجية وما لديهم من سمات مادية، ومن ناحية أخرى فإنهم يبحثون عن الظروف والأسباب الّتي أدت إلى هذا التشابه أو الاختلاف أو الّتي ظهرت في نطاقها هذه الأشكال الثقافية المتباينة". (فاروق مصطفى، 1980، ص36)

5.2.الأنثروبولوجيا اللغوية Linguistic Anthropology:

يعد الأنثروبولوجيا اللغوية فرع هام من أفرع الأنثروبولوجيا الثقافية يهتم بعنصر حيوي من عناصر الثقافة ألا وهو اللغة الّتي تعد الوسيلة الوحيدة للاتصال بين الإنسان وأخيه الإنسان، وأنّها أداة نقل الأفكار أو التعبير عنها بكلمات أو إشارات أو رموز أو صور أو أشكال وغيرها.

وينظر الأنثروبولوجي إلى اللغة باعتبارها كائن حي يولد وينمو ويزدهر ويكبر ويصل إلى مرحلة الشيخوخة، كما أنّها قد تهاجر من مكان إلى آخر بهجرة أصحابها ومحدثيها.

كما تهتم بدراسة اللهجات المحلية وعلاقتها باللغة الأم وبتأثيرها على هذه اللغة ومصادر هذه اللهجات... كما يدرس تأثير الحرب في انتشار بعض اللغات وأثر التبادل الاقتصادي والثقافي على اللغة وإلى غير ذلك من الموضوعات الّتي تهم المتخصصين في مجال علم الإنسان اللغوي. (فاروق أحمد، 2023، ص32)

قد سمي هذا الفرع أيضا "بالألسنية الإثنية"، وقد كانت شعبية هذا المصطلح محدودة في الولايات المتحدة في أواخر الأربعينيات وبداية الخمسينيات، ولكنه كان شائعا في الأبحاث الأوروبية.

الأنثروبولوجيا اللغوية هي دراسة اللغة كثروة ثقافية والكلام كممارسة ثقافية، ولقد أعطى هايمز **Hymes** رؤية واضحة لهذا الحقل الفكري عندما عرفه "دراسة الكلام واللغة في سياق الأنثروبولوجيا"، بما أنّها في صلبها تكون حقل معرفة متداخلا، فهي تعتمد على تطور المناهج الموجودة في حقول أخرى، بالأخص الألسنية والأنثروبولوجيا، يهدف إلى إعطاء مفهوم لأوجه اللغة العديدة كمجموعة من الممارسات الثقافية، أي كنظام تواصل يوجد تصورات بسيكولوجية متبادلة بين الأشخاص وداخلية في نفس الفرد للنظام الاجتماعي ومساعدة الناس على استعمال هذه التصورات للقيام بأعمال ثقافية تأسيسية، بما أنّهم متأثرون بأعمال عدة أنثروبولوجيين مهمين من بداية هذا القرن قد جعلوا من اللغة نظرية أساسية وأداة لا غنى عنها في الأنثروبولوجيا الثقافية، يعمل الأنثروبولوجيون اللغويون على إنتاج تقارير تعتمد على الإثنوغرافيا عن التركيبات اللغوية كما يستعملها الناس فعلا في زمان ومكان فعليين، مما يعني أنّ الأنثروبولوجيين اللغويين يرون موضوع دراستهم، أي المتكلّمين، أساسا وقبل كلّ شيء كعاملين اجتماعيين، أي كأعضاء في جاليات محددة وذات تركيبة معقدة مشوقة، كلّ منها منظمة من خلال عدة مؤسسات وبواسطة شبكة من مجموعات من التوقعات عن العالم والمعتقدات والقيم الأخلاقية، الّتي تتلاقى دون أن تتداخل ضرورة.

وما يميز الأنثروبولوجيون اللغويون هو تركيزهم على اللغة كمجموعة من وسائل رمزية تدخل في مكونات المجتمع وفي تصورات الأفراد للعالم كما هو أو كما يمكن أن يكون، يسمح هذا التركيز أن يعملوا بشكل خلاق على دراسة بعض القضايا والمواضيع الّتي هي في قلب الأبحاث الأنثروبولوجية كمسائل التمثيل، وتكون السلطة وتشريع القوى، والأسس الثقافية للعنصرية، والنزاع العرقي والتأهيل الاجتماعي والإنشاء الثقافي للشخص أو للنفس والمسائل المختصة بالعواطف والعلاقة بين الأداء الطقسي وأشكال التحكم بالمجتمع، والمعرفة والإدراك المتعلقين بمجالات معينة، والأداء الفني ومسائل استهلاك الفن، والعلاقات الثقافية، والتغير الاجتماعي. (ألسندر ودورانتي، 2013، ص22-23)

إن الأنثروبولوجيا استفادت استفادة بالغة من الدراسات وأعمال التطوريين أمثال هربرت سبنسر الّذي تأثر بالبيولوجيا التطورية **لشارل داروين**، وأعمال "**فرديناند دي سوسير**" و"**جاكوب سون**" اللذين مهدا للبنيوية، وذلك من خلال البحث في تلك العلاقة الموجودة بين اللغة والثقافة، والّتي تم التعبير عنها بمصطلح الإثنولغوية، ودورها يتمثل في الوصف والتحليل الشكلي والظاهري للغات.

وقد أكد همبولت وسبير أنّ كلّ لغة هي تعبير عن نظرة مجتمع وتعكس ذهنيته وتحدد ثقافته وشخصيته، إنّ هذا التصور أظهر أنّه ذو قيمة وأهمية في مجال أنثروبولوجيا وفلسفات اللغة، إلا أنّ النّقد

الّذي وجه له هو أنّ اللغة قد تتغير، لكن التصورات والذهنيات والثقافات تبقى ثابتة، والعكس صحيح قد تتغير الذهنيات والتصورات والرؤى، وتبقى اللغة هي نفسها ثابتة، وبالتوازي لهذا التصور درس كلّ من العالمين الإنجليزيين **كوهين** و**مايليت** تلك العلاقات والتغيرات الموجودة في البنية اللغوية والاجتماعية والعلاقة فيما بينهما، كالعلاقات الموجودة بين المفردات وعلم الأصوات والمجتمع.

وقد وجدت كثيرا من الكلمات تعبر عن تاريخ التجمعات، ولا تزال لحد الآن مستعملة، وقد وجدت في كثير من اللغات كلمات أخذت من لغات الأخرى (مثل كلمة **Chimie** مأخوذة من الكلمة العربيّة "كيمياء")، كما يلعب المحيط دورا مهما في تغيير معاني الكلمات ودلالاتها (مثل الأسكيمو لديهم الكثير من الكلمات للتعبير عن حالات سقوط الثلج)، وللعرب القدامى الكثير من الكلمات للتعبير (مثل الأسد: خضنفر، السبع، ملك الغابة، ...الخ) لذا نجد أنّ لكل لغة رموزا خاصة بها تعبر عن ثقافتها. (تيلون، 2011، ص37-39)

6.2.الأنثروبولوجيا النفسية Psychological Anthropology:

هذا الفرع يعتبر من أهم فروع علم الإنسان وأكثرها نموا واتساعا فقد ازدهر خلال الأربعين سنة الأخيرة بشكل ليس له مثيل في فروع علم الإنسان الأخرى، ويطلق البعض على هذا النوع مصطلح الثقافة والشخصية **Culture and personality**، ومن أبرز اهتماماته تحديد مفهوم الحضارة والثقافة على ضوء الأطر والاتجاهات العلمية الحديثة الّتي تمخضت عنها بحوث علماء النفس العياديين وعلماء التحليل النفسي والمختصين في علم النفس الاجتماعي والباحثين الأنثروبولوجيين النفسيين والحضاريين.

والواقع أنّ اهتمام الأنثروبولوجي بالدراسات النفسية قد ظهر بشكل أو آخر منذ أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين حيث بدأ علم الإنسان ينقسم إلى عدة فروع كان علم الإنسان النفسي واحدا منها. وتسعى الأنثروبولوجيا النفسية إلى التعريف بالشخصية الإنسانية في كلّ من المنظور الثقافي والنفسي والاجتماعي والى جانب ذلك فإن الدراسات في هذا الفرع تحاول تحديد المعايير الواقعية والعلمية والمنهجية الّتي تكفل تصنيف الشّخصية إلى نماذجها المتعددة كلا حسب طبيعة المعيار والإحاطة بالمحاور الرئيسية الّتي ينشأ عنها تماثل تركيب الشّخصية في المجتمعات غير المتجانسة والمعقدة. (عاطف وصفي، 1971، ص21)

وبالنظر إلى العلاقة الوثيقة بين الثقافة والشخصية الإنسانية، فقد أثبتت بعض الدراسات أن التطابق في التقييمات المستقلة للمعلومات الّتي جمعت بقصد دراسة معادل "الثقافة الشخصية" بلغ حدا كبيرا يدل على توقع حدوث تعاون مثمر، بين الأنثروبولوجيين والتحليل النفسي في أبحاث أخرى، ويدل أيضا، على

أنّ من المستحسن أن يتدرب الباحث على فروع علمية عديدة حتى يتمكن من إجراء المراحل المختلفة من البحث والتحليل، والتي تتطلبها طريقة التركيب "السيكو– ثقافي".

ومن هذا المنطلق، أكدت معظم التعريفات الّتي تناولت مفهوم الثقافة، ارتباطها بشكل أساسي بالنتاجات (الإبداعية والفكرية) للإنسان، وهذا يعني أنّ الثقافة ظاهرة ملازمة للإنسان، باعتباره يمتلك اللغة، واللغة وعاء الفكر، والفكر ينتج عن تفاعل العمليات العقلية والنفسية الي يتمتع بها الإنسان دون غيره من الكائنات الحية. فالعناصر الثقافية وجدت معه مذ أحسّ بوجوده الشّخصي/الاجتماعي، وأخذ مفهومها يتطور ويتسع وتتحدد معالمها مع تطور الإنسان إلى أنّ وصلت إلى ما هي عليه الآن.

فموضوع الأنثروبولوجيا النفسية يتحدد إذن، في العلاقة بين الثقافة والشخصية، هذه العلاقة الّتي تسير في اتجاهين متكاملين: اتجاه يأخذ أثر الثقافة في الشّخصية، واتجاه يأخذ أثر الشّخصية في الثقافة، ومن هنا، فقد ساعد ظهور الأنثروبولوجيا النفسية، علماء النفس في الوصول إلى فهم أفضل للمبادئ الّتي تحكم تشكيل الشخصية، وأثار في الوقت ذاته اهتمام علماء الانثروبولوجيا لدراسة الأنماط الأساسية للشخصية في المجتمعات المختلفة، قديمها وحديثها. (الشماس، 2004، ص97)

وتعتبر التنشئة الاجتماعية أحد محاور دراسة المختصين بهذا الفرع، ويتركز هذا الاهتمام حول الكيفية الّتي تجري بها ضغوط البيئة الحضارية على الطفل البشري لغرس القيم أو المعايير الاجتماعية في شخصية ذلك الوليد، كما يبدي الباحثون اهتماما كبيرا بمشكلات الاختلاف والتماثل الحضاري والثقافي في المجتمع الإنساني.

7.2.الأنثروبولوجيا التربوية Educational Anthropology:

الأنثروبولوجيا التربوية فرع ناشئ من الأنثروبولوجيا الثقافية تحديدا، وهي فرع علمي يوظف المناهج الأنثروبولوجية في دراسة الظواهر التربوية ومؤسسات التنشئة الاجتماعية على نحو شمولي وكلي. (علي وطفة، 2011، ص109)

ويعرف هذا الفرع على أنّه "هو ذلك الفعل الّذي نمارسه على الآخر لتنمية قدراته وملكاته العقلية والبدنية، ويعتبر "دوركايم" وبالضبط بين عام 1922 و1925 هو المؤسس للأنثروبولوجيا التربوية، إذ درس الأنظمة التربوية وأبرز: كيف يمكن للمجتمعات أن تتكيف من خلال هذه الأنظمة التربوية؟ وربط هذا التكيف الذي تقوم به الأنظمة التربوية بإشكالية تقسيم العمل الّذي تم تقسيمه إلى قسمين:

- عمل ميكانيكي آلي متعلق بعمل الآلات.

- عمل عضوي مرتبط بالجهد العضلي والطبيعي للإنسان العامل". (تيلوين، 2011، ص40)

وتعد الأنثروبولوجيا التربوية من أحدث الفروع العلمية الاجتماعية والأنثروبولوجية وأصبح لها حضورا كبيرا في ميدان البحث التربوي بعدما كانت في الماضي تأخذ صورة "تابو" في منظور المربين والمفكرين في مجال البيداغوجيا التربوية، وأصبحت تتجلى بقوة في مسرح الحياة التربوية، ويأخذ هذا التجلي صورته في وميض المؤتمرات العلمية المتواترة، وفي تضاعف أعداد الدوريات والمجلات العلمية الأنثروبولوجية، وفي الأبحاث الأنثروبولوجية التربوية المتنامية والمتكاملة، بعدما مرت خلال سياق تطورها إلى ثلاث محطات تاريخية تتمثل:

المحطة الأولى في عام 1955 عندما نشر **G. D. Spindler** كتابه المعروف التربية والأنثروبولوجيا **Education and Anthropology** في ستاندفور ، وتتمركز المحطة الثانية في عام 1970 أي في السنة الّتي حدث فيها تأسيس مجلس الأنثروبولوجيا والتربية **(council of Anthropology and Education)** بإشراف الجمعية الأنثروبولوجية الأمريكية **(American Anthropological Association)**، وتنتظم المحطة الثالثة مع ظهور الدورية العلمية الفصلية الّتي حملت اسم الأنثروبولوجيا والتربية **Anthropology and education quarterly** في عام 1978، وقد ظهرت الأنثروبولوجيا التربوية وعملت على تحقيق استقلالها من خلال التجارب مع الضرورة الاجتماعية والاحتياجات العلمية في نهاية 1960...، حيث شهدت مرحلة الستينيات نشاطا علميا كبيرا في مجال الأنثروبولوجيا التربوية تجلى في نشر عدد من الكتب والأبحاث الهامة، ولكن الأنثروبولوجيا التربوية لم تصبح علما مستقلا وحقيقة إلا فيما بعد عام 1970 وذلك باعتراف أغلب الباحثين والمفكرين في هذا الميدان، وفيما بعد بدأت أعمال هذا الفرع، تتجه إلى تعميق الأطر النظرية والفلسفات والمفاهيم بصورة واضحة حيث تمت الاستفادة الكبيرة من البحوث الأنثروبولوجية في مجال الثقافة والشخصية الّتي شكلت تراثا أنثروبولوجيا يتميز بخصوبته وفاعليته. (علي وطفة، 2011، ص109-116)

إذ أنها تهتم بدراسة الانتظامات في السلوك والمعتقدات، وتهتم بعملية النقل الثقافي أي عملية التعلم، ودراسة الأمور الّتي يجتمع عن طريقها الأفراد لتحقيق أهدافهم العامة، وتهتم بالتحولات في سلوك الناس وفي تجمعاتهم، وتبحث كذلك في تنشئة الطفل ضمن قوالب الطبقة أو الفئة أو الجنس أو العنصر المنتمي إليه. (جعنيني، 2009، ص140)

وقد اهتمت الأنثروبولوجيا التربوية كذلك بدراسة وتحليل محتويات العملية التعليمية والبحث في الأسباب الّتي جعلت من هذه البرامج معتمدة في المنظومة التربوية الوطنية، وقامت كذلك بالبحث في الفروقات الموجودة بين التعليم العام والتعليم الخاص، والبحث في مختلف برامج الدول وأهدافها الاجتماعية بالدرجة الأولى، وبحثت في هندسة القاعات وشكلها، وفي علاقة المدرسة بالمحيط. (تيلوين، 2011، ص41)

8.2.الأنثروبولوجيا السياسية Political Anthropology:

كونها مادة تطمح لاكتساب الحالة العلمية، فإنّ الأنثروبولوجيا السياسية تفرض نفسها أولا كطريقة اعتراف ومعرفة بالأمور السياسية المستغربة وبالأشكال السياسية الأخرى، أنّها أداة اكتشاف ودراسة شتى المؤسسات والممارسات الّتي تحقق حكم الناس فضلا عن أنّها أداة اكتشاف لنظم التفكير والرموز الّتي تستند إليها. (بالانديه، 2007، ص17)

وكما هو معلوم الأنثروبولوجيا السياسية بمفهومها الحديث لم تتأكد كتخصص إلا في الأربعينيات من القرن العشرين على يد الأنثروبولوجيين الوظيفيين الإنجليز الّذين حددوا لها هدفا ليس هو تحليل ظاهرة الدولة فقط بل هو دراسة التنظيمات السياسية في تنوعها التاريخي والجغرافي واكتشاف المؤسسات والرموز الّتي ترسي قواعد السلطة السياسية وتمنحها الشرعية. (بوزيد، 2022، ص901)

تتعدد تعريفات التنظيم السياسي بنفس كثرة تعريفات ميدان السياسة في المجتمع، وقد حدد بالانديه **Balandier** أربع طرق رئيسية لتعريف المجال السياسي وهي الطرق الّتي تحاول تناول المشكلة الأنثروبولوجية الخاصة بغياب أو بالغياب الظاهري للأبنية السياسية الرسمية في كثير من المجتمعات البسيطة أو التقليدية، ويرى بعض الباحثين، تأثرا بكل من **مين Maine** و**مورجان Morgan**، أنّ التصورات الإقليمية هي أصل ومركز الأنساق السياسية، الّتي تحدد وتعمل داخل نطاق إقليمي معين، ويقدم باحثون آخرون تعريفات وظيفية للمجال السياسي، تؤكد عادة على مهمة الحفاظ على الاكتمال والتماسك المادي للمجتمع، ومهمة صنع القرار وتوجيه الشؤون العامة، وهناك نوع آخر من النظريات يركز على تعريف المجال السياسي في ضوء أشكال العمل السياسي، وهناك نوع رابع من التعريفات هو التعريف البنيوي أو الصوري، وهو يركز على السمات الصورية للأنساق السياسية على المستوى المثالي وليس على المستوى الواقعي.

والأنثروبولوجيا السياسية يعتمد على كلّ من الفلسفة السياسة وعلم السياسة في استخلاص اتجاهاته في دراسة الأنساق السياسية ومشكلة القوة من المنظور الأنثروبولوجي، في حين من الصواب القول أنّه على حين كان تحليل البعد السياسي يمثل جزءا مهما من غالبية الدراسات الأنثروبولوجية، إلا أنّ هذا

البعد كان يفسر عادة على أنّه جانب من جوانب مجالات أخرى، أو كامن فيها، مثل: القرابة والدين، والاقتصاد، وغيرها. (شارلوت سيمور، 1992، ص142)

الأنثروبولوجيا كعلم لما هو سياسي هادف لدراسة الإنسان بوصفه كائنا سياسيا راجع إلى تلك النزعة الّتي تقود هذا الإنسان إلى الاجتماع والعيش مع الجماعة، وهذا العلم ما من شك أنّه يهدف إلى اكتشاف الخصائص المشتركة بين التنظيمات السياسية على اختلافها، مع التركيز على اكتشاف القوانين الّتي تتحكم في حركة الظاهرة السياسية وتغير نظم الحكم.

فهي انطلاقا من هنا مؤسسات رسمية مرتبطة بإيديولوجيات مجتمعها وبالتالي هي مرتبطة بأهداف المجتمع، لذلك نستطيع القول بأنّ دراسة الأنثروبولوجيا السياسية لنظم السياسية لا تقتصر على الإطار المؤسساتي القانوني بل تتعدى ذلك لتبحث في مسار وديناميات البنى والوظائف، حيث أنّ دراسة النظم السياسية تتطلب الجمع بين دراسة المؤسسات السياسية الرسمية من حيث هي عبارة عن منظمات قانونية وبين دراسة وتحليل أفكارها المحددة للقيم والمعتقدات السياسية الأساسية لمجتمعها. (بوزيد، 2022، ص901-904)

9.2.الأنثروبولوجيا الاقتصادية Economic Anthropology:

يركز هذا المجال على عدد من محاور الاهتمام، كما يتناول بالدراسة الإنتاج والتوزيع والتبادل الودي من منظور مقارن، والوصف الإثنوغرافي لنظم اقتصادية معينة، وتحليل التكوينات الاقتصادية قبل الرأسمالية أو المختلطة، وتحليل النظم الاقتصادية القومية والدولية والعالمية وتأثيرها على المجتمعات الصغيرة أو الريفية، ويتمثل أحد العوامل الّتي عرقلت تطور الأنثروبولوجيا الاقتصادية في الفجوة الإمبريقية والنظرية الواسعة والّتي توجد بين التكوينات الاقتصادية الرأسمالية وقبل الرأسمالية، وقد أدى هذا إلى تعثر تبادل المعرفة بين علمي الاقتصاد والأنثروبولوجيا، وإلى قدر كبير من الجدل النظري داخل الأنثروبولوجيا الاقتصادية حول مدى انطباق أو ملاءمة المفاهيم الّتي وضعت لتقييم الرأسمالية عندما تستخدم في سياق النظم قبل الرأسمالية أو المختلطة الّتي يدرسها الأنثروبولوجيون. لذلك اقتصرت الأنثروبولوجيا الاقتصادية عادة على دراسة الاقتصاديات القروية أو القبلية الصغيرة، وبالرغم من أنّ البعض قد يرون أنّها يمكن بل ويجب أن تسهم في نظرية مقارنة عامة للتكوينات الاقتصادية. ومن ناحية أخرى، فإنّ علم الاقتصاد والتاريخ الاقتصادي ينطلقان فكريا من التكوين الاقتصادي الرأسمالي، ولا يهتمان بالاقتصادات القبلية "البدائية" ولا بتحليل الاقتصادات القروية والإقطاعية لتكوينات انتقالية نحو الرأسمالية. (شارلوت سيمور، 1992، ص128-127)

ظهر هذا الفرع وتحدد هذا المسمى على يد المؤرخ الاقتصادي "**جراس**" في كتابه "**الأنثروبولوجيا والاقتصاد**" حيث وضح معالمه وحدد نطاقه على أنّه الفرع الّذي يجمع بين الدراسات الأنثروبولوجية والاقتصادية على أساس عدد من النظريات العلمية، كلّ ذلك كمحصلة اهتمام الباحثين بالنظم الاقتصادية داخل المجتمعات البدائية والتقليدية.

ونستطيع القول أنّ الأنثروبولوجيا الاقتصادية هي وليدة ذلك التعاون المثمر بين علماء الأنثروبولوجيا من ناحية، وعلماء الاقتصاد من ناحية أخرى، ولقد ساعدت البحوث والدراسات الّتي أجراها الأنثروبولوجيون في المجتمعات البدائية والتقليدية، علماء الاقتصاد على فهم النسق الاقتصادي الّذي يتكون من عدة نظم، كنظم الملكية والحيازة، ونظم العمل والإنتاج، ونظم التبادل والتوزيع، في تلك المجتمعات وعلاقته بالأنساق الاجتماعية الأخرى، كما جعلتهم يعيدون النظر في كثير من الآراء والأفكار حول طبيعة الاقتصاد عموما.

هذا وتعد الأنثروبولوجيا الاقتصادية فرعا متخصصا في الأنثروبولوجيا، يهتم بدراسة الطرق والوسائل الّتي وضعتها المجتمعات الإنسانية لإنتاج وتبادل السلع المادية الضرورية لاستهلاكهم وإنتاجهم من حيث أنّهم جماعات، وتحاول البحث بصفة أكثر وضوحا في الجوانب المادية للعلاقات الاجتماعية مع العلم أنّ هذه العلاقات الّتي تنشأ بين الأشخاص والجماعات يمكن أن تأخذ عدة أنواع، علاقات سياسية، وعاطفية، وجمالية، وحربية، واقتصادية... الخ. (دحماني، 2022، ص51)

10.2.الأنثروبولوجيا الحضرية Urban Anthropology:

ركزت دراسات الأنثروبولوجيا الحضرية الحديثة على العلاقات بين الجماعات الإثنية في المدينة، وعلى الخصائص الاجتماعية الثقافية للمناطق المتخلفة أوالهامشية، وعلى عمليات الهجرة الريفية الحضرية، وعلى آليات العزل والتكامل الجغرافي الاجتماعي والّتي تعمل للمحافظة على الطابع المميز لكل مركز حضري. (شرلوت سيمور، 1992، ص165)

فهي تعنى بدراسة مخترعات الشعوب البدائية، وأدواتها، وأجهزتها، وأسلحتها، وطرز مساكنها، وأنواع الألبسة الّتي تلبسها، والزينة الّتي تستعملها، وفنونها وآدابها، وقصصها، وخرافاتها. فهي تدرس الإنتاج الروحي، والمادي للشعب البدائي، كما تدرس الاستعارة الحضارية، والتطور الحضاري، والتغير الاجتماعي في تلك الشعوب، وتدرس أصول الحضارة، وتنوعها وانتشارها، ويعتبر الأنثروبولوجيون البريطانيون" الأنثروبولوجيا الحضارية" فرعا من الأنثروبولوجيا الاجتماعية، في حين يعتبرها الأنثروبولوجيون الأمريكيون فرعا من الاثنولوجيا. (شاكر مصطفى، 1981، ص224)

إن الأنثروبولوجيا الحضرية تعنى بالإنسان كباقي التخصصات الأخرى من الأنثروبولوجيا، لكنها تتميز عنها بأنّها تأخذ علاقة الإنسان بالمجال أو الفضاء الّذي ينتج فيه كلّ المواقف والسلوكات، وبالتالي كلّ أشكال التفاعل الاجتماعي، كما تأخذ بعين الاعتبار المدن كوحدات أساسية للتحليل أي أنّها تعنى بالممارسات الّتي تكون في الفضاء الحضري.

تبحث الأنثروبولوجيا الحضرية أساسا في كلّ ما هو تقليدي مرتبط بالإنسان، خاصة الإنسان الحضري الّذي يحيا ويعيش حياة التمدن والحضرية، لكن تعامله مع البيئة الحضرية يخضع لعدة عوامل تكون أساس تفسير هذه العلاقة، أي بين الإنسان ومجاله الحضري، ومن بين هذه العوامل تأثير الإثنيات المتواجدة في المجتمعات الحضرية على طبيعة البناء الاجتماعي الحضري ككل، ومن هنا تحاول الأنثروبولوجيا الحضرية البحث في ماضي الأفراد والتفتيش عن الجذور العرقية ومدى تأثير هذا المعطى على الممارسة والثقافة بكل تفاصيلها، بالإضافة إلى حجم التأثير الّذي تلعبه هذه الانتماءات الإثنية المختلفة عند اجتماعها في مجال جغرافي حضري واحد، وما تفرزه من اختلافات وتوافقات، والبحث فيما إذا كانت هذه الانتماءات الإثنية عامل اندماج حضري أم عامل اختلاف وتضاد، فالبحث في الإثنية ضروري أو البحث في كلّ ما هو أقلية داخل المدينة، سواء كانت هذه الأقليات تتمايز على أساس طائفي أو قبلي أو عرقي بالمعنى السلالي البيولوجي للكلمة أو بحسب ما هو مشاع حول العرق والإثنية في أبجديات الفكر الغربي. (ذرذاري، 2019، ص117-118)

11.2.الأنثروبولوجيا الاجتماعية الوظيفية Anthropology functional social:

تقوم بدراسة النظم الاجتماعية للمجتمعات المتخلفة والأدوار الّتي تقوم بين مختلف النظم والأنساق في علاقتها بالبناء الكلي، وذلك للتعرف على مدى التشابك القائم بين النظم والإنسان والّتي تعمل على تماسك البناء الاجتماعي واستمرار وحدته وكيانه. (أحمد زكي، 2009، ص21)

المحور الرابع

علاقة الأنثروبولوجيا بمختلف الحقول المعرفية والعلمية

حاول الانسان قبل القرن الثامن عشر معرفة سلوكه وسلوك الآخرين وقام بتحليلها، ونظرا لأن الانثروبولوجيا كعلم لا تهتم بالإنسان بمفردها كما أنها لا تشارك العلوم الاجتماعية وإنما يشترك معها أيضا العلوم الطبيعية فهناك ارتباط دائم بين الأنثروبولوجيا البيولوجية وبين علم الاقتصاد وعلم الاجتماع، كما وأن الانثروبولوجي يرحب بكل اسهامات هؤلاء العلماء وذلك للوصول الى تحقيق الهدف العام لعلم الإنسان نفسه ألا وهو فهم الانسان ويقدم نتائج بحوثه ودراساته المختلفة من أجل تحقيق صالح الإنسان.

1. علاقة الانثروبولوجيا بالبيولوجيا (علم الأحياء):

المثال الأكثر شيوعا في تراث العلوم الاجتماعية فيما يتعلق بالربط بين علم الانثروبولوجيا وعلم الأحياء، هو الدراسة التي قام بها هربرت سبنسر حول ظاهرة التطور، بحيث أنه ماثل بين ظاهرة التطور في الكائن الحي والتطور في المجتمعات البشرية، متأثرا بذلك بأدبيات علم البيولوجية، فنمو جسم الكائن الحي من خلية الى أن يصبح جسما مكتملا بأعضاء يؤدون وظائف خاصة، يشبه تماما نمو المجتمع الانساني الذي يبدأ بالأسرة، التي تأخذ في زيادة عددها الى أن تصبح عشيرة فقبيلة، الى أن يصبح مجتمعا حضريا كبيرا (مصباح، 2010، ص24).

أثبتت النظريات التطورية صحة هذه العلاقة في علم وظائف الأعضاء والتشريح وحياة الكائن الحي التي تتغير باستمرار بفعل التكاثر وانتاج أجيال جديدة قد تكون أرقى من الأجيال السابقة (الشماس، 2004، ص45).

ويعزي البعض بداية الأنثروبولوجيا المتخصصة الى هذا التماثل بين التطور البيولوجي والتطور الثقافي، قد أدى الربط بين البيولوجيا والانثروبولوجيا وخاصة في جانبها الفيزيقي الى تسمية الانثروبولوجيا البيولوجية بـ"البيولوجيا الانسانية"، بالإضافة الى هذا نجد أن الرجوع الى البيولوجيا بالنسبة للأنثروبولوجيين قد ساعد كثيرا في فهم الأسس البيولوجية للسلوك الثقافي للإنسان. (يحي مرسي عيد بدر، 2007، ص45-46)

ويحظى تحليل التنوع في العلمين، بدور حيوي: التنوع الجيني في علم البيولوجيا والتنوع الاجتماعي في الانثروبولوجيا، فالتنوع أمر أساسي لما تسميه البيولوجيا "الفاعلية البيولوجية"، وهي القدرة على مواصلة الحياة واخلاف الذرية، والأمر ذاته نجده في الانثروبولوجيا فيما يطلق عليه إشباع الحاجات الأساسية. (الشماس، 2004، ص45).

كما تكمن العلاقة بين العلميين في دراسة أحجام جمجمة الإنسان والأعضاء الأخرى التي عثر عليها في المقابر أو الحفريات، المعرفة الشكل الذي كان عليه الانسان القديم، والتطورات التي طرأت عليه،

وكذلك الحيوانات التي استألفها وانقرضت، والأخرى التي كان يصطادها بغرض الغذاء، وتصميم الألبسة والزينة. (مصباح، 2010، ص24-25).

ومن المساهمة التي تقدمها الدراسات الأنثروبولوجية الفيزيقية تكمن في تحديد السمات الفيزيقية للبشر والمخلوقات الأخرى وتحديد أوجه الاختلاف والتشابه بين الإنسان وهذه المخلوقات بإستخدام بعض التحليلات البيولوجية مثل فصائل الدم وتحديد نسبة الهيموغلوبين وغيرها....

وتبحث بالإضافة عن الأسباب ظهور الأمراض التي تظهر في بعض الشعوب ما إذا كانت سببها الاختلافات الموروثة أم الى عوامل أخرى مثل التغذية. (فاروق أحمد مصطفى وآخرون، 2013، ص17)

فالانثروبولوجيا من الناحية النظرية شديدة القرب من البيولوجيا، فكلا هما يدرس عملية اعادة انتاج الحياة، وكلاهما مبني على نموذج نظري للتنوع، وكلّ في تخصّصه. (الشماس، 2004، ص45).

2. علاقة الأنثروبولوجيا بعلم الاجتماع:

يعتبر علم الاجتماع **sociology** من أقرب العلوم لعلم الإنسان نظرا لأن كلا من العلمين يهتم بالدور الذي يقوم به الإنسان من خلال وجوده في محتوى اجتماعي وكل من الانثروبولوجي والاجتماعي يحاول فهم العادات والتقاليد الخاصة بالشعوب التي تنتمي الى ثقافات معينة. (فاروق أحمد مصطفى وآخرون، 2013، ص14)، والعلاقة بين الانثروبولوجيا وعلم الاجتماع علاقة تداخل بسبب أن معظم علماء الانثروبولوجيا هم كذلك علماء الاجتماع، مثل ابن خلدون، ايميل دوركايم، مالينوفسكي برونسلو... والسبب الثاني هو التداخل في معظم الموضوعات المدروسة من قبل العلمين كما أشرت سابقا فيما يخص محتوى الاجتماعي ومن بين هذه الموضوعات: الثقافة، النظم الاجتماعية، الأسرة، والقرابة... إلا أن تناولها يختلف من علم الى آخر، فالأنثروبولوجيا تتناول موضوع الثقافة من حيث نشأتها وعكسها لنمط التفكير لدى جيل معين من البشر، وهذا يعني تناول الثقافة في سياقها التاريخي، على عكس معالجة علم الاجتماع لموضوع الثقافة، فهو يدرسها كأداة تكيف للإنسان مع المحيط الاجتماعي ووظيفة لإشباع الحاجات الإنسانية المختلفة. (عامر مصباح، 2010، ص23)، كما أن الأنثروبولوجي يتميز بإهتمامه الخاص بالبحث عن القوانين العامة للسلوك الإنساني وذلك عن طريق دراسة كل جوانب السلوك الإنساني وليس كما يفعل المتخصص في علم الاجتماع من خلال عينة أو نماذج محددة من الجماعة. اضافة الى أن الانثروبولوجي ينظر الى الإنسانية ككل ولا يحدد نفسه في دراسة ثقافية واحدة كالثقافة الغربية كما أنه يرى أنه من الضروري لكي يصل الى فهم أعمق للسلوك الانساني يجب عليه أن يدرس الانسان في كل مكان ومن ثم

فان الدراسات الأنثروبولوجية امتدت الى دراسة كل الثقافات الإنسانية الأخرى (فاروق أحمد مصطفى، 2013، ص14).

ويشمل دراساتها على ميادين أخرى أكثر تركيزا، كميدان ثقافة الإنسان في مرحلة ما قبل التاريخ باعتبار أن دراسة هذه المرحلة هي أساس دراسة الثقافات الإنسانية المختلفة، وتمتد العلاقة بالضرورة الى منهج البحث المتبع في كلا الحقلين، اذ المنهج التاريخ وطريقة الدراسات الطولية وأدوات الملاحظة والمقابلة والمقارنة كلها طرق منهجية مشتركة بين الحقلين، فلو أخذنا ابن خلدون، نجده اعتمد بشكل أساسي على المنهج المقارن والتاريخي والملاحظة، في دراسة وتحليل أنساب العرب، ونشأة العمران البشري واندثاره، وقيام الملك وزواله، في حين نجد إميل دوركايم استخدم طريقة الدراسة الطولية والملاحظة في تحليل النظام الاجتماعي والظاهرة الدينية في مجتمع قبيلة أرنتا بأستراليا، وسوف يؤدي التداخل في استخدام المناهج وطرق البحث الى تداخل في البيانات المجمعة والنتائج العملية المتوصل إليها، مما يوجد حالة من الاعتماد المتبادل الوظيفي في المعرفة بين الانثروبولوجيا وعلم الاجتماع، بحيث أن التراكمية المعرفية في أحدهما سوف توفر الخلفية النظرية للبحث في الحقل الآخر، والعكس صحيح. (عامر مصباح، 2010، ص23).

ويبرز نوع آخر في علاقة المتداخلة لكلا العلمين، تكمن في استناد على المادة التي يقدمها كل منهم حيث يجد علم الاجتماع في المادة الإثنوغرافية التي يجمعها الباحث الأنثروبولوجي معلومات وفيرة تعمل على إثراء وبناء النظرية الاجتماعية وأيضا يعود الباحث الأنثربولوجي، بالفروض النظرية التي صاغها علماء الاجتماع الى الواقع المجتمعي لاختبارها والتحقق من مدى صدق وثبات هذه الفروض، فالعلاقة بين الأنثروبولوجيا وعلم الاجتماع أشبه بالعلاقة الجدلية التي تؤدي الى نمو البناء النظري في الأنثروبولوجيا وعلم الاجتماع. (غامري، 1991، ص15-16).

إذ أن علم الانسان له عدة مجالات منها الاجتماعية، التي تهتم بدراسة البناء الاجتماعي، والقضايا اللغوية التي تختص بمقارنة طبيعة اللغات وبنائها وأصولها وعلاقتها المتبادلة. وهناك الأنثروبولوجيا الثقافية التي يستخدمها العلماء لمقارنة أنماط الحياة في المجتمعات الحديثة بمجتمعات أخرى، وبذلك أصبح علماء الاجتماع وعلماء الإنسان مستفيدين من إنجازاتها.

ومن المعلوم أن علم الانثروبولوجي أقدم من علم الاجتماع، اذ ظهر خلال القرنين الخامس عشر والسادس عشر ميلادي بينما علم الاجتماع ظهر في بداية القرن الثامن عشر الميلادي وسبب ظهوره يعود الى عدة متغيرات أهمها: زيادة مشكلات الإنسان، وتفاقم أوضاعه الاجتماعية والحياتية.

وتكمن أهمية علم الاجتماع لعلم الأنثروبولوجيا في أن كل علم يعتمد على العلم الآخر، أي أن علم الاجتماع يزود علم الأنثروبولوجي بمعلومات تفصيلية عن ماهية وطبيعة مشكلات المراحل الحضارية وطبيعتها، التي سيشهدها المجتمع البدائي وكذلك علم الأنثروبولوجيا يزود علم الاجتماع باللغات ونشأتها الثقافية وتفرعاتها وأنماط الحياة الاجتماعية. (عصام محمد منصور، 2016، ص31).

3. علاقة الأنثروبولوجيا بعلم النفس:

ورد عن علم النفس تعاريف عديدة بأنه:

- العلم الذي يدرس سلوك الانسان بما يمثله من أفعال وأقوال وحركات ظاهرة وأوجه النشاط الإنساني أثناء عملية التفاعل مع بيئته.
- أنه العلم الذي يدرس سلوك الإنسان وما وراءه من عمليات عقلية.
- أنه العلم الذي يهتم بتفسير السلوك الإنساني في المواقف الحياتية المختلفة والدوافع الكامنة وراء هذا السلوك.

ونستطيع القول أن علم النفس يبحث في كل ما يفعله الانسان ويقوله، أي كل ما يصدر عنه من سلوك حركي أو لفظي يكون ظاهرا للعيان، مثل المشي والكتابة والكلام والضحك والأكل وغيرها (وهذا ما تنطلق منه المدرسة السلوكية).

ويبحث في كل ما يستشعره الفرد من تأثيرات وجدانية وانفعالية، كالإحساس باللذة أو الألم، والشعور بالضيق أو الارتياح، أو بالحزن والفرح أو بالخوف أو بالغضب وكل ما يميل إليه أو ينفر منه. (وهذا ما تنطلق منه النظريات التحليلية).

ومن هنا يمكن القول بأن موضوع علم النفس هو كل نشاط جسمي باد للعيان يلازمه نشاط نفسي داخلي يرتبط به ارتباطا وثيقا، إضافة الى كل نشاط نفسي داخلي يصحبه نشاط جسمي يمكن ملاحظته. وهكذا ليس هناك حد فاصل بين النشاط الجسمي والنشاط النفسي أو بين الحياة النفسية والسلوك العملي الظاهر، أي أن ما يصدر عن الإنسان إنما يصدر عنه باعتباره وحدة جسمية نفسية متكاملة لا تتجزأ، ممثلا ذلك في قول الفيلسوف اليوناني أرسطو "ليس الذي ينفعل هو النفس أو الجسم بل الإنسان"، فالإنسان

كله هو الذي ينجز أعماله ويحل مشكلاته ويتعامل مع البيئة المحيطة به ويتكيف معها. (الزغول والهنداوي، 2014، ص28-29)

ولذلك تهتم الدراسات النفسية بالخصائص الجسمية الموروثة، وتحديد علاقتها بالعوامل السلوكية لدى الفرد، ولا سيما تلك العلاقة بين الصفات الجسمية العامة، وسمات الشخصية، مع الأخذ في الحسبان العوامل البيئية المحيطة بهذه الشخصية.

ويميل النفسيون الى الاعتقاد بأهمية هذه العوامل البيئية في هذه العلاقة، فالشخص القوي البنية، والذي يميل الى السيطرة وتولي المراكز القيادية، لابد وأنه تعرض الى خبرات اجتماعية/ النفسية، في أثناء طفولته ونموه، أسهمت في اكسابه هذه السلوكات. (الجسماني، 1994، ص271)

يلتقي علم النفس مع علم الانثروبولوجيا في دراسة السلوك لكنهما يختلفان في طريقة البحث وسياقته، فالأنثروبولوجيا تدرس السلوك في سياقه التاريخي، وكيف أثرت عليه عوامل مختلفة في جذوره الماضية، وما مدى استمرار مثل هذه التأثيرات في حاضر المجتمعات الإنسانية، كتأثير الثقافة، والنبات، والجيولوجيا على تشكل أنماط السلوك لدى الجماعات البشرية الغابرة، في حين نجد علم النفس أيضا يدرس السلوك، لكن في سياقه الحاضر أو الجاري، وبالتالي يعتمد على الملاحظة والمسح الاجتماعي والتجريب والمنهج الوصفي في تحليل السلوك الإنساني. (عامر مصباح، 2010، ص25)

ومع ذلك هناك صلة وثيقة، بين علم النفس والأنثروبولوجيا، فقد صدرت بعض الدراسات المتعلقة بعلم النفس الاجتماعي **Social psychology**، كشفت أن الإنسان لا يعيش إلا في وسط بيئة اجتماعية، يؤثر ويتأثر بها، وتتصبّ الدراسة في علم النفس الاجتماعي على المحاكاة والتقليد والميول الاجتماعية، كالمشاركة الوجدانية والتعاون والغيرية وغريزة التجمع، إضافة الى دراسة الاتجاهات، فقد صدرت دراسات خاصة بالأنثروبولوجيا السيكولوجية، التي تعنى بالظواهر السيكولوجية لبني البشر حين يعيشون في طبقة أو جماعة، حيث أن الطبيعة الإنسانية من صميم علم النفس العام، كما أنّها عامل حتمي في تكوين النظم الاجتماعية الإنسانية. (الشماس، 2004، ص51).

وتتجلى العلاقة الموجودة بين علم النفس الاجتماعي والأنثروبولوجيا من خلال دراسة تلك العلاقات الواقعية والخيالية الموجودة بين الأفراد والجماعات والمؤسسات في مجتمع ما.

وقد وضع علم النفس الاجتماعي في علاقته بالأنثروبولوجيا مجموعة من المتغيرات الرياضية لتكميم هذه العلاقات (كالإحصاء) انطلاقا من المحيط الاجتماعي الذي يعيش فيه الفرد والقيم المفروضة عليه، وهي التي تؤثر على سلوكاته ومن بين المتغيرات التي يريد الأفراد تحقيقها: عمل مستقر، صحة بيولوجية ونفسية، الأمن، الحرية، السلام، العدالة، المساواة أمام القانون...الخ.

ونتيجة العلاقة بين العلمين، فإن علم النفس الاجتماعي اتجه أكثر الى الدراسة التجريبية والعملية في العصر الحالي، وذلك نتيجة تأثير المقاربات النظرية والمنهجية الأمريكية التي تؤمن بالحقائق التجريبية ومن بين الأبحاث والدراسات التي ولت لها الاهتمام في الوقت الحالي هي صيرورة الملكات الذهنية وعلاقتها بوضعيات ووقائع التبادل الاجتماعي بين الأفراد (تأثير المؤسسات الاجتماعية والثقافية على تنمية وتطوير وتحسين القدرات الذهنية للأفراد، وتحفيز إبداعاتهم في شتى المجالات العلمية والثقافية والاجتماعية). (تيلوين، 2011، ص56-57).

وتمخض عن استخدام الباحثين الأنثروبولوجيين، للاختبارات السيكولوجية في فهم البناء الأساسي لشخصية المجتمعات البدائية، نشأة فرع الأنثروبولوجيا النفسية، والذي يعنى بدراسة علاقة الفرد بالثقافة والمجتمع فهو يدرس سلوك الإنسان في جماعة بشكل عام، أما علم النفس على الفرد بشكل خاص، وهذا يوجه الاهتمام في الأنثروبولوجيا النفسية بدراسة "الشخصية والتغير الثقافي والدراسة المقارنة للتغير المرتبط بالنمو على امتداد دورة حياة الفرد ودراسته مفهوم الهوية... ومن المؤثرات النظرية الأساسية في الأنثروبولوجيا النفسية نظرية فرويد أو التحليل النفسي (حسن شعبان، 2004، ص12-13). اذ يعتبر سيغموند فرويد أول من بدأ في استعمال المعطيات الأنثروبولوجية في مجال التحليل النفسي عام 1912-1913، إذ أكد على أن الميول أثبتت أن الثقافة (ثقافة المجتمع) لها دور في تهذيب هذه الغرائز وضبطها، وقد أعطى مثالا على ذلك "الأب المتسلط" الذي قتله أبناؤه وأكلوا لحمه (طبعا كان ذلك في المجتمعات البدائية) وأصبح ذلك طبيعيا في هذه المجتمعات، وبالخصوص في المجتمعات الطوطمية، وفي ما بعد أصبح أصلا لما يسمى الطابو *(Le Tabou)، ويضيف فرويد قائلا:" إن المجتمع هو كائن اجتماعي يجب أن نعامله ككائن فردي". معنى ذلك: أنه بالرغم من أن المجتمع عبارة عن تجمعات بشرية إلا أنه في حقيقة الأمر هو مجموعة من الأفراد يتميزون ويختلفون فيما بينهم في الطباع، السلوك، طريقة التفكير وحتى في الأذواق، وهذا يعني أن الانثروبولوجيا تهتم بدراسة ماضي وتاريخ قيم التجمعات البشرية وربطها بالظواهر النفسية. (تيلوين، 2011، ص51-53)

* **الطابو**: كلمة مشتقة من مصطلح بولينيزي وصفه لأول مرة الكابتن كوك cook في حديثه عن عادة **تحاشي** بعض الأشخاص أو الأماكن، أو الأشياء عند شعب بولينيزيا. ويمكن ترجمة المصطلح البولينيزي الأصلي بكلمة **المقدس**، ويعني الجمع بين القوة الطقوسية(الدينية) والخطورة الطقوسية أيضا، ولكن حدث في أعقاب ذلك أن تم التوسع في استخدام المصطلح خارج سياقه الأصلي بحيث يدل على مجموعة كبيرة من صور التحاشي أو التحريم الطقوسي في بيئات إثنوغرافية مختلفة منها: تحريم أكل بعض الأطعمة، أو تحريم الاتصال ببعض الأقارب أو الأشخاص الذين يكونون في حالات طقوسية معينة، والتحريم العام للزنا بالمحارم وقد ادخل سيغموند فرويد المصطلح في نظريته عن التحليل النفسي للنمو النفسي الاجتماعي عند الإنسان. ووصف التابو بأنه مزيج من الانجذاب أو الرغبة والرفض أو الخوف الذي يعكس صراعا نفسيا بدائيا داخل الفرد. (سيمور،1992، ص216)، فهو مصطلح من مصطلحات فرويد وهي الأشياء التي لا يمكن التصريح بها أو القيام بها، لأنها غير مقبولة من طرف المجتمع، أي ضد أخلاقيات وأعراف هذه المجتمعات وتقاليدها.

ان ظهور هذا التوجه النظري ترتب على مساهمات الكتاب الأنثربولوجيين الأوائل في أمريكا بصفة خاصة، أولئك الذين استهدفوا البحث عن الطبيعة الإنسانية من خلال اهتماماتهم بسير الحياة الذاتية **Autobiographies** (قصة حياة الفرد يرويها بنفسه ويفسرها في ضوء آرائه الشخصية) وكذلك سير حياة الأفراد **Biographier** (قصة حياة الفرد يرويها شخص آخر ويفسرها في ضوء آراء وأفكار عامة). غير أنها كما يقول **James Clifton** "تتسم بالسطحية وتبدو غامضة وغير مقنعة تفتقد الى الادراك السيكولوجي، بل يصعب التمييز فيها بين المادة السيكولوجية **Psychological Data**، والمادة الثقافية **Cultural Data**، مؤلفوها كانوا مع رواد الأنثروبولوجيا الأوائل، استهدفوا نشر المادة الأنثروبولوجية من خلال عرضهم لخبرات الحياة الشخصية، ولكنهم لم يستهدفوا إضافة علم النفس للأنثروبولوجيا". ولكن ترتب على ذيوعها وانتشارها تفسيرات سيكولوجية معقدة، ووجهت الأنظار الى هناك ارتباطات بين الثقافة والشخصية، أن ثمة ملامح أو خصائص مميزة للشخصية تسود في المجتمع معين أو قطاع منه، من هنا فإن إضافة المنظور السيكولوجي أو بمعنى أدق استخلاص المادة السيكولوجية كانت من خلال النظر الى سير الحياة هذه، والمادة الأنثروبولوجية لهذه السير القديمة والتي قدمها الباحثون المعاصرون أوضحت كيف أن الثقافة تؤثر في الفرد وكيف أن ذاتية الفرد والثقافة يتفاعلان معا نذكر منهم **Lurie لوري** عن الهنود **Winnebago** (1971) و**Smith سميث** عن هنود **Ogibwa** 1973 و**Mead ميد** عن أحد زعماء غينيا الجديدة 1956...الخ. (فاروق مصطفى، 1980، ص146-147).

ويرجع الفضل في وضع الأسس العلمية والمنهجية، لدراسة الثقافة والشخصية للعالمتين الأنثروبولوجيتين الأمريكيتين **روث بندكت** و**مارغريت ميد M.Mead**.

وفي هذا المجال تعد **بندكت روث فلتون** Benedict Ruth Fulton -ولأنها تلميذة بواس-، كانت رائدة في مجال الدراسات الخاصة بالعلاقة بين الثقافة والشخصية والتي بنت تنميطها للثقافات على أنماط سيكولوجية. "فكتابها بعنوان أنماط الثقافة 1934، يعد أفضل تعبير معروف لهذا الاتجاه، فقد أخذت هنود البويبلو في الجنوب الغربي والكواكيوتل في كولومبيا البريطانية والدوبو في جنوب المحيط الهادي أمثلة رئيسية وحاولت أن تبين أن كل ثقافة ليست مجموعة اعتباطية من التقاليد التي "استعيرت" كيفما أنفق أو انتشرت من الثقافات المجاورة". (بيرتي ج بيلتو، 2010، ص47).

وذهبت الى أن الثقافات المتكاملة هي نتاج للانتقاء التاريخي للعادات والقيم وفق لنمط الشخصية السائد. كما أضافت كتابها أنماط الثقافة (1934) إن الثقافة مثلها مثل الفرد، عبارة عن نمط متسق من

الفكر والفعل. وفي كل ثقافة تظهر أغراض مميزة لها، وتتجه عناصر سلوكية غير متجانسة الى اتخاذ أشكال متطابقة أكثر فأكثر... ولا يمكن فهم الشكل الذي تتخذه هذه الأفعال إلا من خلال فهم البواعث العاطفية والفكرية الرئيسية للمجتمع. (شارلوت سيمور، 1992، ص311).

وهكذا نظرت **بندكت** مثل **مارجريت ميد** –من طلبة بواس أيضا–التي تبعتها في تطوير هذا الاتجاه الى الثقافة بوصفها "تدوينا واسع النطاق للشخصية". وأوضحت **ميد** في مؤلفاتها التي أثرت تأثيرا كبيرا على الرأي العام الأمريكي، أن التنوع الطبيعي في الميول المزاجية الأساسية متماثلة على المستوى العالمي، غير أن كل ثقافة انتقت وشكلت عددا محدودا من الأشكال وصاغت منها بعض الإمكانيات. (شارلوت سيمور، 1992، ص311).

تعتبر الثقافة الموضوع الأساسي الذي تسعى الأنثروبولوجيا الى فهمه، غير أن هذا الفهم غير متاح دائما من خلال تفسير الثقافة في ذاتها، لذلك نجد علماء الأنثروبولوجيا يرجعون الى علم النفس من أجل فهم الظواهر الثقافية... وخاصة ما يتعلق بالدّين والشعوذة والسحر والأساطير، وفي هذا السياق كان **مالينوفسكي** يرى أن الدّين ينشأ في أوقات الأزمات التي تمتاز بشدة الانفعالات مثل حالات الوفاة، لذلك يصبح الدّين بمثابة وسيلة للسيطرة على تلك الأزمات... أي أثر العادات والتقاليد والقيم والمعايير وأساليب التنشئة في تشكيل شخصيات الأفراد، وبالمقابل أثر الشخصية في الثقافة من خلال الأدوار التي يؤديها القادة وأصحاب "الكاريزما" في توجيه الثقافة السائدة، وذلك بما يتمتع به هؤلاء القادة من أفكار وأيديولوجيا وقوة...الخ (يحي مرسي عيد بدر، 2007، ص62–64).

اذن تبلور هذا التوجيه النظري كان نتيجة لظهور علم النفس الفرويدي من ناحية، ومعالجة السير الذاتية من الناحية الأخرى في مجال الثقافة والشخصية، وحتى أولئك الأنثروبولوجيين الذين لم يهتموا بهذا الموضوع مباشرة شجعوا تلاميذهم للتخصص فيه، وأصبحنا نجد أن هناك تداخل واضح بين عدد من العلوم والمعارف نتيجة موضوع الثقافة والشخصية، كان محورا لإهتمام العديد من العلوم كالأنثروبولوجيا والطب وعلم النفس الأكاديمي وعلم الاجتماع والتاريخ والسياسة. (فاروق مصطفى، 1980، ص147).

من خلال ما سبق يمكن القول إن العلاقة بين الانثروبولوجيا وعلم النفس تتجلى من خلال فرعين في علم النفس هما التحليل النفسي، وعلم النفس الاجتماعي.

إن مهمة عالم الأنثروبولوجيا في محاولاته لكشف خفايا الأمور تشبه مهمة عالم النفس في الجهود التي يبذلها في سبرغور العقل الباطن، وفي كلا الحالتين تتألف النتائج المتوصل إليه الباحثون من سلسلة

تأويلات، أما الحقائق التي تستند إليها هذه التأويلات فكثيرا ما تكون قابلة لأكثر من تفسير. لذلك تعد الانثروبولوجيا دراسة للأنماط السلوكية والإنسانية، بينما تعد الدراسة النفسية دراسة للسلوك الخاص بالشخصية الفردية. (الشماس، 2004، ص52)

4. علاقة الانثروبولوجيا بالتاريخ:

ظلت العلاقات بين علمي التاريخ والأنثروبولوجيا موضوعًا لكثير من الجدل والنقاشات، ولقد كانت هذه النقاشات كاشفة ومثمرة بالنسبة للأنثروبولوجيا، حيث يشترك العلمان في كثير من الصعوبات النظرية والمنهجية والفلسفية. واختلف علماء الأنثروبولوجيا في تحديد طبيعة العلاقة بين العلمين، وذلك تبعا لفهمهم لفلسفة التاريخ وفلسفة الأنثروبولوجيا.

فيذهب **ليفر ستراوس** (1963)، على سبيل المثال، الى أن التاريخ والأنثروبولوجيا يتشابهان أساسا في توجهاتهما وفي أهدافهما، فيما عدا ناحية واحدة.

فعلى حيث يكرس التاريخ نفسه لدراسة سياقات بعيدة عنا زمانيًا، تكرس الأنثروبولوجيا نفسها لدراسة سياقات بعيدة عنا مكانيا (المجتمعات الغربية)، أما الفارق الرئيسي بين التاريخ والأنثروبولوجيا، فيرى **ليفي ستراوس** أن التاريخ يركز على الخاص والفردي، على حين تحاول الانثروبولوجيا استكشاف القوانين العامة للتنظيم الاجتماعي، ويقول في ذلك "ان التاريخ ينظم مادته في علاقتها بالتعبيرات الواعية عن الحياة الاجتماعية، على حين تستهدف الأنثروبولوجيا فحص ودراسة الأسس اللاشعورية لتلك الحياة".

أما **ايفانز بريتشارد** (1962) فيذهب الى وجود وشائح أساسية بين العلمين، بمعنى أن كلا من التاريخ والأنثروبولوجيا من العلوم ذات النزعة الإنسانية وذات الطابع التفسيري، ولا يستهدفان استخلاص قوانين علمية تحكم الحياة الاجتماعية البشرية، وإنما يسعيان الى تفسير وترجمة الظواهر الاجتماعية والثقافية.

أما مذهب الخصوصية التاريخية عند **بواس**، فيفترض الصلة بين العلمين في ضوء الدراسة التاريخية المحدودة النطاق (الميكرو)، التي تستغرق في تفاصيل عمليات محلية معينة بينما تعجز عن رؤية الاتجاهات التاريخية الكبرى.

ومن ردود الفعل الأخرى على التاريخ الظني عند النزعة التطورية موقف مالينوفسكي وموقف الوظيفة البنائية الوظيفية في الأنثروبولوجيا، وجميعها مواقف رفضت التاريخ كلية، ودعت بدلا من ذلك الى التحليل الآني للبناء الاجتماعي والوظيفة الاجتماعية. (سيمور، 1992، ص219-220).

لقد تصدى زمرة من الأنثروبولوجيين لعملية اقحام التاريخ في الدراسات الأنثروبولوجية والاستعانة بأطروحاته المعرفية والمنهجية، واعتبروا ذلك انحرافا عن الخط المعرفي للأنثروبولوجيا ذاتها، كما أنهم أشاروا الى أن من نقط الضعف هذا الاتجاه ما يتمثل في تلك المعادلة لإعادة تركيب التاريخي والتي تظل فروضا غير قابلة للتحقيق، حيث يستند صدق تلك الفروض التاريخية أصلا الى الادعاءات الضمنية التي تقوم عليها، والتي تتعلق بطبيعة الثقافة وقوانين نموها وتقدمها، ولهذا فهي لا تفسر شيئا في الحقيقة، وذلك لأن التاريخ لا يفسر إلا حينما يوضح لنا بالتفعيل العلاقة بين الثقافة كما هي لحظة معينة من ناحية، والظروف العاملة والأحداث من ناحية أخرى. (سعيدي، 2013، ص34)

ومهما يكن من أمر الجدال القائم بين قبول التاريخ ورفضه ضمن الفعل الأنثروبولوجي، فإننا نعتقد أن استعانة الباحث الأنثروبولوجي، بالمنهج التاريخي، تعد عملية مفيدة وفعالة، اذ يمكن أن تبرز العلاقة بين هذين العلمين فيما يتمثل" استخدام البيانات التاريخية والمناهج التاريخية في البحوث الأنثروبولوجية، فنجد أن البحث الميداني المعاصر أخذ يتباعد بشكل متزايد عن الاعتماد الكلي على التحليل الآني (المتزامن والمعاصر)، وعلى الملاحظة بالمشاركة، حيث شعر الأنثروبولوجيون بالحاجة الى الإستعانة بالمعلومات التاريخية، مثل التاريخ السلالي، والخلفية التاريخية للسياق الإقليمي والقومي والعالمي، الذي يعيش وسطه المجتمع الذي تجرى فيه الدراسات الميدانية، لذلك يتعين أن يكون الباحث الميداني مؤهلاً للإفادة من المصادر الوثائقية، ونقدها، ولقد أصبح استخدام تلك المواد يمثل جزءا جوهريا من البحوث المعاصرة".(سيمور، 1992، ص220).

وتسخر للباحث الأنثروبولوجي امكانية معرفة أصول الظاهرة الاجتماعية والثقافية وأهم مراحل تطورها وأهم التغيرات التي طرأت في الثقافة الواحدة أو في الثقافات المختلفة وفي المجتمعات المختلفة، وأهم العناصر التي تفاعلت معها عبر مسيرتها التاريخية الطويلة.

وان المعرفتين الأنثروبولوجية والتاريخية تشكلان قوة معرفية مهمة في كتابة تاريخ ثقافات الشعوب وتاريخ نظمها الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والعقائدية القديمة... فهذه المعرفة تلهم الباحث الاجتماعي قدرة على مساءلة العناصر الثقافية والاجتماعية واستنطاق حاضرها وماضيها وما أفرزته من بنى مادية ومعنوية وسلوكية، كما تؤهل المعرفتان الباحث الاجتماعي الى كتابة تاريخ الشعوب وتاريخ ثقافتها كتابة حية تختلف عن كتابة المؤرخ المحترف الذي قلما ينزل الى الميدان الاجتماعي والثقافي الشعبي الذي يؤرخ له حيث تقف مرجعيته عند حدود الوثائق والكتب، فيكتب تاريخ الشعوب من بعيد ويبقى يلامس موضوعه من مكتبه الخاص، أو قد يعتمد

على تخميناته وتأويلاته عند غياب الوثائق والكتب فتفتقد بذلك صحة المعلومة وينتج عنه مواقف خطيرة في حق ثقافات وتاريخ الشعوب. (سعيدي، 2013، ص32-34)

5. علاقة الانثروبولوجيا بعلم الفلسفة:

تعود كلمة (فلسفة) الى الأصل اليوناني المكون من مقطعين: فيلو **Philo**+ سوفيا (**Sophy**) أي فيلوسوفيا **Philosophy**، وتعني (حب الحكمة) أو محبة الحكمة.

ولكن على الرغم من أصلها الاشتقاقي، فقد اتخذت عند أرسطو معنى أكثر دقة وشمولا، حيث عرفها بأنها:" علم المعنى الأكثر شمولا لكلمة علم". ويشرح ذلك بقوله:" الفلسفة هي علم المبادئ والأسباب الأولى، غايتها البحث عن الحقيقة برمّتها، وبأكثر أساليب الفكر نظاما وتماسكا". أي أنها: علم الوجود بما هو موجود، أو الفكر في جوهر وجوده، ولا يمكن بلوغ هذه الغاية إلا بإحكام دقيقة للفكر، أي بمنهج يستند الى مبادئ العقل. وبالنظر الى هذا المعنى الواسع، اختلف الفلاسفة في إعطاء معنى دقيق للفلسفة، فقد عرفها الطبيعيون بأنها: " البحث عن طبائع الأشياء وحقائق الموجودات"، وعرّفها بعض الفلاسفة الآخرين بأنها: "مجموعة المعلومات في عصر من العصور".

وإذا كانت الفلسفة أم العلوم كما كانت تسمى بالنظرة لِشمولية دراستها مجموعة من العلوم الرياضية والانسانية والفيزيائية، فإن صلة الأنثروبولوجيا بها وثيقة جدا، ولا سيما فيما يتعلق بنظرة الإنسان الى الكون والحياة في زمان ما أو مكان محدّد، وذلك لأن الزمان والمكان مرتبطان بعلاقة جدلية، لا يمكن إدراك مكوّناتها إلا من خلال دراسة الفعل الإنساني، الذي يسعى الى البقاء والاستمرار.

فدراسة أصل الإنسان ونشأته وحياته وسعيه الى البقاء والخلود وما ينجم عن ذلك من تطور وتغيّر مستمرين كلها تقع في ميدان الدراسات الأنثروبولوجية، ولا سيما تلك العلاقة الأزلية بين طبيعة الإنسان، وواقعه وما يطمح إليه من آمال وأهداف تؤمّن سيرورة حياته (الشماس، 2004، ص49-50).

6. علاقة الأنثروبولوجيا بالجيولوجيا والجغرافيا:

جيولوجيا (**Geology**) علم طبقات الأرض، علم يدرس القشرة الصلبة من الأرض وطبقاتها من حيث المواد المكونة لها، وطريقة تكوينها، والتبدلات التي طرأت عليها منذ تكوينها. (شاكر مصطفى، 1981، ص392)

ان الدراسات الجيولوجية تساعد في تحديد الفترات الزمنية التي عاش بها الإنسان خلال مراحل تطوره المختلفة، حيث يعثر على البقايا العظمية للإنسان ضمن القشرة الأرضية الرسوبية المتطبقة فوق بعضها

حسب خاصية النشوء والتقادم بحيث يكون أسفلها أقدمها وأحدثها أعلاها، وبذلك يمكننا معرفة الفترة الزمنية لكل نوع من أنواع الإنسان.

كما تساعد الدراسات الجيولوجية على تحديد خارطة انتشار الخامات المعدنية والثروات الطبيعية من مياه وغيرها شكلت على مر الزمان الشروط الأساسية لنشوء التجمعات البشرية واستقرارها وانتشارها أو تحولها وانهيارها. (الخطيب، 2005، ص20) مما يمكن معرفة المناطق التي قطن فيها الإنسان، واليوم هي مناطق خالية كالصحراء، عن طريق الكشف عن بقايا الفحم، وتحليل طبقات الأرض التي تحتوي على آثار الحياة والزراعة وما الى ذلك. (مصباح، 2010، ص19-20)

وتفيد الأبحاث الجيولوجية من معرفة الفترة الزمنية التي عاش فيها الإنسان الحفري أو كل نموذج من أنواع الجنس البشري، من خلال التعرف على البقايا العظمية المستحاثية الحفرية، والتعرف على البيئة الجغرافية المعاصرة لتلك البقايا، والظروف المناخية السائدة في تلك الأزمنة الخاضعة للنشوء والتقدم، حيث تشكل المادة المكتشفة أو البقايا، الدلالة على ما يتجسد من نظريات أنثروبولوجية. (الجابري، 1997، ص12).

ويعمل الجيولوجي على تزويد الأركيولوجي (علم الآثار) بعمر الأشياء التي يعثر عليها، فالجيولوجي يستطيع أن يحدد بعض البقايا الثقافية التي يعثر عليها في بعض الشقوق الأرضية أو في بعض الترسبات أو في بعض الطبقات الأرضية التي تنتمي الى عصر جيولوجي معين (يحي مرسي عيد بدر، 2007، ص46) فيستفيد منها الأنثروبولوجي من المعلومات المقدمة لمعرفة عمر الحضارات والثقافات التي قامت في مناطق معينة من جهة، كالحضارة البابلية، والفرعونية واليونانية، والفينيقية وغيرها، وجهة أخرى تحليل هذه الثقافة ومعرفة طريقة تفكير الإنسان في ذلك الوقت يحتاج الى الاستعانة بالحفريات والتقنيات المطبقة في علم الجيولوجيا لدراسة الأرض والحجارة ومكونات التربة. إن مثل هذه التقنيات والمناهج سوف تكشف عن ثقافات غائرة في التاريخ، سواء اندثرت أو ما زالت معالمها واضحة للعيان. (مصباح، 2010، ص20).

وعلم الجغرافيا يقدم معلومات هامة لعلم الأنثروبولوجيا الذي يبين النواحي الطبيعية من تضاريس ومياه وتوزعهما، الى جانب الظروف المناخية التي تتفاوت من منطقة لأخرى، ودرجة ارتفاعها عن سطح البحر وموقعها من السلاسل الجبلية أو الشواطئ البحرية أو ضفاف الأنهار والبحيرات، كل هذا يساعد في معرفة العوامل الطبيعية المؤثرة في حياة الإنسان في مراحله المختلفة، التي ساعدت في تشكيل الملامح السلالية لبني البشر كما ساعدت أيضا في قيام الهجرات البشرية من منطقة لأخرى (الخطيب، 2005، ص20-22).

لذلك كل ما يستفيد منه الأنثروبولوجي من الجيولوجي تشكل المعطيات الجغرافية خلفية أساسية في تفسير الأنثروبولوجي للسلوك البشرين ولعادات وطبائع الأفراد والجماعات، فالعوامل الجغرافية من تضاريس ومناخ وبيئة...الخ، لها تأثير واضح على سلوك البشر، لذلك نجد، الأحوال المعيشية والبنى الاجتماعية عند المجتمعات البشرية ليست متشابهة بسبب تباين الظروف الجغرافية التي توجد في تلك المجتمعات، فسكان المناطق الجبلية المرتفعة يكونون في مأمن عن الأخطار الخارجية بينما يتعرض سكان السهول دوما الى غزوات واحتياجات من الشعوب أو القوى الخارجية، وفي المقابل يكون سكان المناطق الساحلية أكثر انفتاحا في علاقاتهم مع العالم الخارجي. (الشماس، 2004، ص53).

ولقد أعطى الكثير من العلماء دورا أساسيا لعناصر البيئة الجغرافية في عملية تكوين ملامح الصفات العضوية السلالية عند الإنسان، اضافة الى دورها الفعال في تحديد أنماط السلوك والمزاج عنده، والذي يتباين والصفات السلالية من منطقة جغرافية الى أخرى. كما أنهم انتبهوا الى دور البيئة الجغرافية في تباين أشكال كل من النبات والحيوان، من بيئة جغرافية الى أخرى، وفي هذا تصديق لقوله تعالى: "وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَابِّ وَٱلأَنعَٰمِ مُختَلِفٌ أَلوَٰنُهُ كَذَٰلِكَ إِنَّمَا يَخشَى ٱللَّهَ مِن عِبَادِهِ ٱلعُلَمَٰٓؤُاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ٢٨ "سورة فاطر آية 28. (الجباوي، 1996، ص241)

ان هذه التصور لتأثير البيئة الجغرافية في المجتمع كان منذ القدم، فعند **أبقراط اليوناني***، نجد أن التعبير عن تأثير المناخ في حياة البشر النفسية والفيزيولوجية بلغ حدًا عاليا من الدقة والضبط **(ان سكان المناطق الجبلية العالية عن سطح البحر، الصخرية، والمشتملة على بحار مائية كافية، حيث يبلغ تغير الطقس بحسب الفصول مدى كبيرا، يكونون في الغالب ذوي أجسام متينة البنية ومزاج أميل الى الشجاعة والصلابة. وأما سكان المناطق المنخفضة، المليئة بالمستنقعات، المعرضة للهواء الحار أكثر مما هي معرضة للهواء البارد، وتكون مياه الشرب فيها غير لذيذة، فإنهم يكونون ذوي أجسام بدنية ولون غير صاف، ويغلب فيهم المزاج الصفراوي، ولا تكون الشجاعة والصلابة من صفاتهم الفطرية، وإنما يستطيعون تنميتها بواسطة مؤسسات معينة، وعلى العموم يلاحظ أن جسم الإنسان وطبعه يتغيران بحسب طبيعة البلاد).** ويذهب **مونتسكيو** الى أبعد من ذلك بكثير، ويعترف أن للمناخ تأثير كبير على أخلاق البشر وطباعهم وقوانينهم وعبارته الشهيرة: "**أن تأثير المناخ أول التأثيرات جميعا**".(الجباوي، 1996، ص304)، كما يعطي ابن خلدون كغيره ممن سبقه من علماء التاريخ والجغرافية العرب

*__أبقراط اليوناني:__ ولد حوالي 460 ق.م –توفي نحو 370 ق.م يعد من أبرز الشخصيات في تاريخ الطب عبر التاريخ والملقب بأبو الطب، وينسب الفضل إليه في وضعه ميثاقا حدد به أسس وأخلاقيات وشرف مهنة الطب، وهو الميثاق الذي يعرف اليوم باسم **قسم أبقراط**، والذي لا يزال ذا صلة وثيقة بالكثير من المواثيق القانونية والطبية التي تستخدم في العصر الحديث. أيضا يرجع الفضل اليه لأنه وضع أسس الملاحظات السريرية، وجمع ولخص المعرفة الطبية التي نتجت عن المدارس الطبية السابقة لعهده ونشرها، ومن مؤلفاته الأخرى: تقدمةُ المعرفة، الأمراض الحادة، الفصول، الأهوية والمياه والبلدان، المرض المقدس، طبيعة الانسان أو الأخلاط.

المسلمين، أهمية خاصة لعناصر المناخ، وفي مقدمتها، الحرارة، والجفاف، والبرودة والرطوبة، في تحديد وتكوين طبيعة السلوك الإنساني وأخلاقه، وهذا ما يجعل سلوك الناس وأخلاقهم، وحتى طريقة تفكيرهم في الحياة، تتباين من منطقة جغرافية الى أخرى، فسكان البلاد الحارة أقرب الى المرح والطيش، وذلك على العكس من سلوك وأخلاق سكان المناطق الشمالية التي تقع في العروض العليا من الكرة، أو في المناطق التضاريسية المرتفعة، حيث المناخ البارد، حيث يتصفون بالهدوء والبلادة، والجلافة لكنهم ذو يأس وقوة وشجعان. (الجباوي، 1996، ص285) وبهذا فإن ابن خلدون الذي جعل من الظروف المناخية الوعاء الذي تتكون بوحي من مفرزاته العضوية الطبيعية، الصفات العضوية السلالية، والسلوك لأبناء النوع البشري.

وفي الأخير نشير الى أن " العالم الأنثروبولوجي يتزود بالمعلومات من الجغرافيا والجيولوجيا، خاصة في التعرف على ما توصل اليه الإنسان وما أنتجه للتكيف مع الظروف المناخية والجغرافية، وعلاقة هذه الظروف بالنظم الاجتماعية، كما تستفيد الانثروبولوجيا من الدراسات الجيولوجية من خلال التوزيع الجغرافي وعلاقته بالأجناس، وبكل البيانات العلمية الجغرافية الخاصة بكل منطقة، فالإنسان هو ابن بيئته الجغرافية والجيولوجية، لذلك فهذه العوامل تؤثر ماديا ومعنويا في سلوكاته وبدرجات متفاوتة". (الجابري، 1997، ص12).

المحـــور الخـــامس

الأنثروبولوجيا التقليدية: الموضوع والهدف

الأنثروبولوجيا التقليدية: الموضوع والهدف

نشأت الأنثروبولوجيا في أواخر القرن التاسع عشر بوصفها علمًا يهدف إلى دراسة الإنسان من حيث أصوله وتطوره وبُناه الاجتماعية والثقافية. وقد تبلورت في سياق فكري وعلمي اتسم بتطور العلوم الطبيعية من جهة، واتساع الاستعمار الأوروبي من جهة أخرى. فقد أسهمت الرحلات الجغرافية والاكتشافات الاستعمارية في إتاحة مادة ميدانية غنية مكّنت الباحثين الغربيين من دراسة الشعوب التي أطلقوا عليها آنذاك "البدائية" أو "البدائية الثقافية"، كانت الأنثروبولوجيا التقليدية تُعرَّف بأنها العلم الذي يدرس الإنسان في أبعاده البيولوجية والاجتماعية والثقافية عبر الزمن، وتركّز بشكل خاص على دراسة المجتمعات الصغيرة، المعزولة، وغير الصناعية. وقد انصبّ اهتمام الأنثروبولوجيين الأوائل على البحث في أصل الإنسان وتطوره، والعادات والتقاليد والمعتقدات التي تميّز كل جماعة بشرية.

لقد تميز موضوع الأنثروبولوجيا التقليدية في بداياتها بتركيزه على المجتمعات غير الغربية، التي اعتُبرت بالنسبة للباحثين ميدانًا لفهم "الآخر المختلف"، ووسيلة لإعادة بناء تطور الإنسان والمجتمع. فكان الهدف الأساس هو تتبع المراحل التي مر بها التطور الثقافي من البسيط إلى المركب، ومن البدائي إلى المتحضر. وفي هذا السياق، ظهرت مدارس فكرية أساسية مثل المدرسة التطورية التي قادها كل من إدوارد تايلور **(Edward Tylor)** ولويس مورغان**(Lewis H. Morgan)** ، والتي اعتبرت أن الثقافات تمر بمراحل تطور متتابعة تشبه تطور الكائن الحي، وأن المجتمعات الغربية تمثل أرقى درجات هذا التطور.

كما برز الاتجاه الانتشاري الذي رأى أن التشابه بين الثقافات لا يُعزى إلى التطور المستقل، بل إلى انتقال العناصر الثقافية من مركز حضاري معين إلى مناطق أخرى عبر الاتصال والاحتكاك. في حين ركز الاتجاه الوظيفي الذي مثله برونيسلاف مالينوفسكي (Bronislaw Malinowski) وألفريد رادكليف براون (A.R. Radcliffe-Brown)على فهم الثقافة باعتبارها نسقًا متكاملًا يؤدي وظائف ضرورية لاستمرار المجتمع وتوازنه، مؤكدين على أهمية الدراسة الميدانية والملاحظة بالمشاركة كمنهج أساسي في البحث الأنثروبولوجي.

لقد كانت أهداف الأنثروبولوجيا التقليدية في تلك المرحلة تنحصر في توصيف الثقافات ودراسة مظاهرها المادية والرمزية، وتحليل أوجه التشابه والاختلاف بينها، وإعادة بناء تطور الإنسان والمجتمع عبر المقارنة التاريخية والثقافية. كما سعت إلى تصنيف الشعوب وفق مراحل التطور، ووضع أسس نظرية لتفسير التنوع الثقافي على ضوء مفاهيم "التقدم" و"البدائية" و"التحضر"، ومن بين أهدافها أيضًا فهم التنظيم الاجتماعي، والنظم القرابية، والديانات البدائية، والطقوس، واللغة، والفن، بوصفها مكونات أساسية للحياة الثقافية للإنسان.

إن الأنثروبولوجيا التقليدية، رغم أهميتها في تأسيس المعرفة حول الإنسان وثقافاته، كانت متأثرة إلى حد كبير بالمركزية الأوروبية التي نظرت إلى المجتمعات غير الغربية نظرة فوقية، واعتبرتها تمثل مراحل سابقة لتطور الإنسان الحديث. لذلك، فإنها ارتبطت في كثير من الأحيان بالسياسات الاستعمارية التي استخدمت نتائج الدراسات الأنثروبولوجية لفهم الشعوب الخاضعة للاستعمار وإحكام السيطرة عليها.

ومع ذلك، لا يمكن إنكار أن الأنثروبولوجيا التقليدية قد أرست الأسس المنهجية الأولى لهذا العلم، خاصة فيما يتعلق بالملاحظة الميدانية، والتوصيف الإثنوغرافي، والدراسة المقارنة بين الثقافات. كما ساهمت في بناء قاعدة معرفية واسعة مكّنت الأنثروبولوجيا الحديثة لاحقًا من تجاوز النظرة التطورية والاتجاه نحو مقاربات أكثر إنسانية وتفاعلية.

يمكن القول في الختام إن الأنثروبولوجيا التقليدية شكّلت مرحلة تأسيسية مهمة في تاريخ الفكر الإنساني، حيث سعت إلى فهم الإنسان من خلال ثقافته وتنظيمه الاجتماعي ومعتقداته، وإن كانت قد وقعت في فخ التعميمات والنزعة التطورية. ومع تطور الفكر العلمي والنقدي، ستتحول هذه الأنثروبولوجيا إلى ما يُعرف اليوم بالأنثروبولوجيا الحديثة التي تسعى إلى فهم الإنسان في تنوعه واختلافه دون أحكام مسبقة، وبذلك تكون الأنثروبولوجيا التقليدية بمثابة الجذر الذي انبثقت منه التحولات اللاحقة في دراسة الإنسان والمجتمع.

المحـــور الســـادس

الاتجاهات الكبرى في دراسة الأنثروبولوجيا

1. الاتجاه الأنثروبولوجي التطوري:

يرجع المؤرخون تاريخ نشأة الاتجاه التطوري الى الفترة الممتدة ما بين 1860 و1900 مستلهمين في ذلك نتائج الدراسات الداروينية. **(Claude Riviere,2013,p29)**

غير أن هناك من يرجع الجذور الأولى للمدخل التطوري في التحليل بالرجوع به الى العهد اليوناني، حيث أن **أرسطو** (384–332 ق م) كان يرى أن الحياة الإنسانية تطورت عبر مراحل، بحيث أن الأشكال الجديدة منها قد ظهرت بعد الأشكال القديمة. ثم جاء بعد ذلك المفسرون الأوائل للتوراة، ونظروا الى التوراة بعيون أرسطية وقالوا بإمكانية انبثاق خلائق جديدة من الخلائق القديمة التي خلقها الله، ونفس الشيء بالنسبة لرجال الدّين المسيحي، الذين كانوا أيضا متأثرين بأفكار **أرسطو** الأنثروبولوجية، وقالوا أن الأشكال الحياة الجديدة هي تطور عن أشكالها الأصلية، بمعنى ما هو ملاحظ من البيئة الحيوانية هو متطور على أصول خلقية، ويتم ذلك بطريقة متكاملة عبر عمليات تطوريه طبيعية تحدث تحت مسميات التوازن وسلسلة الحياة، التي تصفف فتضع الانسان على رأسها، على راسها ثم تأتي القردة، ثم باقي الحيوانات الأخرى، وهذا ما جاء متضمنا في دراسة للقس **جيمس أشر** بعنوان" **تاريخ الخلق والتوازن الطبيعة** " في القرن السابع عشر.(رشوان، 2003، ص15)

بينما هناك من يرجع بداية النظرية التطورية قبل هذا القرن وهو قرن السادس عشر، مع **إيراسموس داروين E.Darwin** (1731–1802) وهو جد تشارلز داروين مؤسس نظريه التطور الحديثة، وقدم إيراسموس داروين نظريته بالاشتراك مع العالم الفرنسي كومت دي فون (1707–1788) والتي مؤداها أن الأحياء تكتسب صفات معينه خلال تكيفها مع الطبيعة، وتنتقل هذه الصفات الى الأجيال، عن طريق الوراثة فقد تكتسب مثلا بعض الحيوانات المتعرضة للصدمات والجروح جلودا تشبه الذرع ثم تنتقل الى أنسالها. (يحي مرسي عيد بدر، 2007، ص173)

لكن الفترة الذهبية لازدهار المدخل التطوري في التحليل الانثروبولوجي هي القرن 19، حيث ظهر عدد من العلماء الأنثروبولوجيا وقاموا بدراسات رائدة، التي كانت بمثابة الأسس الأولى لعلم الأنثروبولوجيا، وليس فقط للمدخل التطوري، ومن بينها ومن بين هؤلاء العلماء نجد شارلز داروين (1809–1883م)، الذي كان متخصصا في الطب، ثم اتجه نحو البحث الانثروبولوجي من خلال الدراسة التي قام بها حول الانواع البشرية، ونشرها في كتاب بعنوان"أصل الأنواع بواسطة الاصطفاء الطبيعي" عام 1859م، **Origins of Species by Means of Natural Selection**". (عامر مصباح، 2010، ص135–136)

ومن النتائج الدراسات الداروينية في مجال البيولوجي والتطوري الذي حددها داروين والتي يمكن تلخيصها في العناصر الثلاثة التالية:

- إن جميع أشكال الحياة تتغير وتنتج أشكالا جديدة باستمرار.
- بعض هذه الأشكال أكثر منها ملائمة مع الظروف البيئية من غيرها.
- إن الأشكال الأكثر ملائمة للبقاء والحياة تبقى وتستمر، أما الأخرى فيقضى عليها.

لقد تفاعلت المعارف الإنسانية والاجتماعية مع النظرية الدارونية تفاعلا مثمرا ومفيدا، حيث استلهمت من أطروحات داروين مبدأ تطور الأشكال وانتقالها من حاله الى أخرى... كما اجتهد العلماء في مجال الإنساني والاجتماعي في مقاربة موضوعاتهم مقاربة تطورية حيث أصبح الاعتقاد الراسخ لديهم أن كل ظاهرة موضوع الدراسة لابد من معرفة مبادئ في بدء أصولها وكيفية نشأتها ومراحل تطورها ومتابعة مساراتها المختلفة. (سعيدي محمد، 2023، ص63)

لعل ما يمكن الإشارة إليه بصورة عامة، أن الفكر الاجتماعي التطوري يرى أن جميع المجتمعات البشرية تتطور في نظمها الاجتماعية أي تتغير، وهي في تغيرها تمر بمراحل تطورية، كل مرحلة فيها تمثل انتقال المجتمع من حالة أقل رقيا الى حالة أكثر رقيا، لأن جميع المجتمعات تنزع دائما للرقي في تغيرها وتطورها. والمراحل التطورية التي يمر بها أي مجتمع في نظام من النظم وليكن النظام العائلي مثلا هي نفس المراحل التي يمر بها أي مجتمع آخر. وتتلخص المبادئ الأساسية لمذهب التطوريين في أربعة:

أولا: تتطور الثقافة في مراحل متتابعة.

ثانيا: هذه المراحل هي في كل انحاء العالم.

ثالثا: كل شعب لابد أن يمر في تطوره الثقافي بهذه المراحل واحدة بعد الاخرى وبشكل لا يمكن بحال من الأحوال تفاديه.

رابعا: ومراحل تطور واحدة في مضموناتها وأشكالها لأن العمليات الفعلية في الإنسان واحدة في جميع أنحاء العالم وفي جميع العصور.

وإذا واجه شعب من الشعوب المرحلة التطورية الأولى مثلا فإنه يستجيب لهذه المرحلة، ويعمل على خلق وإنشاء المرحلة الثانية، وذلك بنفس الأسلوب الذي يستجيب به أي شعب آخر، وما فرق بين الشعوب في هذا إلا في شيء واحد وهو معدل السرعة الذي ينتقل به شعب من الشعوب من مرحلة تطورية، الى مرحلة تطورية أخرى. (حسن شحاته سعفان، 1966، ص126) وهذا نسبة لما أبرزه **إدوارد تايلور** في مقاربته لتاريخ الشعوب.

وحسب هذا الاتجاه، جميع المجتمعات تهدف من تغيرها وتبدلها التقدم والرقي، والمراحل التي يمر بها أي نظام من الأنظمة الاجتماعية في أي مجتمع، هي المراحل نفسها التي يمر بها أي مجتمع آخر، فكل نظام يتطور داخل مراحل معينة، يتعين عليه، أن يمر بمهامها كانت الظروف، لأن المراحل عالمية، أي يمر بها كل مجتمع من المجتمعات، ولذلك سميت **نظرية التطور** باسم **المستقيم**، لأن التطور وفقها يسير في خطوط

مستقيمة في جميع المجتمعات. (العثمان، 2002، ص40)، وكان على رأس القائلين بالمذهب التطوري **لويس هنري مرجان** الأمريكي(1818- 1881)، فذهب الى أن المجتمع يمر في خط مستقيم نحو التقدم، من المرحلة الوحشية **Savagery** الى المرحلة البربرية **Barbarism** ثم الى المرحلة التحضر والرقي، وذهب الى أن النظام العائلي قد مر ككل نظام اجتماعي بعده مراحل وهي: مرحلة الإباة المطلقة **Promiscuity** التي لم يكن الإنسان يعرف فيها نظام الزواج، بل كانت العلاقة بين الرجل والمرأة حرة طليقة من كل قيد، ثم أتت المرحلة الثانية وهي مرحلة الزواج الجمعي التي يتزوج فيها جمع من الرجال بجمع من النساء، ثم مرحلة كانت القرابة فيها تتبع الأم، ومرحلة الرابعة كانت القرابة فيها تتبع نسب الأب، وأخيرا يصل المجتمع الى مرحلة الأسرة الثنائية المكونة من الأب والأم. (حسن شحاته سعفان، 1966، ص126)

هذا بالإضافة ما قام به من إسهامات نظرية جوهرية، لا سيما في عمله الرائد عن القرابة**Kinship** ، إن اهتمام **مورجان** بالقرابة يرجع تاريخه الى إقامته مع **الإيروكوا**. لقد اكتشف فيما بعد تشابهات واختلافات مدهشة بين نظام قرابتهم والآخرين في شمال أمريكا. عندئذ صمم دراسة مقارنة على نطاق واسع من القرابة الأمريكية الأصلية، ضم إليها أخيرا جماعات أخرى أيضا. لقد ابتكر **مورجان** أول طوبولوجيا لأنظمة القرابة.

بالنسبة **لمورجان** كانت القرابة تمثل بشكل أساسي نقطة الدخول الى دراسة التطور الاجتماعي. لقد دفع بأن المجتمعات البدائية كانت منظمه على أساس القرابة، وأن الاختلافات المصطلحية بين أنظمة القرابة متعلقة باختلافات في البنية الاجتماعية لكنه افترض أن مصطلحية القرابة تغيرت ببطء، وأنها بالتالي تضمنت مفاتيح لفهم مراحل السابقة من التطور الاجتماعي. (توماس هيلاند إريكسون وفين سيفرت نيلسون، 2014، ص43-44)

في هذا الإطار نذكر **إدوارد تايلور**، الذي يعتبر من أشهر رواد هذا الاتجاه، نشر كتابه" بحوث في تاريخ المبكر للجنس البشري وتطور الحضارة 1865، **Researchers into The Early History of Mankind and The Development of Civilization**" عرض فيه نظريته عن التطور الثقافي للمجتمعات الإنسانية التي تستند الى فكرة التقدم الإطرادي للشعوب والثقافات، وانتقالها من حاله الهمجية أو بدائية- التي رآها متمثلة في المجتمعات غير الغربية حينذاك- الى حالة التحضر والمدينة المماثلة لأوضاع الثقافة والمجتمع الأوروبي في عصره.(فهيم، 1886، ص105)، لكن إسهام تايلور الأهم للأنثروبولوجيا المعاصرة تمثل في تعريفه للثقافة، يظهر التعريف في الصفحة الأولى من كتاب الثقافة البدائية ويقرأ على النحو التالي:

الثقافة أو الحضارة بمفهومها الإثنوغرافي الواسع هي ذلك المجموع المعقد الذي يتضمن المعرفة والاعتقاد والفن والأخلاق والقانون والعرف وأي قدرات وعادات أخرى يكتسبها الفرد باعتباره عضوا في المجتمع".

فمن ناحية تصبح الثقافة بالتالي مفهوما عاما يستعرض مراحل تطورية. فحيث التطور يمايز الثقافات بالمفاهيم النوعية تقوم الثقافة بتوحيد الجنس البشري. كان تايلور كما هو الحال مع باستيان مؤيدا صريحا لفرضية الوحدة النفسية

للجنس البشري. ومن الناحية أخرى سوى تايلور الثقافة بالحضارة، مفهوم نوعي. وبالتالي على أقل تضمين أصبحت ثقافة مسألة درجة: كل شخص يحظى بها، لكن ليس بكمية مساوية. هذا المفهوم الثقافة يتعارض بشدة مع **باستيان** ومفهوم **هردر** برمته عن الشعب **Volk**. بالنسبة لهيردر وتابعيه فإن الجنس البشري يتكون من ثقافات محدودة مستقلة. بالنسبة لتايلور وتطوريين فيكتوريين آخرين فالجنس البشري تكون من جماعات تثقفت بدرجات متفاوتة وتتاثرت على درجات سلم التطور الثقافي. (توماس هيلاند إريكسون وفين سيفرت ينلسن، 2014، ص51-52)

وقد استخدم تايلور مفهوم "**الرواسب Survivals**" المستمدة من الدراسات العضوية والأثرية، ليكشف بها عن الرواسب الثقافية عند الشعوب، الأمر الذي يساعده على وضعها في مرحلة معينة من مراحل التقدم. وتقوم فكرة الرواسب على أساس أن بعض سمات المجتمعات المعاصرة، تمثل متخلفات، أو رواسب للأشكال الأولية، والمتتابعة التي مرت بها هذه المجتمعات وتتضمن هذه الرواسب مثلا-في نظرية تايلور-بعض الألعاب والمأثورات والتعبيرات اللغوية، فهو يرى أن لعبة الرمي بالقوس والسهم تستخدم كأداة رئيسية للحصول على الطعام وليس للهوية أو الرياضة، وبالرغم من أن المفهوم الرواسب لاقى الكثير من النقد من الناحية استخدامه كأساس لوضع تفصيل دقيق لمسار تقدم المجتمعات الإنسانية وتطورها. إلا أن فكرة التطور والتقدم الإنساني لاقت قبول عاما في أوروبا... ونرى أنه إذا كان الفضل يرجع الى تايلور في وضع أصول دراسة علم الثقافة عامة، فإن **مورجان** قد بدأ دراسات القرابة التي أصبحت منذ ذلك الوقت، وحتى الآن من أهم الموضوعات الأنثروبولوجية. (فهيم، 1986، ص105)

وبهذا يعتبر كل من **تايلور** و**مورجان** من رواد الأوائل في بلورة النظرية التطورية، غير أن مراحل التي أوردها تايلور لا تمثل حتميه ملزمة مثلما كان عليه الأمر لدى **لويس مورجان، فتايلور** كان ورغم تصنيفه ضمن الاتجاه التطوري إلا ان آرائه وأفكاره كانت ذات صلة بالاتجاه الذي يقول بإنتشار الثقافة، وقد عبر **تايلور** على هذا من ناحية النظرية بهذه الفكرة: " غالبا ما انتشرت الحضارة أكثر مما تطورت". (روبرت لوي، 2007، ص64)

- **فريزر سير جيمس جورج (1854-1941) Frazer Sir James**

عالم إسكتلندي متخصص في الدراسات الكلاسيكية، ولد السير جيمس فريزر في أول يناير عام 1854 في جلاسجو**Glasgow** باسكوتلندة وقضى مراحل تعليمه الأولى في إحدى أكاديميات هيلنسبرج **Hclensburg** في دمبارتون**Dumbarton**، ليلتحق بعدها في عام 1869 بجامعه جلاسجو، ثم بعد ذلك دخل ترينيتي كوليج **Trinity College** بيكومبردج **Cambridge** عام 1879 ليصبح زميلا عام 1879. وبعد ذلك عام 1907 استاذاً للأنثروبولوجيا الاجتماعية بجامعه ليفربول**Liverpool** ولكنه سرعان ما عاد ثانية الى كيمبردج بعد فصل دراسي واحد وبقي في كمبريدج التي ارتبط بها اسمه حتى وفاته في السابع من الشهر مايو عام 1941.

يتسم فكر فريزر منذ البدايات الأولى لتكوينه العلمي بالموسوعية والاتساع والشمول، فقد درس الطبيعة والأحياء وأتقن اللغات الكلاسيكية والقديمة، فكان يقرأ اليونانية واللاتينية والآرامية ويكتب بها، بالإضافة الى دراسته

للتاريخ والفنون والآداب حتى انه قرض الشعر في أكثر من المرحلة من مراحل حياته. ولهذا فلا يبدو غريبا أن يترك أثرا باقيا في أجيال من المفكرين وفلاسفة التاريخ وعلماء السياسة والاجتماع، وحتى الأدباء والشعراء على الأقل من حيث ما تثير قراءاته فيهم من خيال ومشاعر وأفكار وأحاسيس. (أبو زيد، 2001، ص280)

وسع ميدان بحوثه بحيث يشمل مادة اثنوجرافية استقاها من طائفة عريضة من المصادر كي يستخدمها في محاولته تشييد نظرية عامة عن تطور السحر، والدين، المجتمع. وقد أثر **فريزر** تأثيرا عظيما على الثقافة الأدبية والفكرية في عصره. أما في إطار الأنثروبولوجيا فقد وجهت إليه انتقادات كثيره بسبب الطابع المثالي وغير الامبريقي لكتاباته. ومن بين الأنثروبولوجيين نجد **مالينوفوسكي** في بريطانيا وبواس في أمريكا، على سبيل المثال، يرفضان بقوة" تاريخ الظني" و " الأنثروبولوجيا المكتبية" (النظرية) التي احتفل بها في أعماله على حساب الخطط البحثية لموضوعات اثنوجرافية محددة وتوثيقها. ومن أهم اعماله " **الغصن الذهبي**" (1926–1936)، الذي يعد أشهر مؤلفاته ويمثل تجميعا لشواهد من شتى أنحاء العالم عن تطور الدين، وكتاب "التوتمية والزواج الاغترابي" (1910م). (سيمور، 1992، ص538)

إن المقولة الأساسية في كتاب الغصن الذهبي التي دار الكتاب بأكمله من حولها، كانت نظريته عن التطور العام لأنماط التفكير، ونظرا لأنه كان يرى أن أية محاولة لفهم نتاج الحضارات الإنسانية، لابد أن تبدأ من العناصر البسيطة الى العناصر الأكثر تشابكا وتعقيدا، وذلك نزولاً على الفهم العام للاتجاه التطوري، فقد وجد أنه لابد من التركيز على بحث حياة الإنسان البدائي والعمل على فهم سلوكه، ومن هنا أخذت تتضح معالم نظريته في التطور التي تقول بأن التفكير الإنسان مر أولاً بالمرحلة السحرية **Magical** الى المرحلة الدينية **Religious** ثم المرحلة الأخيرة وهي المرحلة العلمية **Scientific**، ويقصد فريزر بالسحر محاولة الإنسان التحكم في الطبيعة والسيطرة عليها عن طريق ممارسة بعض الأفعال والطقوس للتأثير في مظاهر الأشياء. وكان ذلك بمثابة مدخل لتمييزه بين السحر التشابهي والسحر التواصلي على أساس قاعدتين أساسيتين هما الشبيه ينتج الشبيه وأن معلولا ما يشبه علته. بينما الدّين محاولة للاستعانة بالقوى الروحية والكائنات الفائقة للطبيعة مما يعني ان الإنسان قد انتقل من مرحلة التأثير على القوى الطبيعة بشكل مباشر عن طريق الوسائل السحرية الى التأثير فيها بشكل غير مباشر عن طريق موجودات أعلى وأسمى وقوى خارقة غير ملموسة (أبو زيد، 2001، ص282)، فالسحر في رأيه هو علم مسبق يشبه العلم المزيف. وفي هذا السياق، فإن ابن خلدون قد سبقه في القول بأن السحر هو علم وفن، لما يحتويه من تقدمات وطرائق تتطلب قدرات ومهارات. (لومبار، 1997، ص81)

وبصرف النظر عن الانتقادات العنيفة التي وجهها العلماء لنظرية **فريزر** في السحر والدين وفي مقدمتهم مارسيل موس **Mauss** وماريت **Marett** وجيرفيتش **Gurvitch** وكلهم أجمعوا على رفض موقف فريزر القائل بأسبقية السحر على الدين، بالإضافة الى انتقادهم للخلط الذي يسم كتاباته بين الظواهر

الدينية والظواهر العلمية، وبالتالي عدم التفرقة بشكل واضح بين ما هو سحر وما هو علم في ضوء معايير محددة ومعقولة، إلا أنه يصعب إنكار أن تناول فريزر لهذا الموضوع قد مكنه من إقامة مركب استطاع أن يعقد من خلاله الكثير من المقارنات بين المادة الهائلة التي توافرت لديه عن الممارسات الدينية والسحرية، ربما بشكل لم يتحقق لأي عالم أنثروبولوجي آخر. بالإضافة، أنه فتح بذلك الباب الواسع أمام أجيال من الأنثروبولوجيين وعلماء الاجتماع للكتابة في موضوع أصبح من أمتع الموضوعات وفي الوقت نفسه من أكثرها تشابكا وتعقيدا. وفي الوقت ذاته مهدت أفكاره لقيام العديد من الدراسات التي هدفت الى التحقق من صدق فرضياته التي كان يضعها مسبقا، وأيضا ما انتهى إليه من نتائج في ضوء المعلومات الاثنوجرافية الميدانية بدلا من الاعتماد كلية على ما يتناقله الكتاب ورجال الإدارة والبعثات التبشيرية من معارف ومعلومات تترك مجالا فسيحا للوقوع في أخطاء الظن والتخمين. ما دام لا يردها الى ما يفسرها في ضوء سياقاتها الاجتماعية والوقائع الاجتماعية الكلية. (أبو زيد، 2001، ص283)

2. الاتجاه الأنثروبولوجي الانتشاري:

عرفت الإثنولوجيا اتجاها "ثقافيًا تاريخيًا"ازدهر في النصف الثاني من القرن العشرين وأطلق عليه اسم (انتشارية Diffusionnisme)، على عكس النشوئية، عملت الانتشارية على إثبات تاريخية الشعوب المفترضة دون تاريخ، عبر دراسة توزيعها المكاني.

كذلك كان علم المتاحف هو الأصل المنهجي لإعادة التشكيلات المكانية والزمانية للجماعات الثقافية بناء على عناصر تعتبر ملائمة، وذلك ما كان أعلنه منذ 1882 **ف.راتزل**، مقتبسا عن **ج.جيرلان** مفهوم " الانتشار "وعن **م.فاغنر** "نظرية الهجرات" واستعاده عام 1898 ل.**فروبينيوس** الذي أشاع فكرة "الانتشار الثقافي".إلا أن مدرسة فيينا هي التي أوضحتها بدقة، مستخدمة وثائق كثيرة ومبنية على أبحاث ميدانية مكثفة(شميدت1937، كوبرز1955).وقد أخضع ممثلوها الأواخر هذه الفكرة لنقد شديد. إذا كان علم الثقافة الإنكليزي قد بالغ في شرح انتشارية لا مستقبل لها، فإن الأنثروبولوجيا الثقافية الأمريكية، وعلى خطى **ف.بواس**، قد نوّعت الدراسة الأوليات الثقافية للاتصال والتحويل عبر التشتيت بالهجرة أو المحاكاة أو المثاقفة. (بيار بونت وميشال أيزار وآخرون، 2011، ص217-218)

والمبدأ الأساسي الذي يقوم عليه مدخل الانتشار في تحليل الأنثروبولوجي هو أنه عندما تتطابق الظروف بين بيئات اجتماعية وثقافية مختلفة، حينئذ يتم تبني العناصر الثقافية الوافدة على المجتمعات، أو تقوم باستعارتها تحت تأثير الحاجة أو ظروف أخرى قاهرة كالغزو، أو ظروف آلية كالاحتكاك والاتصال بين جماعات معينة بهدف الكسب أو التجارة أو العمل. ولنجاح عملية انتشار المضمون الثقافي في أي بيئة اجتماعية، لابد من وجود عنصرين أساسيين وهما: **الاحتكاك** أو الاتصال، و**الزمن** الكافي. ومما

يساعد على الاتصال و**الاحتكاك** تواصل الجغرافيا (مباشر أو غير مباشر). ووجود مناطق متسمة بالازدهار التجاري يفدها الناس من كل مكان من العالم. أما بالنسبة **للزمن**، فإن الثقافة تحتاج الى زمن طويل حتى تفهم وتستوعب من قبل أعضاء المجتمع، خاصة عندما تواجه الثقافات الوافدة حساسية ضد الدخيل أو ضد الجديد، أو انتشار اتجاه المحافظ داخل المجتمع. (احمد رشوان، 2003، ص22)

ويوجد الاتّجاه الانتشاري في كلّ من الأنثروبولوجيا الثقافية والأنثروبولوجيا الاجتماعية، وإن أخذ طابعاً خاص في كلّ منهما. فتطبيق الاتجاه الانتشاري في مجال الأنثروبولوجيا الثقافية، يتعلّق بجمع العناصر الثقافية، بما في ذلك من العناصر التكنولوجية والفكرية، بينما يقتصر في مجال الأنثروبولوجيا الاجتماعية، على العلاقات والنظم الاجتماعية السائدة في المجتمع، والتي تشمل بعض العناصر الثقافية، ولا تشملها كلّها.

ويقوم الاتجاه هنا على مبدأ هام، وهو أن النظم الاجتماعية كثيراً ما تستعار أو تنقل من مكان إلى مكان آخر. وبناء على ذلك، فإن تشابه النظم الاجتماعية والعادات، في المجتمع الواحد أو في المجتمعات المختلفة، لا ينشأ على نحو تلقائي، وإنّما ناتج عن التشابه في الإمكانات الاجتماعية والطبيعية والإنسانية. (الشمّاس، 2004، ص50)

وبصفة عامة فان الاتجاه الأنثروبولوجي الانتشاري يتابع الانتشار الثقافي الذي يعني انتقال نظام أو نموذج ثقافي من مجتمع الى آخر، وذلك كأن يستعير مجتمع من مجتمع آخر بعض نماذجه الثقافية أو أدواته أو نظمه يستخدمها في حياته بطريقة تتلاءم مع ظروفه الاجتماعية وبيئته الطبيعية المحيطة، وقد يأخذ مجتمع ما بعض النماذج دون تحوير أو تغيير، أي يقوم باستخدامها كما هي. (وسام العثمان، 2002، ص46)

كما يعرف الانتشار كمدخل في تحليل الأنثروبولوجي بأنه: السمات الثقافية تنتشر من جماعة لأخرى عن طريق الاتصال التاريخي. أما عملية التكامل فيقصد بها تعديل أو التكيف العناصر الثقافية المستعارة وتثبيتها في الثقافة المحلية وفي المحتوى الاجتماعي للبيئة. (غامري، 1991، ص34)

وقد اعتمد هذا الاتّجاه منهجاً تاريخياً –جغرافياً، قاده الألماني **فريدريك راتزل (1844–1904م)**، الذي ركّز على أهمية الاتّصالات والعلاقات الثقافية بين الشعوب المختلفة، ودورها في نمو الحضارة الخاصة والعامة، حيث ركز انتباهه على الجوانب المادية للثقافة المتمثلة في الأدوات المستخدمة من قبل بني الإنسان في الثقافات المختلفة، بحيث أنه درس مصدر هذه الأدوات، على اعتبار أنه افترض أن ليس كل الناس لهم قدرة على الاختراع ادوات انتاج، وقد وجد أنها تخترع في منطقة معينة ثم يتم انتشار استعمالها في جميع أنحاء العالم عن طريق الهجرة او انتقال الناس من منطقة إلى أخرى بغرض تجارة أو الغزو.

وتبعه في ذلك تلامذته، ولا سيما هوينريخ **شورتز H.Schurts**، الذي أكد على وجود علاقات حضارية بين الشعوب المختلفة بسبب الانتشار الثقافي بين هذه المجتمعات عن طريق الهجرة والاتصال التجاري والرحلات خاصة عند تحسن أدوات النقل واكتشاف خطوط التجارة البحرية. وأعطى مثال على ذلك بإبراز

فكرة وجود علاقات حضارية بين العالم القديم (إندونيسيا وماليزيا) والعالم الجديد (أمريكا). وكذلك نذكر **ليو فروبينيوس L.Frobentis** صاحب نظرية (الانتشار الحضاري) عندما ادعى وجود علاقة حضارية وثقافية بين إندونيسيا وإفريقيا، المثبتة عبر عملية الانتشار الثقافي بين المجتمعات أو حتى بين الجماعات البشرية المختلفة من منطقه الى أخرى. (عامر مصباح، 2010، ص128-129)

وانطلاقاً من هذا الاتّجاه، ظهرت في أوروبا نظريتان مختلفتان حول التفسير الانتشاري لعناصر الثقافة.

النظرية الأولى: وتمثلها المدرسة البريطانية وهي النظرية الانتشارية التي تعتمد الأصل المركزي الواحد للثقافة / الحضارة. سادت هذه النظرية في إنكلترا، وأرجعت نشأة الحضارة الإنسانية كلّها إلى مصدر واحد وهي مصر، ومنه انتشرت إلى المجتمعات الإنسانية الأخرى. وبذلك عرفت هذه المدرسة باسم "مدرسة المصدر الوحيد للثقافة." وكان من رواد هذه النظرية، عالم التشريح إليوت **سميث E.Smith (1871-1931م)** وتلميذه **وليم بيري*** **W.Berry**، اللذان رأيا أن الحضارة الإنسانية، نشأت وازدهرت على ضفاف النيل في مصر القديمة، منذ حوالي خمسة آلاف سنة قبل الميلاد . وعندما توافرت الظروف المناسبة للتواصل بين الجماعات البشرية، بدأت بعض مظاهر تلك الحضارة المصرية القديمة تنتقل إلى أرجاء متعددة من العالم، حيث عجزت شعوبها عن التقدم الثقافي والابتكار الحضاري، فراحت تعوض عن ذلك العجز بالاستيراد والتقليد. (الشمّاس، 2004، ص51) وهوما جعلها عرضة لانتقادات شديدة من قبل أنصار الاتجاهات النظرية الأخرى، حيث إن الأخذ بما تطرحه هذه المدرسة يؤدي إلى إقصاء خصائص الابتكار والإبداع التي تميز العقل البشري عن جميع المجتمعات، وحصرها في مجتمع واحد يُنظر إليه بوصفه المنتج والمصدر الأول والأساسي للثقافة، ثم تُنقل هذه الثقافة إلى بقية المجتمعات والجماعات البشرية في مختلف مناطق العالم.

النظرية الثانية: وتمثلها **المدرسة الألمانية النمساوية** وهي النظرية الانتشارية التي تعتمد الأصل الثقافي /الحضاري، المتعدد المراكز. وكان من دعاة هذه النظرية، فريق من العلماء الألمان والنمساويين، وفي طليعتهم **فريتز جراينور**، الذي عاش في الفترة ما بين (1875-1934) و**وليم شميدت**، الذي عاش في الفترة ما بين (1868-1959). لقد رفض هذا الفريق فكرة المنشأ (المركز) الواحد للحضارة الإنسانية، لأن هذه الفكرة ضرب من الخيال أكثر من قربها إلى الأساس العلمي .وافترضوا وجود مراكز حضارية

*__وليام بيري:__ أعطى في كتابه (أبناء الشمس) شرحا كاملاً للنظرية "الهيليوليتية " Heliolithic وهو الاسم الذي أطلق على / المدرسة الانتشارية / عن تاريخ الثقافة. فعنوان الكتاب، يشير إلى أحد عناصر المجمّع الثقافي الذي تزعم هذه المدرسة أن أصله في مصر، ومنها انتشر.. وهو الاعتقاد بأن الملك ابن الشمس، والعناصر الأخرى في هذا المجمع هي : التحنيط، بناء الأهرامات، والقيمة الكبرى للذهب واللآلىء.

أساسية وعديدة، في أماكن متفرقة في العالم. ونشأ من التقاء هذه الحضارات، بعضها مع بعض، دوائر ثقافية تفاعلت ببعض عمليات الانصهار والتشكيلات المختلفة.

وكان ويسلر أول من استعمل (الدائرة الثقافية) بهذا المعنى، في بحثه عن ثقافات الهنود الأمريكيين. ولا يزال تعريفه لهذا المفهوم على الرغم من تعديله، منذ ذلك الوقت مفيدا في هذا المجال. يقول ويسلر: "إذا أمكننا تجميع سكان العالم الجديد الأصليين، أي الهنود الأمريكيين، فسنحصل على دوائر متعددة: دوائر طعام، دوائر منسوجات، ودوائر خزف... وغيرها. وإذا أخذنا في الحسبان العناصر جميعها في وقت واحد، وحولنا الوحدات الاجتماعية أو القبلية، يمكننا أن نجد جماعات محددة المعالم، وهذا ما يعطينا الدوائر الثقافية، أو تصنيفاً للجماعات وفق عناصر ثقافتهم." (الشمّاس، 2004، ص52)

وهذا ما يفسر أوجه الاختلاف عن تلك الثقافات المركزية الأساسية. إلاّ أن أصحاب هذا الرأي لم يقدموا الدلائل على أماكن وجود تلك المراكز، أو عمليات تتبع حركات الاتّصال فيما بينها، ودراسة النتائج المترتّبة على ذلك، بطريقة منهجية سليمة. (فهيم، 1986، ص160)

ولم يقتصر التفسير الانتشاري على أوروبا فحسب، وإنّما امتد أيضاً إلى أمريكا حيث ظهرت حركة مماثلة لآراء **سميث وشميدت** من حيث نقد التفسير التطوري للثقافة، والاتفاق على فكرة انتشار العناصر الثقافية بطريق الاستعارة والتقليد، كأساس لتفسير التباين الثقافي الحضاري بين الشعوب.

المدرسة الأمريكية: ظهرت في الولايات المتحدة بداية القرن العشرين كرد فعل على **النظرية التطورية** التي كانت تفسر الثقافة بخط تطوري واحد. تأثرت بالاتجاهات الأوروبية (خاصة المدرسة الألمانية والنمساوية في الانتشار) لكنها حاولت أن تعطي تفسيرًا أكثر مرونة كان من أبرز ممثليها: **فرانز بواز (Boas)، كروبر(A. L. Kroeber) ، كلاكهون(C. Kluckhohn)**

بخصوص فكرة المراكز الحضارية (الدوائر الثقافية) يرى أصحاب المدرسة الأمريكية، أن الملامح المميزة لثقافة ما، وجدت أولاً في مركز ثقافي– جغرافي محدد ثم انتقلت إلى أماكن أخرى من العالم. وهذا يعني أن أصحاب الاتّجاه الانتشاري في أمريكا، رفضوا آراء الأوربيين بعدم إمكانية التطور الحضاري المستقل، وأن بعض الناس بطبيعتهم غير مبتكرين أو قادرين على القيام بعملية الابتكار والتطور .وكان الأمريكي **فرانز بواز**، قد عارض الفكرة القائلة بوجود طبيعة واحدة وثابتة للتطور الثقافي. ورأى أن أية ثقافة من الثقافات، ليست إلاّ حصيلة نمو تاريخي معين. ولذلك، يتوجب على الباحث الأنثروبولوجي أن يوجه اهتمامه نحو دراسة تاريخ العناصر المكونة لكلّ ثقافة على حدة، قبل الوصول إلى تعميمات بشأن الثقافة الإنسانية بكاملها. وقد أصر **بواز** على أنّه لكي تصبح الأنثروبولوجيا علماً، فلا بدّ أن تعتمد في تكوين نظرياتها على المشاهدات والحقائق الملموسة، وليس على التخمينات أو الفرضيات الحدسية.

ومن هذا المنطلق، استخدم بواز مصطلح **(المناطق الثقافية)** للإشارة إلى مجموعة من المناطق الجغرافية ذات النمط الثقافي الواحد، بصرف النظر عمّا تحتويه هذه المناطق من جماعات أو شعوب. وقد طبّق **بواز** هذا المفهوم على ثقافات قبائل الهنود الحمر في أمريكا، واستطاع تحديد – تمييز - سبع مناطق ثقافية رئيسة، يندرج تحتها هذا العدد الهائل من قبائل الهنود الحمر، والذي كان يزيد عن خمسين قبيلة، في الوقت الذي نزح الأوروبيون لاستعمار القارة الامريكية.

وبهذا يشير مفهوم **المنطقة الثقافية** إلى طرائق السلوك الشائعة بين عدد من المجتمعات التي تتميز باشتراكها في عدد من مظاهر الثقافة، نتيجة لدرجة معينة من الاتّصال والتفاعل.

فقد اكتشف **بواز** أن ثمّة عدداً من السمات الثقافية المشتركة بين جماعات الهنود الحمر، التي تعيش في السهول الساحلية لأمريكا الشمالية. فعلى الرغم من أن لكلّ منها استقلاليتها الخاصة واسمها ولغتها وثقافتها، إلاّ أن سكانها جميعهم يصطادون الجاموس للغذاء، ويبنون المساكن على أعمدة يغطونها بالجلود التي يستخدمونها أيضاً في صنع الملابس.

وهكذا جاء مفهوم مصطلح المنطقة الثقافية، كتصنيف وصفي وتحليلي للثقافات، الأمر الذي يسهل المقارنة بين الثقافات، ومن ثم الوصول إلى تعميمات بشأن الثقافة الإنسانية كلّها. (الشمّاس، 2004، ص54–56)

يعد كل من **ألفريد كروبر (A. L. Kroeber)** و**كلايد كلاكهون (C. Kluckhohn)** من أبرز العلماء الذين ساهموا في بلورة النقاش حول **الأنماط الثقافية (Cultural Patterns)** داخل الاتجاه الانتشاري في الأنثروبولوجيا، خاصة في منتصف القرن العشرين. فقد سعى الاثنان إلى تجاوز التصورات الانتشارية الكلاسيكية التي ركّزت على انتقال العناصر الثقافية بين الشعوب بشكل ميكانيكي، مؤكدين أن الثقافة ليست مجرد تجميع لعناصر مادية وفكرية متناثرة، بل هي **كل متكامل يمتلك نسقًا داخليًا يوجه تفاعل عناصره ويمنح كل مجتمع طابعه المميز (Kroeber, 1957, p 15–18).**

فكل ثقافة حسب **كروبر وكلاكهون** تتكون من نظم اجتماعية (نظم اقتصادية، دينية، عقلية، سياسية، لغوية...). وكل نظام يشتمل على أنماط، فإذا أخذنا مثال **الدين الإسلامي** كنظام اجتماعي، فإننا نجد **نمط الزكاة، ونمط الصلاة، ونمط الصيام، ونمط الحج ..**وهذه الأنماط التي يتألف منها نظام الدين الإسلامي تختلف–بطبيعة الحال–عن الأنماط الثقافية التي يتألف منها أي دين آخر، وكل نمط ثقافي يتألّف من وحدات تُسمّى **سمات ثقافية(Culture Traits)** ، وهي أصغر وحدات الثقافة، وتشير إلى وحدات سلوكية أو مادية تقليدية.(عطيل لموالدي، 2016، ص99) ويتكوّن البناء الثقافي من صفة أو خاصية ثقافية معيّنة من مجموعة من السمات الثقافية؛ فمثلاً، **نمط الصلاة في الدين الإسلامي** يتكون من :**استخدام الركوع والسجود، والتلاوة والدعاء، ولبس الثياب الطاهرة،** وكلها سمات سلوكية ومادية.

ّالسمة الثقافية هي الوحدة التي لا تنقسم إلى وحدات أصغر منها، والتي تكوّن مع مجموعة السمات الأخرى نمطًا ثقافيًا متكاملًا. **(Herskovits, 1955, p 102–104)**

ويتضمن **نمط الحج** سماتٍ مثل **:الطواف، والسعي بين الصفا والمروة، ورمي الجمرات...** على أن الفَرْق بين النمط والسِّمة يتمثّل في كون النمط يضمّ عدّة سمات، لأن السِّمة تُعَدّ أصغر وحدة في السلوك الثقافي، بينما النمط يمثّل نظامًا متكاملًا من السمات التي ترتبط بوظيفة اجتماعية أو فكرية معينة.

ويرى **كروبر وكلاكهون** أن الأنماط الثقافية تتكوّن من نسقٍ من القواعد والمعايير التي تميّز ثقافة معيّنة، وأن هذه الأنماط تتدرّج من السمات البسيطة إلى الأنظمة الاجتماعية الكبرى التي تشكّل الثقافة، وذلك كما هو مبيّن في الشكل الآتي: (عطيل لموالدي، 2016، ص100)

الشكل رقم (05): يمثل تقسيم بناء الثقافة حسب علماء الانثروبولوجيا

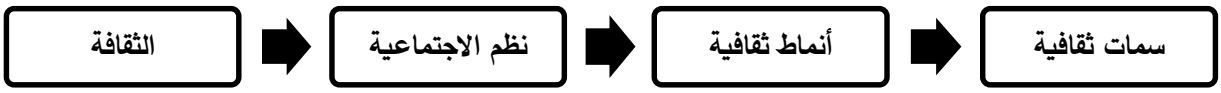

هذا التقسيم يوضّح أن الثقافة ليست مجرد مجموعة من الممارسات أو الرموز المنعزلة، بل هي **نسق هرمي مترابط** تتفاعل فيه السمات لتكوّن أنماطًا، وتتفاعل الأنماط لتكوّن نظمًا، وهذه النظم في مجموعها تُعبّر عن **الكل الثقافي المتكامل** الذي يميّز كل مجتمع إنساني.(Haviland, 2003, p 92–94)

يرى **كروبر** أن لكل ثقافة «أسلوبها الحضاري» الذي يعبر عن شخصيتها الجمعية، أي أن الثقافة ليست انعكاسًا للوراثة البيولوجية، وإنما نتاج للتفاعل التاريخي والاجتماعي الذي ينتج أنماطًا رمزية وسلوكية متميزة (Kroeber, 1957, p 22–25). بينما ذهب **كلاكهون** إلى أن الأنماط الثقافية تتجلّى في **أنظمة من القيم والمعاني الرمزية** التي تشكل بنية ذهنية مشتركة داخل المجتمع، وهي التي تحدد السلوك وتوجّه الفهم والتفسير للواقع (Kluckhohn, 1951, p 85–90). وفي عملهما المشترك (1952):

"**Culture: A Critical Review of Concepts and Definitions**"، قدم كروبر وكلاكهون مراجعة شاملة لمفهوم الثقافة، رصدا فيها أكثر من160 تعريفًا مختلفًا، في محاولة لتوحيد المفهوم الأنثروبولوجي للثقافة وتوضيح أبعادها المعرفية والاجتماعية. (Kroeber & Kluckhohn, 1952, p 43–52)

وقد اعتبرا أن الثقافة نسق مكتسب ومشترك، يتكوّن من أنماط رمزية تعبّر عن القيم والمعتقدات والسلوكيات التي تُنظم حياة الجماعة الإنسانية.(Haviland, 2003, p 87–89)

وبهذا الطرح، مهد كروبر وكلاكهون لانتقال الفكر الأنثروبولوجي من المقاربة الانتشارية الضيقة إلى **المقاربة النمطية (Pattern Theory)** التي تربط بين الثقافة كنظام متكامل والإنسان ككائن اجتماعي فاعل في إنتاجها، ما أسس لمرحلة جديدة في تطور الأنثروبولوجيا الثقافية الأمريكية.

لقد شكل مفهوم **النمط الثقافي (Cultural Pattern)** الذي بلوره كروبر وكلاكهون نقطة تحوّل أساسية في الفكر الأنثروبولوجي الأمريكي، إذ سمح بالانتقال من المقاربة الانتشارية التي ركّزت على **تتبع أصول العناصر الثقافية وانتقالها جغرافيًا**، إلى مقاربة تدرس **البُنى الداخلية للثقافات** وتبحث في منطقها الرمزي والقيمي الخاص (Kroeber & Kluckhohn, 1952, p 60–65).

فبعد أن كان الاتجاه الانتشاري ينظر إلى الثقافة بوصفها حصيلة عمليات استعارة وتلاقح بين الشعوب، جاء مفهوم النمط الثقافي ليؤكد أن **لكل مجتمع نسقًا ثقافيًا مميزًا لا يمكن فهمه إلا في سياقه الخاص**، وأن التشابهات بين الثقافات لا تعني بالضرورة وجود نقل مباشر للعناصر، بل قد تعبّر عن استجابات إنسانية متقاربة لظروف بيئية أو اجتماعية متماثلة.(Herskovits, 1955, p 102–106)

كما ساهم هذا المفهوم في **بلورة المدرسة الأمريكية في الأنثروبولوجيا الثقافية**، خصوصًا في أعمال **مارغريت ميد (Margaret Mead)** و**روث بندكت(Ruth Benedict)** ، اللتين استلهمتا من كروبر وكلاكهون فكرة "النسق الكلي للثقافة"، فدرستا كيفية تشكّل الشخصية ضمن الإطار الثقافي، مما أدى إلى ظهور ما سُمّي لاحقًا بـ **مدرسة الثقافة والشخصية.** (Culture and Personality School) (Benedict, 1934, p 45–50)

وقد أتاح هذا التطور تجاوز النظرة التجزيئية للثقافة نحو رؤية شمولية تعتبرها **منظومة متماسكة من الرموز والقيم والممارسات**، يتفاعل من خلالها الأفراد ضمن نسق تاريخي واجتماعي محدد. بذلك أصبح **التحليل الثقافي الأمريكي بعد كروبر وكلاكهون** أكثر عمقًا ونضجًا، يجمع بين التاريخ، والرمز، والبنية الاجتماعية في فهم الظاهرة الثقافية. (Haviland, 2003, pp. 92–94)

وقد ترتب عن هذا الاتجاه الانتشاري، بشكل عام، أن بدأ علماء الأنثروبولوجيا ينظرون إلى الثقافات الإنسانية بوصفها كيانات مستقلة من حيث النشأة والتطور والسمات الرئيسة التي تميز كل ثقافة عن الأخرى. الأمر الذي ساهم في ترسيخ فكرة التعدد والتنوع الثقافي، وفي الوقت نفسه أرسى مفهوم النسبية الثقافية الذي غدا من أبرز المفاهيم الأساسية في الفكر الأنثروبولوجي وتطوره، باعتباره علمًا إنسانيًا قائمًا بذاته، له منطلقاته الخاصة وأهدافه التي تستوجب دراسته من منظورها الصحيح.

الانتقادات الموجهة إليها:

- قيل إنها بالغت في التركيز على الخصوصية لدرجة صعّبت الوصول إلى تعميمات نظرية.
- المنهج التاريخي لم يكن دائمًا قادرًا على تفسير أسباب ظهور عناصر جديدة في الثقافة.
- رغم اهتمامها بالانتشار، إلا أنها لم تضع آليات دقيقة لتحديد كيفيات انتقال العناصر الثقافية.

3. الاتجاه الأنثروبولوجي الوظيفي

1.3. ظروف نشأة الوظيفية:

ظهر المدخل الوظيفي في تحليل الانثروبولوجي كرد فعل على الاطروحات المدخل التطوري التي انتشرت على نطاق واسع في القرن 19 وبداية القرن 20، فقد انتقل اهتمام علماء الانثروبولوجيا في الولايات المتحدة الى دراسة ثقافة المجتمعات كل ثقافه على حدة، وتحليلها كأنساق وظيفية لكن الأصول الأولى للتحليل الوظيفي تعود لأفكار الرواد الأوائل لعلم الاجتماع **كماكس فيبر** و**ايميل دور كايم**، و**هربت سبنسر**، من خلال افكار الوظيفية الاجتماعية للدين التي طرحها **ماكس فيبر**، وافكار تقسيم العمل والتضامن الاجتماعي التي طرحها **ايميل دور كايم**، وافكار العلاقات الوظيفية للنظم الاجتماعية قياس على الجسم الكائن الحي التي طرحها **هربت سبنسر**.

ثم تأتي الدراسة المشهورة التي قام بها **مالينوفوسكي برونسلو** حول ظاهرة السحر لدى الصيادين في **جزر التروبرياند**. بحيث يرى ان هؤلاء الصيادين يستعينون بالسحر للحصول على الصيد الوافر، وخاصة عندما يذهبون الى عمق البحر، ووجود امواج كبيرة للبحر فالسحر بالنسبة لهم أداة للحصول على الصيد وتأمين حياتهم وعودتهم الى اليابسة، وبالتالي فهو يؤدي وظيفة.

كما اتجه علماء الانثروبولوجيا في بريطانيا الى دراسة حياة الاجتماعية والثقافات كأنساق جزئية ضمن نسق كلي وهو المجتمع ككل. وقد تزعم مثل هذا التحليل كل من **مالينوفوسكي برونسلو** (الوظيفية التقليدية) و**راد كليف براون** (الوظيفية البنائية) وغيرهم. (عامر مصباح، علم الأنثروبولوجيا، 2010، ص147)

2.3. مضمون المدخل الوظيفي:

يعنى الاتجاه الوظيفي بدراسة ما تؤديه العناصر الثقافية والاجتماعية من وظائف ضمن البناء الاجتماعي والثقافي الشامل، فيسعى الوظيفيون في مقاربتهم للظواهر الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والدينية الى مبدأ التفتيت وتجزئة الظاهرة الى عناصر صغرى ومتابعة ما يؤديه كل عنصر من وظيفة سواء في إطاره المحدد أم في علاقته مع العناصر الأخرى، وفق قانون التفاعل والانسجام الوظيفي ضمن السياق الاجتماعي أو الثقافي أو الاقتصادي أو السياسي أو الديني.

وانطلاقا مما سبق تعتبر الوظيفة أن كل مجتمع، باعتباره نظام مؤسسات وممارسات لها دلالتها، قادر على الاستمرار في حركته وتحولاته وقيام بوظيفته رغم التغيرات الظاهرة داخليا وخارجيا على المستوى الشخصي وقادر على الممارسات غير المهمة، فالمجتمع ليس ركاما لا عضويا كما تصوره الفيكتوريون، بل هو نظام وظيفي من المؤسسات تلبي حاجات إنسانية أساسية، فالوظيفة الإنسانية والاجتماعية لهذه

المؤسسات هي التي تعطيها شبه شرعيتها وديمومتها. يركز الوظيفيون نشاطهم على تحديد هوية وظائف العناصر الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والدينية والفنية.

إن المبدأ الاساسي للاتجاه الانثروبولوجي الوظيفي يتمثل في كونه لا يهتم بالبحث عن أصل الثقافة ولا كيف تنتشر الثقافات ولا غيرها من موضوعات التي سيبحثها، وإنما يهتم بدراسة ما يسمى ديناميات الثقافة، أي كيف تعمل الأجزاء المختلفة التي تكون في مجموعها ثقافة ما، فهو يبحث في الوظائف التي تؤديها النظم المختلفة داخل الثقافة الواحدة، ويبين الوظائف التي تقوم بها السمات الثقافية ويدرس صلة هذه السمات بعضها ببعض وكيف تقوم كل منها بوظائفها. (سعيدي محمد، 2013، ص72-73)

تكوّن أفكار **مالينوفسكي برونسلو وراد كليف براون** الأسس الأولى العامة للتحليل الوظيفي الانثروبولوجي للثقافة التي تسود المجتمعات الإنسانية. فالثقافة بالنسبة **لمالينوفسكي**، أداة لإشباع الحاجات الإنسانية المختلفة كالحاجات البيولوجية من أكل وملبس ومسكن، فهي تساعد الإنسان على إبداع أدوات تحصيل مثل هذه الحاجات كإبداع آلة صيد السمك، او قنص الطير. وكذلك إشباع الحاجات السيكولوجية للإنسان كإبداع أدوات الطرب والغناء، وأشكال الاحتفال وغيرها لإدخال السرور على النفس لدى مختلف الجماعات الإنسانية، مثلا اشتهار بعض الجماعات بنظم الشعر في أوقات الحرب او السلم أو الفرح أو القرح.

أما بالنسبة **لراد كليف براون** فإنه يرى أن العلاقات الاجتماعية داخل المجتمعات الإنسانية قائمة على إشباع الحاجات، وإشباع حاجة عند طرف هو وظيفة بالنسبة لطرف آخر ضمن نسق اجتماعي معين، فقيام المعلم بمهمة التعليم هو إشباع لحاجة توفير مصاريف الحياة لأسرته، وهي وظيفة بالنسبة للمجتمع الذي يعيش فيه ضمن النسق التعليمي.

من رواد البارزين في التحليل الوظيفي للظواهر الأنثروبولوجية نجد أيضا **تالكوت بارسونز**، الذي بنى تحليله على فكرة التوازن الوظيفي للأنساق وتكاملها. فالمجتمع بالنسبة إليه ما هو إلا نسق عام مكوّن من مجموعة أنساق فرعية ترتبط مع بعضها البعض بواسطة إشباع الحاجات وأداء الوظائف. على اعتبار أن قيام الحياة الاجتماعية واستمرارها لا يتم إلا عبر هذه الثنائية المركزية وهي: الحاجة / الوظيفة. فإذا لاحظنا في الحياة الحيوانية نجد أن الزرافة تشبع حاجاتها البيولوجية عبر عنقها الطويل الذي تصل بواسطته الى أوراق الأشجار، ففي هذه الحالة يؤدي عنق الزرافة وظيفة بقاء الكائن الحي. وكذلك الأمر بالنسبة للنظام الاجتماعي، اذ تستمر الحياة الاجتماعية ويبقى الكائن الإنساني عبر قيام الأنظمة الاجتماعية المختلفة (النظام الاقتصادي، الثقافي، السياسي) بأداء وظائف وتلقي حاجات. وبمجرد استنفاد هذه الوظائف تتوقف الحاجات، فتزول الأنظمة تلقائيا أو تستبدل بأخرى محدثة تتوافق وتطور المجتمع، أو بتعبير **تالكوت بارسونز "تحدث المجتمع"**. (عامر مصباح، علم الأنثروبولوجيا، 2010، ص149)

ويمكن الإشارة الى أن الأنثروبولوجيين الوظيفيين في مقاربتهم للثقافة من حيث الطرح الوظيفي توصلوا الى ثلاثة تصنيفات لمظاهر الثقافة حسب ما تؤديه عناصرها من وظائف:

الصنف الأول: الثقافة والاحتياجات الأساسية مثل الطعام والشراب والمأوى والحماية.

الصنف الثاني: الثقافة والاحتياجات المشتقة مثل البناء الاجتماعي والاقتصادي كالعمل والدفاع والضبط الاجتماعي.

الصنف الثالث: الثقافة والاحتياجات التي تحقق الأمن والتوافق الاجتماعي. (سعيدي محمد، 2013، ص75)

وبذلك يدخل **تالكوت بارسونز** الى فكرة الوظيف الوظيفية البنائية، التي تقوم على تحليل الظواهر الأنثروبولوجية انطلاقا من البناءات الاجتماعية القائمة. وهذه الفكرة هي بدورها مستوحاة من العالم الطبيعي، بحيث لكل شيء حولنا بناء من جمادات وكائنات حية، وكذلك للعالم الثقافي بناؤه، فللغة بناؤها وللشعر بناؤه، وللكائن الحي بناؤه، وللذرة بناؤها الخاص بها، بحيث يتضمن مجموعة من العلاقات المتفاعلة داخله بين الالكترونات كشحنات إيجابية وسالبة، وهذا هو البناء المعبر عنه في بعض الأحيان بالنواة. وكذلك جسم الإنسان هو بناء تتفاعل فيه الأعضاء عبر العلاقات العصبية والدموية كي تكون قادرة على أداء وظائفها وإشباع حاجاتها التي في النهاية تحافظ على بقاء الكائن الحي، ونفس الشيء بالنسبة لبناء اللغة، هو مكوّن من مجموعة حروف، فمجموعة كلمات، فمجموعة جمل، فمجموعة فقرات، فمجموعة عبارات، فمجموعة نصوص فتصبح كلاما يؤدي معنى ويفي بعملية الاتصال بين أعضاء مجتمع معين، بحيث يتم عبر ذلك أداء وظائف معينة وإشباع حاجات مقابلة. ولا معنى لبناء لغوي غير منتظم وفق قواعد متعارف عليها، لأنه يفقد وظائفه الحيوية التي من أجلها أنشئ.

بناء على ما سبق، فإن التحليل الوظيفي للظواهر الأنثروبولوجية يكون على أساس تحليل العلاقات الوظيفية داخل البنيات الثقافية في المجتمعات القديمة أو الحديثة، باعتبارها تعبيرا عن نمط التفكير الذي كان سائدا، وأسلوب الحياة القائم، وشكل العلاقات الاجتماعية التي تؤدي معرفته الكشف عن أسرار الحياة الاجتماعية للمجتمعات المدروسة. (عامر مصباح، علم الأنثروبولوجيا، 2010، ص150-151)

3.3. الافتراضات العامة للوظيفة:

- **الافتراض الأول:** هو أن المجتمع يشكل بناءا اجتماعيا، ويحدد هذا البناء في أنه عبارة عن أنماط ثابتة نسبيا من السلوك الاجتماعي. وداخل البناء الكلي هناك أبنية جزئية مهمة في التحليل الوظيفي، مثل الأسرة والدين والسياسة والاقتصاد.
- **الافتراض الثاني:** أن كل عنصر من عناصر البناء الاجتماعي يفهم من خلال وظيفته الاجتماعية. وتعني الوظيفة نتائج عمل المجتمع ككل. ومن ثم فإن كل جزء من المجتمع له وظيفة هامة واحدة أو أكثر وهي شرط في استمرار المجتمع.

وأحد خصائص الجوهرية للنسق هي التوازن من خلال العلاقات المتبادلة ويسمى هذا النوع من التوازن **بالتوازن الإستاتيكي**. (عامر مصباح، علم الأنثروبولوجيا، 2010، ص160)

ارتبط الاتجاه النظري الوظيفي بنظرية **البناء الاجتماعي Social Structure**، التي برزت في القرن 20، خاصة في حقلي علم الاجتماع والأنثروبولوجيا، لاتجاه العديد من الباحثين في هذه الحقول، إلى الدراسات الميدانية في المجتمعات الصغيرة أو قليلة السكان، كوسيلة لفهم المجتمع الإنساني في عمومه. ولقد لاحظ العلماء وبخاصة الأنثروبولوجيون منهم، أثناء دراستهم لتلك المجتمعات الصغيرة، التفاعل القائم بين مختلف نظمها الاجتماعية، على أساس أن الحياة الاجتماعية، في أي مجتمع، عبارة عن نسيج متماسك ومتشابك، من العلاقات المتداخلة. وبذلك أخذ مفهوم البناء الاجتماعي، يفرض نفسه بشكل واضح على معظم الدراسات الحديثة، بعد أن كان فكره غامضة. وكان الاتجاه العلماء البريطانيين الأوائل، الى دراسة المجتمعات التقليدية بإفريقيا بالذات، وأثره الكبير، في تبلور فكرة البناء الاجتماعي. "ويعود الفضل الأكبر في انتشار مصطلح البناء الاجتماعي، الى المحاضرة التي ألقاها الاستاذ **راد كليف براون** عام 1940، بعنوان في **البناء الاجتماعي.On Social Structure** " (رشوان، 2003، ص31)

ويحدد **راد كليف براون A.R.Rad Cliff-Brown (1881-1959م)** معنى البناء الاجتماعي في شبكة العلاقات الاجتماعية مكونة فيما بينها نسقا معينا يؤثر في السلوك الأفراد ويحدد مساراتها. هذه الشبكة من العلاقات هي التي تكون موضوع علم الأنثروبولوجيا بالنسبة له. وبناء الاجتماعي عنده يشمل ثلاث فئات من الظواهر الأنثروبولوجية التي هي موضوع بحث لهذا العلم وهي:

- الجماعات الاجتماعية التي استمرت فترة كافية من الزمن أطلق عليها اسم **الأشكال المورفولوجية** للمجتمع الإنساني، تضم مجموعة من الناس لفترة معينة من الزمن تسود بينهم علاقات تفاعلية عادة ما تسمى بالعلاقات الوظيفية.
- الفئة الثانية من تصنيف **راد كليف براون** هي مجموع العلاقات الاجتماعية التي تسود بين الأفراد والجماعات داخل المجتمع على كل المستويات.
- الاختلافات بين الأفراد والجماعات من حيث العرق واللغة والسن والجنس وغيرها من التنوعات الإثنية بين الجماعات داخل المجتمع.

وقت نجد أن هناك اختلاف في تحديد معنى البناء لدى علماء الأنثروبولوجيا الوظيفيين. فهناك من يرى أن: "البناء الاجتماعي نسيج يتكون من العلاقات التي تربط بين أعضاء مجتمع ما وفي رأي آخر، يتكون ذلك النسيج من العلاقات التي تربط بين الجماعات الإنسانية في مجتمع ما". كما يعرّف **كيسينج Keesing** البناء

الاجتماعي بأنه: "نظم اجتماعية التي عن طريقها تصل مجموعة من السكان إلى حالة التكامل والترابط. وهي حالة اللازمة لتكوين المجتمع". (رشوان، 2003، ص26-28)

ويعرف أيضا **ايفانز بريتشارد** البناء الاجتماعي بأنه: "تلك العلاقات التي تربط بين الجماعات والتي تتميز بدرجة عالية من الثبات والتركيب، بمعنى أن الجماعات تدوم وتستمر في الوجود بغض النظر عما تحتويه من أفراد وتتابع فيها الأجيال ويدخلها أفراد حين يولدون، ويخرجون منها حين يموتون، أي أن الأفراد يتغيرون، أما البناء الاجتماعي فيبقى ويدوم". (رشوان، 2003، ص31)

قدم **إيفانز بريتشارد** مساهمة في بلورة المدخل الوظيفي في تحليل الظواهر الأنثروبولوجية، انطلاقا من الدراسة التي قام بها على جماعات القبلية التي تسمى بالنوير **The Nuer**. وقد طبق عليها المنهج البنائي الوظيفي الذي يحلل الظواهر من خلال علاقة الجزء مع الكل أو تحليل النسق الفرعي في علاقته مع النسق الرئيسي أو العام. فالجماعة مثلا بالنسبة اليه هي جماعة بنائية تتحكم وتصوغ أنماط السلوك النابعة منها، فكل سلوك الأفراد متأثر بطبيعة بنية الجماعة. تتبع أهمية الجماعة في التحليل البنائي الوظيفي بالنسبة **لإيفانز بريتشارد** من ثباتها وديمومتها وأسبقيتها على السلوك الفرد. كما طرح مصطلح" **الوحدة الاقليمية** "كأداة أساسية في تحليل الأنثروبولوجي الوظيفي باعتبارها تمثل معنى أن كل إقليم تسكنه قبيلة أو عشيرة تخضع لرئيس، تقوم بوظائف اقتصادية وسياسية وقرابية في نفس الوقت، وبالتالي يجب أن يركز عليها التحليل.

كذلك من الرواد المدخل الوظيفي في تحليل الأنثروبولوجي للظواهر الاجتماعية نجد **راموند فيرث** الذي ركز اهتمامه العلمي على الأنشطة الاجتماعية وتحليلها من منظور البناء الاجتماعي الاقتصادي. وهو الآخر قام بدراسة ميدانية على مجتمع **تكوبيا Tekopia**. البناء الاجتماعي عنده هو النظام الاجتماعي العام عند **تالكوت بارسونز**، يتكون من مجموع الجماعات المكونة للمجتمع والنظم المنظمة للعلاقات بين أفراد المجتمع تنظيما وظيفيا. كما يتضمن البناء الاجتماعي عند **راموند فيرث** كذلك تباينات في المكانات الاجتماعية والأدوار. ويبدأ التباين في المراتب الاجتماعية داخل الأسرة ليشمل جميع المستويات البناء الاجتماعي، فهناك امتيازات متباينة مثلا بين الأخ الأكبر والأخ الأصغر وكذلك الاختلاف في المراتب الاجتماعية بين ما يحتلون مكانة الرئاسة والأتباع. سواء حدث ذلك بالوراثة أو وفق معايير أخرى متعارف عليها داخل المجتمع.

وفي نفس السياق نجد عالم الأنثروبولوجيا البريطاني **ادوارد تايلور** في كتابه" **الثقافة البدائية Primitive Culture** "يميل نحو تحليل الظواهر الأنثروبولوجية من منظور البناء المترابط وظيفيا، وذلك من خلال طرحه لفكرة" **طرق متلازمات Methods of Adhesions** "، التي تعني أن تحليل الظواهر لا يكون مستوفيا إلا إذا درست في علاقتها بالظواهر أخرى، وعناصرها مترابطة بشكل تكوّن كلا وظيفيا لا معنى له في شكله المستقل، وإنما عندما يرتبط

مع غيره من العناصر ضمن النسق وظيفي كلي. (مصباح، المدخل الى علم الأنثروبولوجيا، 2010، ص157-159)

4. الاتجاه الأنثروبولوجي البنيوي:

1.4. تعريف البنية: هناك من يرى أن كلمة **البنيوية Structuralism** هي: "مشتقة من كلمة بنية Structur. وهي بدورها مشتقة من الفعل اللاتيني Struere أي بنى: وهو يعني بذلك الهيئة أو الكيفية التي يوجد الشيء عليها، وفي اللغة العربية، بنية الشيء تعني ما هو أصيل فيه وجوهري وثابت لا يتبدل بتبدل الأوضاع والكيفيات.

ويعرف **لالاند A.Lalande** البنية بأنها: "المعنى الخاص وجديد تستعمل البنية من أجل تعيين كل مكون من الظواهر المتضامنة، بحيث يكون كل عنصر فيها متعلقا بالعناصر الأخرى ولا يستطيع أن يكون ذا دلالة إلا في نطاق هذا الكل، هذه الفكرة هي الأساس فيما نسميه أيضا بنظرية الصيغ".

ويرى **فولكييه Foulquie** أن: " الدراسات والبحوث في مجال العلوم الإنسانية ينبغي لها أن تنشد الطريقة البنيوية بمعنى توضيح الموضوع الذي تود دراسته بوضعه داخل البنية حيث كان موجودا ومتضمنا من قبل".

ويرى **ليفي ستراوس Levy Shtrose** أن: " البنية تحمل أولا وقبل كل شيء طابع النسق أو النظام، فالبنية تتألف من عناصر إذا ما تعرض الواحد منها للتغيير أو التحول تحوّلت باقي العناصر الأخرى، ذلك أنه رغم التنافر الظاهري الذي نلاحظه بين البنى والظواهر في المجال الإنساني فإن هناك قواسم مشتركة وروابط مشتركة، وروابط تربط بينها..."

وهناك من يرى أن البنية هي: "الكل المؤلف من عناصر متظافرة مترابطة أي أنها تتكون من علاقات مجردة التي تقوم بين عناصر وتحولات منظومة مستقلة نسبيا عن المؤثرات المختلفة". (عامر مصباح، علم الاجتماع، 2010، ص306-307)

2.4. الافكار الرئيسية للمدخل البنيوي: يمكن تلخيص الأفكار الرئيسية للمدخل البنيوي في التحليل الأنثروبولوجي، للظواهر الاجتماعية في مجموعة من النقاط نسوقها كالتالي: (عامر مصباح، 2010، ص176)

- المطالبة بدقة وصرامة العلمية في التحليل الأنثروبولوجي للظواهر الاجتماعية، بهدف إضافة مصداقية العلمية على نتائج التحليل الأنثروبولوجي.
- فهم الإنسان فهم مجردا بعيدا عن الاعتبارات الواقعية أو التاريخية، وهو انسان الفلاسفة وتاريخ الفلاسفة.
- اللغة هي مفتاح للتحليل البنيوي، وذلك بناء على أسس التحليل البنيوي على أساس الارتباط الرمزي بين الرموز ومرمزاتها أو الدلالات ومدلولاتها، وفهم الأشياء والظواهر على أساس التفريق بين الطبيعة والمعنى وبين الرمز والمغزى، وبين اللفظة ومدلولها.
- التأكيد على أولوية العلاقات بين العناصر، أي العناصر المكونة لها بالذات، وعلى أولوية الكل على الأجزاء.

- التاريخ في –نظر البنيوية –لا يمنح المعنى الحقيقي للظواهر الاجتماعية، ولا يوجه الاحداث توجيها دلاليا، إنما يؤثر في التاريخ هو التفاعل الواعي في صيغة الأحداث والتأثير فيها بدلاله من تراكمها. هدف التحليل الاجتماعي للنظرية البنيوية هو اختصار المسافة بين النسق الماهوي والسؤال الوجودي، وليس تفضيل أحدهما على الآخر.

3.4. كلود ليفي ستراوس Claude Le' vi-Strauss: درس **كلود ليفي ستراوس** (1908 –2009) –وهو ابن عائلة يهودية ميسورة من الطبقة الوسطى العريقة–الفلسفة والقانون في باريس بداية الثلاثينيات، واقترن بالدائرة الثقافية المحيطة بالفيلسوف الوجودي جان بول سارتر. درس في الأعوام (1935–1939) في جامعة ساو باولو في البرازيل، وقام برحلات حقلية قصيرة المدى إلى بضعة جماعات في الإقليم الأمازون.

تأثر بأنثروبولوجيا بواز فيما كان في نيويورك، والتقى بعالم اللغة العظيم الأمريكي الروسي رومان جاكوبسون (1896–1982م)، الذي أصبحت لغويته البنائية الركن الأساسي لعمل لفي ستراوس فيما بعد، نال شهادته في الدكتوراه في باريس عام 1947، والتي كانت بعنوان: البنى الأولية للقرابة في 1969، نشر أطروحته عام 1949، والتي قد أحدثت ثورة في دراسات القرابة. (توماس ايروكسون وفين نيلسون، 2013، ص156)

يعتبر كلود ليفي ستراوس **Levy Shtrose** أحد رواد النظرية البنائية الرئيسيين، الذي بلورة الأفكار البنيوية في التحليل السوسيولوجي من خلال مجموعة من الأعمال العلمية التي قام بها ونذكر منها:

كتاب **العقل المتوحش** الذي نشر في عام 1962، وكتاب **الأنثروبولوجيا البنيوية** وكتاب **البنى الأولية للقرابة** الذي نشر في1949، وكتابه **الطوطمية** سنة 1962، وكتاب **مقدمة لعلم الأساطير**. (عامر مصباح، علم الاجتماع، 2010، ص312)

أسس البنائية وهي المقاربة النظرية التي تحسب له. ويشرح **ستراوس** واقعية التحليل في النظرية البنيوية بقوله: إن الشكل الملموس للواقع الاجتماعي يكمن في طبيعة العلاقات الاجتماعية الحسية، مثل علاقات القرابة لكن البنى الأولية القرابية، التي هي بمثابة القاعدة الأساسية للحياة الاجتماعية والتي يمكن سلفا قياس سائر المتغيرات المحتملة المتعلقة بها، ليست في حد ذاتها مادة للملاحظة التجريبية المباشرة، إذ يجب إعادة تشكيل البنية لأن وجودها يجب ان يكون مثاليا"، ثم يستدرك **ستراوس** بعد ذلك فيقول: "إن المبدأ الأساسي ينطوي على أن مفهوم البنية لا يطابق الواقع التجريبي، بل النموذج النظري المبني انطلاقا من هذا الواقع". (عامر مصباح، علم الاجتماع، 2010، ص310) نجد أن التحليل البنيوي بالنسبة لكلود ليفي ستراوس هو تحليل واقع الظواهر الاجتماعية كما تجري في الواقع المجتمع، دون التغاضي عن خصائصها الحقيقية، أو الوقوع في أخطاء مضللة أو تفسيرات ضبابية تحجبنا عن فهم الظواهر فهما حقيقيا.

"فالبنائية هي النظرية التي تحاول أن تمسك بالخصائص النوعية العامة للأنساق ذات المعنى، والأكثر شهرة، بعمل لفي ستراوس نفسه، الأنساق القرابية والخرافات. تتألف مثل هذه الأنساق من عناصر إلا انّ العناصر نفسها ليست فئات أو موضوعات مخططا لها، إنما علاقات النسق القرابي، على سبيل المثال نسق ذو معنى، وعليه فإنه يتألف من علاقات وليس مواقع(مكانات). الأب ليس هو بحد ذاته الأب، ولكن بعلاقته بأطفاله. وبنظر ليفي ستراوس، لم تكن القرابة بصورة رئيسية نمطًا للتنظيم الاجتماعي، وإنّما نسق ذو معنى، نسق للعلاقات، ولم تكن العلاقة الرئيسية رابطة الدم" الطبيعية " (أبوان–طفل)، إنما الرابطة المبنية اجتماعيًّا بين الزوج والزوجة.

لم تكن فكرة أنّ المعنى كان علاقاتيا جديدة بحدّ ذاتها. لقد كانت مكونًا مهمًّا للغوية البنائية لجاكوبسون، وكذلك الحال بالنسبة للغوية الرمزية التي تأسست من قبل فيرديناند دي سوسير قبل الحرب العالمية الأولى". (توماس ايروكسون وفين نيلسون، 2013، ص156)

لهذا كان يرى **ليفي ستراوس** أن الرموز تمثل–الى جانب اللغة–أحسن مثال للتفسير البنيوي بسبب طبيعتها البنيوية، ويرجع سبب اهتمامه بدراسة اللغة بإعتبارها المثال الجيد في التحليل البنيوي، وذلك بسبب طبيعتها الجوهرية ذات الخاصية البنيوية، فالكلمة هي بنية بحيث الحرف فيها لا معنى له إلا في علاقته مع الحروف الأخرى في الكلمة، والجملة هي بنية بحيث أنه لا معنى للكلمة إلا في علاقتها بالكلمات الأخرى في الجملة التي تحتوي بواسطة ذلك المعنى معينا، وهكذا. (عامر مصباح، علم الاجتماع، 2010، ص312)

وفي كتابه **العقل المتوحش** أراد **كلود لفي ستراوس** أن يستهدف بتحليله معرفة كنه الظواهر الاجتماعية. فهو يقول موضحا ذلك: " يحاول التحليل الأثنوغرافي أن يصل الى الأسس الكامنة خلف التباين الواقعي للمجتمعات البشرية...". فاهتمامه منصب على معرفة وتحليل مستويات العميقة للبناء الاجتماعي، وبناء الارتباط بين العناصر البنائية للمجتمع وبناء العقل البشري، من خلال التركيز على فهم العلاقة المتصلة بين العنصر والبناء الكلي. (عامر مصباح، علم الاجتماع، 2010، ص309)، فالمدخل المنهجي لكلود لفي ستروس في تحليل الظواهر الاجتماعية هو مدخل بنيوي متأثر بالأبعاد الأنثروبولوجية.

المحور السابع

الأنثروبولوجيا الحديثة: الموضوع والهدف

1. الأنثروبولوجيا الحديثة: الموضوع والهدف

تعد الأنثروبولوجيا أحد الفروع الأساسية لعلم الإنسان، وقد شهدت عبر مسارها التاريخي تحولات عميقة في موضوعها ومجال اهتمامها، انتقلت من التركيز على دراسة المجتمعات البدائية إلى تحليل الإنسان في مختلف أبعاده الثقافية والاجتماعية والرمزية، وفي شتى المجتمعات القديمة والمعاصرة. إنّ هذا التطور يعكس انتقال الأنثروبولوجيا من كونها علمًا يدرس "الآخر" البعيد جغرافيًا وثقافيًا، إلى علم يهتم بفهم الإنسان أينما وُجد، في سياق التغيرات الكبرى التي يشهدها العالم المعاصر.

" إن الكتابات الأنثروبولوجيا انتقلت من الاعتماد على الملاحظات العابرة السريعة التي كان يقوم بها المستكشفون، إلى الوصف التفصيلي على أيدي المبشرين ورجال الحكم والإدارة في المستعمرات، ثم الى دراسات المركزة التي يتوفر عليها الآن العلماء المتخصصون. وقد خضعت نظرياتها للتعديل والتغيير المستمرين نتيجة لتلك الزيادة المطردة في المعرفة، ولكنها بعد كل تعديل يطرأ عليها، كانت توجه أنظار الباحثين الى ملاحظة مسائل أخرى أعمق وإلى ميادين جديدة من الحياة الاجتماعية، مما كان يؤدي بدوره إلى إزدياد المعرفة بتلك الشعوب البدائية التي كانت محور اهتمام الأنثروبولوجيون، ونتج عن هذا التطور الهائل في البحث تطور جديد في أهداف الأنثروبولوجيا ومناهجها.

وكانت معظم الكتابات الحقلية الأولى تميل الى السرد أو الوصف الخالص ولا تكاد تهتم بالتحليل المنهجي إلا في القليل النادر، وإن كانت تنزع أحيانا إلى نوع من التفكير النظري الذي يصطبغ بصبغة تاريخية لتفسير الوقائع والملاحظات. وتنتظم كل دراسة من هذه الدراسات عددا كبيرا من الفصول يعالج كل منها على التوالي وبكثير من التفصيل مظهراً واحدًا من مظاهر الحياة الاجتماعية: البيئة والمميزات السلالية والسكان والاحصائيات الخاصة بالمواليد والوفيات والتكنولوجيا والاقتصاد والتنظيم الاجتماعي وشعائر المرور أو شعائر الانتقال والقانون والدين والسحر والأساطير والفولكلور ووسائل لهو والتسلية وغير ذلك. وفي هذا تختلف تلك الدراسات الأولى عن الدراسات الحقلية الحديثة التي تحاول على العموم أن تتجاوز مرحلة الوصف الخالص للحياة الاجتماعية عند شعب من الشعوب وتأويلها بتلك الطريقة السهلة الشائعة التي تحاول تفسير ثقافة معينة بالذات، بالرجوع الى ثقافة أو ثقافات أخرى. فالمدرسة الحقلية الحديثة تهدف الى الوصف التحليلي التكاملي الذي يبرز ملامح الهامة في الحياة الاجتماعية، تلك الملامح التي تيسر فهم بناء هذه الحياة كما تيسر الوصول إلى نظرية عامة". (إيفانز بريتشارد، 1960، ص130-132)

انصب اهتمام الأنثروبولوجيين في المراحل الكلاسيكية على دراسة الجماعات الصغيرة والمعزولة التي كانت تمثل بالنسبة إليهم نموذجًا لفهم البدايات الأولى للتنظيم الاجتماعي والثقافي للإنسان. غير أنّ الأنثروبولوجيا الحديثة تجاوزت هذا المنظور، فأصبحت تهتم بدراسة المجتمعات الصناعية والحضرية

والرقمية، مركّزةً على التحولات التي أحدثتها العولمة، والهجرة، والتطورات التكنولوجية في أنماط الحياة والعلاقات الاجتماعية، وهكذا اتسع موضوع الأنثروبولوجيا ليشمل ظواهر معاصرة كالهويات الثقافية الجديدة، والعلاقات بين الإنسان والبيئة، والجندر، والتنمية، والمجتمعات الافتراضية، وغيرها من القضايا التي تعبر عن دينامية الإنسان الحديث.

كما اتخذت الأنثروبولوجيا الحديثة طابعًا تفاعليًا وتكامليًا مع باقي العلوم الاجتماعية والإنسانية، إذ أصبح من الصعب الفصل بين موضوعها وموضوعات علم الاجتماع أو علم النفس الثقافي أو التاريخ أو الاقتصاد. فالمقاربة الأنثروبولوجية اليوم تسعى إلى بناء فهم شامل للإنسان في سياقه الطبيعي والثقافي والاجتماعي، معتمدة على منهجية الملاحظة بالمشاركة، والتحليل المقارن، والتفسير التأويلي للظواهر الإنسانية.

أما من حيث الأهداف، فإنّ الأنثروبولوجيا الحديثة تسعى أساسًا إلى فهم الإنسان في كليته بوصفه كائنًا بيولوجيًا وثقافيًا واجتماعيًا، يتفاعل مع بيئته وينتج من خلالها أنماطًا من المعنى والسلوك. وهي تهدف كذلك إلى تحليل التنوع الثقافي الذي يميز المجتمعات البشرية، والكشف عن أوجه التشابه والاختلاف بينها بما يساهم في ترسيخ مبدأ وحدة الإنسان وتعدديته في آنٍ واحد. كما تسعى إلى نقد المركزية الغربية التي ميّزت الدراسات الاستعمارية القديمة، وإبراز خصوصيات الثقافات المحلية من منظور احترام التنوع والاختلاف.

وتتجاوز أهداف الأنثروبولوجيا اليوم الإطار الوصفي نحو الإسهام الفعلي في معالجة القضايا الواقعية التي تواجه المجتمعات، إذ توظَّف في مجالات التنمية، والصحة، والتعليم، وحل النزاعات الثقافية، والسياسات العمومية، انطلاقًا من فهمٍ معمّق للعلاقات بين الأفراد والثقافة والمجتمع. ومن هنا اكتسبت الأنثروبولوجيا الحديثة بعدا تطبيقيًا جعلها أكثر ارتباطًا بمشكلات الحياة اليومية وأكثر قدرة على تفسير التحولات الاجتماعية المعاصرة.

لقد ساهم العديد من المفكرين والعلماء في صياغة هذا التحول في الفكر الأنثروبولوجي، من أبرزهم كلود ليفي ستروس الذي أسّس للاتجاه البنيوي في فهم الثقافة، ومارغريت ميد وروث بنديكت اللتان ركزتا على العلاقة بين الثقافة والشخصية، وكليفورد غيرتز الذي قدّم الأنثروبولوجيا التأويلية بوصفها بحثًا في المعاني التي يمنحها الأفراد لتجاربهم، إضافةً إلى بيير بورديو الذي نقل المفاهيم الأنثروبولوجية إلى دراسة المجتمعات الحديثة وممارساتها الرمزية والاجتماعية.

إنّ الأنثروبولوجيا الحديثة تُعدّ في جوهرها علمًا لفهم الإنسان في عالم متحوّل، فهي تسعى إلى تفسير كيفية تكيّف الثقافات مع التحولات الاقتصادية والتكنولوجية والسياسية، وإلى بناء رؤية إنسانية شاملة تعترف بتعدد التجارب الثقافية وتنوّع أنماط العيش. ومن خلال هذا المنظور تصبح الأنثروبولوجيا علمًا للحوار بين الثقافات، وأداةً لفهم الذات والآخر في آنٍ واحد، بما يُسهم في تعزيز قيم التسامح والاحترام المتبادل بين الشعوب.

المحـــور الثامـــن

أهمية الأنثروبولوجيا في العصر الحالي

1. أهمية الأنثروبولوجيا في العصر الحالي:

تعد الأنثروبولوجيا من العلوم الإنسانية والاجتماعية التي اكتسبت أهمية متزايدة في العصر الحالي، لما تقدّمه من فهم شامل للإنسان في أبعاده الثقافية والاجتماعية والرمزية، ولقدرتها على تفسير التغيرات التي تشهدها المجتمعات المعاصرة في ظل التحولات الاقتصادية والسياسية والتكنولوجية المتسارعة. فلم تعد الأنثروبولوجيا مقتصرة على دراسة المجتمعات التقليدية أو ما كان يُعرف بـ«الشعوب البدائية»، بل امتدّ اهتمامها ليشمل تحليل أنماط الحياة الحديثة، والعلاقات الاجتماعية داخل المدن، والتحولات الثقافية الناتجة عن العولمة.

إن النّظرة الى المجتمعات الإنسانية ونظريات الأنثروبولوجية تتغير عند علماء الانثروبولوجيا في الغرب، تبعا لنموذج الرؤية **البراديغم** المتغيّر بتغيّر السياق التاريخي، مثلا اعتقد أنصار التطورية **بوحدة التاريخ البشري** ووحدة المسار الذي يجب أن تمر فيه كلّ المجتمعات الإنسانية من أجل الوصول الى مرحلة **الحضارة**. ولاحقا أسس لفي ستراوس بنيويّته على فكرة **وحدة العقل البشريّ** وجهد في مواجهة هيمنة التصوّر القائل **بعقلانيّة الفكر الغربي** مقابل النّظر الى الفكر غير الغربي على أنه **غير عقلاني**.

صارت الأنثروبولوجيا تشير الى علم دراسة التعدّد والاختلاف والتنوّع التاريخّي والجغرافّي والثقافّي. وهذا ما يتأسّس عليه المجتمع البشريّ. وما عدا موضوع الأنثروبولوجيا يقتصر على البدائيين او التقليديين بالنسبة للمجتمع الغربي، فهذه مجتمعات آخذة في الاختفاء بفعل التأثير المباشر أو غير المباشر للمجتمعات الصّناعيّة حديثة. فقد بدأت التغيير الثقافّي والمجتمعّي يطال تلك المجتمعات البعيدة ثقافيًّا والبعيدة جغرافيا عن أوروبا، وراحت صفه **البدائيّة** تضمحل. هنا، وجدت الأنثروبولوجيا أن موضوعها (المجتمعات البدائية) في خطر. فتوسّع مجال اهتمامها الى إمكانية دراسة كلّ جانب من جوانب الوجود البشريّ في مختلف الأزمنة والأمكنة حتى المجتمعات الحديثة، وراح علماء الأنثروبولوجيا يتّبعون نهجًا واسعا لفهم العديد من الجوانب المختلفة للتّجربة الإنسانيّة.

وراحت الأنثروبولوجيا تقدم الإجابات على الأسئلة حول المجتمعات الغربيّة نفسها أيضا، ماضيها وحاضرها ومستقبلها، ولم يعد مجال الاهتمام مقتصرًا على المجتمعات الأخرى بالنسبة للغرب، عن الاهتمامات المعرفية يمكن ان تنقسم الأنثروبولوجيا مع بعض الاختلافات الى أربعة مجالات رئيسية، قد تضاف إليها مجالات أخرى، كالأنثروبولوجيا النّفسانيّة التي تهتمّ بدراسة الموضوعات النّفسيّة باستخدام المفاهيم والمناهج الأنثروبولوجية، ومن بين المجالات اهتماماتها: الهوية الشخصية والذّاكرة والوعي والعاطفة والتّحفيز والإدراك والجنون والصّحة العقليّة.

فعلى سبيل المثال أن الأنثروبولوجيا اللغوية تدرس الطرق العديدة التي يتواصل بها الناس في جميع انحاء العالم، يهتمون بكيفيّة اشتغال اللّغة بأشكالها المختلفة، وآليّات تغيّرها بمرور الوقت، وكيف تربط الأشخاص، وكيف يستخدم النّاس اللّغة في حياتهم اليومية، وكيف تحدد رؤيتهم للعالم، وكيف تشكّل هويّاتهم أو تغيّرها، وكيف تنشئ علاقات القوة أو تغّيرها. بالنسبة الى علماء الأنثروبولوجيا اللّغوية تعد اللغة والتواصل مفتاحًا لبناء المجتمع والثقافة.

كما أن الأنثروبولوجيا الثّقافية والمجتمعيّة، يستكشف علماء الأنثروبولوجيا الثقافية والمجتمعيّة كيف يعيش الناس في أماكن مختلفة، وكيف يفهمون العالم من حولهم. يسعون الى معرفة معتقدات النّاس واهتماماتهم والقواعد التي يضعونها حول كيفيّة تفاعلهم مع بعضهم. ويهتمّون بالاختلاف الثقافّي حتى داخل البلد او المجتمع الواحد، كما يستخدم علماء الانثروبولوجيا اليوم تقنيّاتهم أيضا في مجال منصّات الوسائط الجديدة والتّقنيات الرقميّة، مثل اليوتيوب والفيسبوك لفهم كيف ينشئ البشر روابط مجتمعيّة وهوايّات ثقافية جديدة، وكيف يتواصل الأشخاص ونمط علاقاتهم ببعضهم البعض. (رباب رسلان وآخرون، 2023، ص28–29)

تكمن أهمية الأنثروبولوجيا اليوم في كونها تساعد على فهم التنوع الثقافي بوصفه مصدر ثراء إنساني لا سببًا للصراع، وتسهم في تعزيز الحوار بين الثقافات المختلفة. كما تمكّن الباحثين وصنّاع القرار من إدراك السياقات الاجتماعية والثقافية التي تحيط بالقضايا المعاصرة، مثل الهجرة، والتغير المناخي، والتنمية المستدامة، والعدالة الاجتماعية، والهوية الرقمية، والعلاقات الجندرية، وغيرها من الموضوعات التي تتقاطع فيها الثقافة بالمجتمع والسياسة والاقتصاد.

إضافة إلى ذلك، تُعدّ الأنثروبولوجيا أداة فعّالة في مجالات التنمية والسياسات العمومية، إذ توظَّف معارفها لفهم احتياجات المجتمعات المحلية وتصميم برامج تنموية تراعي الخصوصيات الثقافية والقيم الاجتماعية. كما أصبح للأنثروبولوجيا التطبيقية دور متنامٍ في ميدان الصحة والتعليم والعمل الإنساني، من خلال دراسة سلوك الأفراد والجماعات في مواجهة الأزمات والكوارث، أو في التفاعل مع التقنيات الحديثة.

وفي ضوء التحديات العالمية الراهنة، مثل تفكك الهويات الثقافية، وتزايد النزعات الفردية، وصدام القيم بين الحداثة والتقليد، تبرز الأنثروبولوجيا كعلم يساعد على بناء فهم متوازن للإنسان ككائن اجتماعي وثقافي في آن واحد، يسعى إلى المعنى والانتماء ضمن عالم متغير. فهي بذلك تظلّ علمًا ضروريًا لفهم الإنسان المعاصر في تعقيداته وتنوعاته، وتقديم مقاربات إنسانية للظواهر التي تشكّل جوهر الحياة الاجتماعية في القرن الحادي والعشرين.

وفي السياق العربي، تكتسب الأنثروبولوجيا أهمية متزايدة بوصفها مدخلًا علميًا لفهم التغيرات الاجتماعية والثقافية التي تشهدها المجتمعات العربية في ظل الحداثة والعولمة. فهي تتيح مقاربةً علمية لدراسة قضايا الهوية والانتماء، والتحولات القيمية، وديناميات الأسرة، وأنماط التدين، والعلاقات بين الأجيال، فضلاً عن تأثيرات التكنولوجيا ووسائل الإعلام الجديدة في تشكيل الوعي الجمعي. كما تسهم الدراسات الأنثروبولوجية في العالم العربي في كشف خصوصية البنى الثقافية والاجتماعية المحلية، وتفكيك الصور النمطية التي رُسِمت عنها في الخطابات الاستشراقية. ومن ثمّ، تمثّل الأنثروبولوجيا اليوم أداةً معرفية ضرورية لفهم الذات العربية في تفاعلها مع التغيرات العالمية، وبناء رؤى تنموية وثقافية أكثر انسجامًا مع الواقع الاجتماعي والإنساني للمنطقة.

المحـــور التاسع

النظريات الأساسية في علم الأنثروبولوجيا

1. النسبية الثقافية (Cultural Relativism):

لقد وعت العصور القديمة أن هذا المفهوم الذي يُعتبر من المفاهيم الرئيسية في النياسة، وهو نسبية الثقافات، وهو مفهوم يعتبر ان لا معنى لأي ثقافة من الثقافات ولا قيمة لها إلا ضمن سياقها الخاص، وقد ترافق هذا الوعي مع إدراك تنوع المؤسسات والمعتقدات وتغيُّرها بتغيّر الأمكنة والأزمنة، مما يعني ضمنًا أن المجتمعات ليست حب محكومة بالقوانين عامة ثابتة بل باصطلاحات مخصوصة، تتبدل من مجتمع الى آخر، ومن عصر الى عصر. (جاك لومبار، 1997، ص 32)

وفق هذا الاتجاه يقدم التاريخ وصفاً متكاملاً للماضي، وليس تتبعاً لظواهر معينة في مراحل زمنية كما فعل الوظيفيون، وبهذا تكون الأنثروبولوجيا دراسة تاريخية أولاً وهدفها تمييز وتحديد الأنماط الثقافية التي تستخلص من الدراسة المقارنة للشعوب، فكل ثقافة ترتكز على مبادئ أساسية تعطيها نموذجاً أو نمطاً خاصاً يميزها عن غيرها من الثقافات. وإن كل ثقافة لمجتمع ما تستخدم جزء مختاراً ومحدد من مجموع الصيغة الثقافية التي بمقدور الإنسان بشكل عام استخدامها. و "يعود الفضل إلى هرسكوفيتز في اختراع مصطلح "نسبية الثقافة" إذ أنه قد تساءل "كيف يمكن إطلاق أحكام قيمة على هذه الثقافة أو تلك، أو على الثقافة غير المعقدة بشكل عام طالما أن هذه الأحكام مبنية على التجربة، وطالما أن كل فرد يفسر التجربة بحدود تناقضه الخاص؟ لا وجود لـ "تجربة" (حسية، أو فنية، أو دينية...إلخ) بذاتها، طالما أن كل تجربة هي نسبية بالنسبة لنسق المجتمع الثقافي، وطالما أن كل مجتمع هو نظام تجربة وأحكام". (النور، شلابي، 2002، دص).

تُعدّ **النسبية الثقافية** من المبادئ الأساسية في الأنثروبولوجيا الحديثة، وقد برزت كردّ فعل على **المركزية الإثنية** التي كانت تميز الدراسات الغربية في القرن التاسع عشر. يرى روّاد هذا الاتجاه، وعلى رأسهم **فرانز بواز (Franz Boas)**، أنّ كل ثقافة تمتلك نظامها القيمي والمعياري الخاص، وأنه لا يجوز الحكم على الممارسات والعادات انطلاقًا من معايير ثقافة أخرى. فالثقافة، في نظر بواز، **نسق متكامل** يجب فهمه من داخله، أي من خلال المعاني التي يمنحها الأفراد لممارساتهم داخل بيئتهم الاجتماعية.(Boas, 1938, p. 636)

وقد عمّقت **روث بندكت (Ruth Benedict)** هذه الفكرة في كتابها *"Patterns of Culture"*، إذ أكدت أن كل ثقافة تختار من الإمكانيات الإنسانية ما يتوافق مع قيمها ومثلها العليا، مما يجعل السلوك الإنساني نسبيًّا بالنسبة للإطار الثقافي الذي ينتمي إليه .(Benedict, 1934, p. 24) كما دعمت **مارغريت ميد Margaret Mead)** هذا المنظور من خلال دراساتها الميدانية في جزر ساموا وغينيا الجديدة، حيث أثبتت أن **القيم والأدوار الاجتماعية ليست طبيعية أو ثابتة**، بل تُشكَّل وفقًا للبنية الثقافية السائدة.(Mead, 1935, p. 89)

إنّ النسبية الثقافية تركز إذن على **فهم الثقافة في سياقها الخاص**، وتدعو إلى **التحرر من الأحكام المسبقة** وإلى **احترام التنوع الثقافي** باعتباره سمة جوهرية للإنسانية. ومع ذلك، يشير بعض الباحثين إلى ضرورة اعتماد

"نسبية معتدلة"، بحيث لا تُستخدم النسبية لتبرير الممارسات التي تتعارض مع **الكرامة الإنسانية أو حقوق الإنسان العالمية** .(Kottak, 2017, p. 45)

2. الاتجاه المادي الثقافي (Cultural Materialism):

يفترض الاتجاه المادي الثقافي كما يفسره أحد أكثر دعاته حماساً، "**مارفن هاريس Marvin Harris** " أن تكون الأسبقيَّة المنهجيَّة موجهة للبحث عن قوانين للتاريخ في علم الإنسان"، وينتحل هاريس في تفسيره للتطور الثقافي تقسيم كارل ماركس الثلاثي للمجتمع الإنساني: القاعدة، والبنية، والبنية الفوقية. ويرى هاريس أنَّ كل تغير ثقافي وكل المجتمعات يمكن تحليلها من خلال أنماط الإنتاج (أي النظم الاقتصادية وتقنيات الإعاشة)، وأنماط إعادة الإنتاج (أي أنماط التزاوج وأساليب التحكم في السكان)، والاقتصاد السياسي (أي الطبقة والطائفة والحزب)، والبنية الفوقية (أي الفن والدين). لا يشكل هذا المبدأ بالنسبة لهاريس وللماديين الثقافيين قانوناً وفق مفهوم قانون نيوتن، لكنه يشكل في الغالب إستراتيجية للبحث يمكنها أن توفر إمكانية للوصول إلى فهم يقوم على نواميس الطبيعة والمنطق مثل مبدأ الاصطفاء الطبيعي في نظرية داروين. ويقول هاريس أنه بترجمة هذا المبدأ بحسبانه إستراتيجية للبحث فإن"مبدأ الحتمية التقنية–البيئية هذا يفترض أن تكون الأولوية لدراسة الشروط المادية للحياة بالقدر نفسه الذي يفترض فيه مبدأ الاصطفاء الطبيعي أن تكون الأولوية لدراسة النجاح التفاضلي النهائي في إعادة الإنتاج."

إذا انتزعنا بعض المصطلحات الماركسية الكامنة في تفسير هاريس للتطور الثقافي فإن تفسيره سيبدو مشابهاً للتحليلات المعُبر عنها في المعالجات الايكولوجية الثقافية من حيث التركيز على المحتم التقني البيئي، وعلى أهمية الضغوط السكانية. (النور، شلابي، 2002، د ص).

ومنه هذا الاتجاه يقوم على فكرة أن العوامل المادية (الاقتصادية، البيئية، التكنولوجية) هي المحدِّد الأساسي لبنية المجتمع وثقافته، ويرى أن القاعدة التحتية (البنية التحتية) مثل وسائل الإنتاج، البيئة، والموارد الطبيعية، تفسر البنية الفوقية من قيم، معتقدات، وأفكار، كما يعتمد على التحليل البنيوي الماركسي جزئيًا، مع تركيز على العوامل المادية في تفسير الظواهر الثقافية.

مثال: تفسير تحريم لحم البقر في الهند على أنه نتيجة اقتصادية/بيئية تتعلق بأهمية الأبقار في الزراعة لا مجرد سبب ديني.

3. اتجاه الأيكولوجي الثقافي(Cultural Ecology):

"يفسر التباين بين الثقافات المختلفة للشعوب في إطار التنوع البيئي كما يهتم بالكشف عن الكيفية التي تؤثر فيها الثقافة على تكيف الأفراد مع ما قد يحدث في البيئة من تغيرات جذرية. ولا تقتصر البيئة لدى دعاة الاتجاه الإيكولوجي الثقافي على المحيط المادي فقط وإنما تشمل كل ما يحيط بالإنسان من كائنات حية، سواء من نوعه أو مختلفة عنه وتترابط جميعها في نسق متكامل، أطلقوا عليه مصطلح "النسق الإيكولوجي" الذي أصبح مجالاً لدراساتهم

المركزة. ويعطى الايكولوجيون الثقافيين أهمية خاصة لمناهج تصميم البحوث ووسائل جمع المادة، والاستعانة بمفاهيم العلوم (مثل علم الأحياء، والتغذية، والطب والسكان، والعلوم الزراعية)، وذلك بقصد تشكيل تصور عن أنماط التفاعل بين البيئة والكائنات الحية. نتيجة ذلك أصبح هذا الاتجاه مشابهاً لنظرية التطور الحيوي الذي قد يفسر عمليَّة التكيف ولكنه يعجز عن التنبؤ أو تحديد منشأ التغير أو أسبابه. (النور، شلابي، 2002، د ص).

ومنه يركز هذا الاتجاه على العلاقة التفاعلية بين الإنسان وبيئته الطبيعية، وكيف تُشكِّل البيئة أسلوب المعيشة والتنظيم الاجتماعي والثقافة، كما يرى أن الثقافة تتطور استجابةً للظروف البيئية، لكن دون حتمية مطلقة، بل عبر تفاعل متبادل. ويدرس "النظم البيئية الثقافية" أي كيف يتكيف الإنسان ثقافيًا مع محيطه البيئي.

مثال: كيف تُشكِّل البيئة الصحراوية أنماط السكن، والتنقل، والتنظيم القبلي عند المجتمعات البدوية.

من أبرز ممثلي هذا **الاتجاه جوليان ستيوارد (Julian Steward)** أنثروبولوجي أمريكي (1902–1972)، يُعد المؤسس الفعلي للاتجاه الإيكولوجي الثقافي في الأنثروبولوجيا المعاصرة، عمل على الربط بين الثقافة والبيئة، محاولًا تجاوز الحتمية البيئية والانتشارية.

من أهم إسهاماته في الاتجاه الإيكولوجي الثقافي:

- **تأسيس مفهوم الإيكولوجيا الثقافية(Cultural Ecology)** : طرح هذا المفهوم في الأربعينيات، وشرح تفاصيله في كتابه الشهير "Theory of Culture Change: The Methodology of Multilinear Evolution" :(1955)

أراد من خلاله فهم الكيفية التي تتكيف بها الثقافات البشرية مع بيئاتها الطبيعية، وركز على التفاعل المتبادل بين الإنسان وبيئته، لا على تأثير البيئة وحدها (أي رفض الحتمية البيئية المطلقة).

- **تطوير منهج التحليل الإيكولوجي الثقافي:** وضع منهجًا من ثلاث خطوات لتحليل العلاقة بين الثقافة والبيئة:

✓ تحديد العلاقة بين البيئة الطبيعية والتقنيات المستخدمة للاستغلال البيئي (كالزراعة، الصيد، الرعي...).

✓ دراسة أنماط السلوك الاقتصادي والاجتماعي المرتبطة بهذه التقنيات.

✓ تحليل كيف تُؤثر هذه الأنماط في تنظيم المجتمع (كالقرابة، والسلطة، والدين...).

أي أن الثقافة تتشكل وفق وسائل التكيف مع البيئة.

- **تطوير نظرية "التطور المتعدد الخطوط (Multilinear Evolution)** ": رفض فكرة التطور الأحادي الخط (من البسيط إلى المعقد كما في المراحل الكلاسيكية)، واقترح أن كل ثقافة تسلك خط تطور خاص بها تبعًا لظروفها البيئية والاقتصادية، هذا المفهوم سمح بفهم تنوع الثقافات بدل الحكم عليها بمقياس واحد.

- **دراساته الميدانية:** أجرى بحوثًا ميدانية في أمريكا اللاتينية وجنوب غرب الولايات المتحدة، ودرس العلاقة بين السكان الأصليين وبيئتهم الجافة وشبه الجافة. كما أظهر كيف أن الظروف البيئية تفسر أنماط التنظيم الاجتماعي، مثل التعاون الجماعي في الري والزراعة.
- **التأثير في المدارس اللاحقة:** فتح الطريق أمام اتجاهات لاحقة مثل: المادية الثقافية (مارفن هاريس)؛ الإيكولوجيا البشرية والنظم البيئية الثقافية (روبرت نيتل، وأندرو فيدا)؛ أسهم في إدخال المفاهيم الإيكولوجية إلى الدراسات الاجتماعية والأنثروبولوجية الحديثة.

ومنه خلاصة فكر ستيوارد تتمثل في أن الثقافة ليست مجرد أفكار أو رموز، بل استجابة تكيفية للإنسان مع بيئته الطبيعية من خلال التنظيم الاقتصادي والاجتماعي.

من خلال ما سبق نجد أن الاتجاه الإيكولوجي الثقافي يعتبر الأساس أو المقدمة التي انطلق منها لاحقًا الاتجاه المادي الثقافي، كما أن الاثنان يشتركان في تركيزهما على العوامل المادية والبيئية بدلًا من الرموز أو المعاني أو الأفكار فقط، لكن الإيكولوجي يركز أكثر على التكيف مع البيئة. والمادي الثقافي يركز على الاقتصاد والإنتاج والبنية التحتية كعوامل حاسمة في تشكيل الثقافة.

4. النظرية المعرفية (Cognitive Theory):

تعد النظرية المعرفية من الاتجاهات الحديثة في الأنثروبولوجيا، وقد جاءت كردّ فعل على الاتجاهات المادية التي ركّزت على العوامل الاقتصادية والبيئية في تفسير الثقافة. إذ ترى هذه النظرية أنّ الثقافة ليست مجرد نظام من العادات المادية أو السلوكيات الظاهرة، بل هي نظام معرفي رمزي يُعبّر عن الطريقة التي يُدرك بها الإنسان العالم ويفهم من خلالها تجربته الاجتماعية. تهتم النظرية المعرفية بدراسة الأنماط الذهنية والبنى المعرفية التي يستخدمها الأفراد لتصنيف الأشياء والأفكار، كما تبحث في العلاقة بين اللغة والفكر، انطلاقًا من فرضية سابير–وورف التي تؤكد أن اللغة تُشكِّل الإدراك وتوجّه التفكير. (Goodenough, 1971, p. 23)

وقد ساهم **كلود ليفي–شتراوس (Claude Lévi–Strauss)** في بلورة هذا الاتجاه من خلال تحليله للأساطير والرموز باعتبارها تعبيرات عن بنى عقلية مشتركة بين جميع البشر، حيث يرى أنّ وراء التنوع الثقافي الظاهر توجد قوانين فكرية عامة تحكم العقل الإنساني. (Lévi–Strauss, 1966, pp. 1–10)

كما قدم **وارد غودناف (Ward Goodenough)** تصورًا للثقافة بوصفها "ما يجب على الإنسان أن يعرفه أو يعتقده ليعمل بطريقة مقبولة داخل مجتمعه"، أي باعتبارها **معرفة اجتماعية مكتسبة** تُوجّه السلوك وتُشكِّل التصورات. (Keesing, 1976, p. 85)

إن جوهر النظرية المعرفية يتمثّل في **فهم الثقافة بوصفها نسقًا من المعاني والمعرفة المشتركة**، تسعى إلى الكشف عن الطريقة التي يُنظّم بها الإنسان معرفته عن العالم من خلال اللغة والرموز، مما يجعلها تُركّز على **البعد الذهني للثقافة** أكثر من البعد المادي أو البيئي.(Haviland, 2013, p. 51)

5. الأنثروبولوجيا الرمزية (Symbolic Anthropology) :

ظهرت الأنثروبولوجيا الرمزية في السّتينات والسّبعينات من القرن الماضي، تدرس الرّموز الثّقافية وكيفية استخدامها لفهم المجتمعات المختلفة. تعتمد هذه المدرسة على مفهوم الوصف العميق الذي قدّمه كليفورد غيرتز، والذي يشير الى ضرورة فهم السياقات الثقافية التي تنشأ فيها الرموز.

تعتبر الانثروبولوجيا الرمزية فرعا مهما من الفروع الأنثروبولوجيا، حيث تركز على دراسة الرموز الثّقافية ودلالتها في السياقات الاجتماعية المختلفة. إذ يُعدّ إدراك الانسان الرّموز واستخدامها أحد الخصائص المميزة له، مما جعل الأنتروبولوجيين يولون اهتمامًا بالغا بدراسة جانب الرّمزي في العلاقات الاجتماعية والثّقافية. فالرّموز كما وصفها إليزلي وايت، تمثل " مجال الإنسانية (Universe of Humanity) " وبينما قد يتضمن السلوك الإنساني جوانب غير رمزية، إلا أن القدرة على توظيف الرموز والتّعامل معها تظل من السّمات الفريدة للإنسان مقارنة بالمخلوقات الأخرى. وقد شغل هذا الموضوع اهتمام الأنتروبولوجيين وفلاسفة المفكرين والفنانين، حيث أشار إمرسون في مقاله" الشاعر (The Poet) " إلى عمومية اللّغة الرّمزية، معتبرا أن" الطبيعة ذاتها عبارة عن رمز، وأننا في أنفسنا رموز تسكن بين الرموز". (عميرات محمد أمين، جمال الدين بابا، 2025، ص78)

انطلقت الأنثروبولوجيا الرمزية من فكرة جوهرية وهي فهم المجتمع وثقافته من خلال دراسة الرموز أو الأنساق الرمزية والكشف عن المعاني التي تحملها تلك الرموز. وقد اهتم بعض الأنتروبولوجيين بالتحليل البنائي الصوري للأنساق الرمزية، بينما اهتم البعض الآخر بالدراسة الاثنوجرافية المكثفة لتحقيق التأويل الرمزي للمعطيات الرمزية، في حين نجد البعض يهتم بالتحليل اللغوي أو التحليل النفسي. ومن ناحية اخرى يوجد المدخل التاريخي الذي يهتم بالبعد الزمني والدينامي للرموز. وهذه المداخل المتعددة والمتنوعة تمتد جذورها إلى الأصول فلسفية مختلفة، لكنها تعتمد على الدراسة الاثنوجرافية الميدانية المميزة للأنثروبولوجيا. (السيد حافظ الأسود، 2002، ص30)

لقد كان لكل من بيرس Peirce وسوسير Saussure تأثير كبير في النمو وتطور الأنثروبولوجيا الرمزية. ويمكن التمييز بين التأثيرات التي تركها علم الاشارة عند سوسير وعلم الدلالة عند بيرس على أساس ان الأنتروبولوجيين الذين تأثروا بسوسير يهتمون بوصف وتحليل انساق الرموز الثقافية، مثل الطوطمية والأسطورة والشعائر والطقوس والقرابة، على أنها أنساق معرفية يمكن تجريدها من مضمونها الاثنوجرافي او من العلاقات الاجتماعية والفعل الاجتماعي أو الشعور الفردي. بينما الأنثروبولوجيون الذين يعملون في مجال الدلالة والمتأثرين بآراء بيرس يدرسون نفس الأنساق الرمزية، لكنهم يفضلون أن يؤسسوا هذه الرموز في مضمونها الاثنوجرافي ومن

واقع العلاقات الاجتماعية والشخصية المتداخلة، وكذلك العواطف والمشاعر الشخصية المرتبطة بها. ويتفق كثير من الأنتروبولوجيين على أن هناك ارتباطا بين الدلالة والمدلول أو المعنى ودراسة الإثنوغرافية، حيث يلعب التأويل الذي يقدمه الافراد أو الاشخاص الذين ينتمون الى المجتمع معين دورًا هامًا في التحليل الرمزي. فليست الحياة الاجتماعية فقط هي التي يتحقق فيها المعنى أو يمكن استخلاص ذلك المعنى منها، بل إن ظروفا ومواقف خاصة بالعمل الاثنوجرافي ذاته تتضمن دور الهام الذي يلعبه المؤولون الذين ينتمون إلى المجتمع موضوع الدراسة. (السيد حافظ الأسود، 2002، ص38)

من خلال ما سبق، نجد أن الأنثروبولوجيا الرمزية هي اتجاه يركّز على دراسة الرموز والمعاني الثقافية التي يستخدمها الإنسان للتعبير عن واقعه الاجتماعي والروحي. فهي ترى أن الثقافة ليست مجرد عادات وسلوكيات، بل هي نظام من الرموز التي تمنح الأفعال والممارسات معناها داخل المجتمع، أي أن الإنسان لا يعيش فقط في عالم مادي، بل في عالم من الرموز والمعاني.

ما تركز عليه الأنثروبولوجيا الرمزية:

- **تحليل الرموز والمعاني الثقافية:** تركز على فهم المعنى الذي تمنحه الجماعة لرموزها وطقوسها وممارساتها. والرموز قد تكون دينية (كالصلوات)، أو اجتماعية (كاللباس)، أو لغوية (كالأمثال)، أو مادية (كالأعلام أو الألوان). مثال: طقس الحج، أو حفلات الزواج، أو الأعياد، تُفهم من خلال معانيها الرمزية وليس فقط من سلوكها الظاهري.
- **الثقافة بوصفها نصًا يجب تأويله:** يرى كليفورد غيرتز (Clifford Geertz) ، أحد أبرز رواد هذا الاتجاه، أن الثقافة تشبه النص الأدبي الذي يحتاج إلى تفسير وتأويل لفهم معانيه العميقة.

كما أن استخدم مفهوم "الوصف الكثيف (Thick Description) "لبيان أن على الأنثروبولوجي أن يفسّر ما وراء الفعل الظاهر ليكشف المغزى الرمزي والاجتماعي الكامن فيه. كمثال على ذلك: إيماءة غمز العين ليست مجرد حركة عضلة، بل رسالة اجتماعية ذات معنى.

- **الرمز بوصفه وسيلة لفهم النظام الثقافي:** الرموز تشكّل مفاتيح لفهم البنية الفكرية للمجتمع. من خلالها يمكن فهم القيم، والمعتقدات، وأنماط التفكير الجماعية.
- **التركيز على التأويل أكثر من التفسير المادي:** بخلاف المادية الثقافية التي تفسر الظواهر بالعوامل الاقتصادية أو البيئية، فإن الأنثروبولوجيا الرمزية تهتم بالمعاني التي يعطيها الناس لأفعالهم.

أبرز رواد الاتجاه الرمزي:

- **كليفورد غيرتز (Clifford Geertz)** رائد الأنثروبولوجيا الرمزية، ركز على تفسير الرموز والمعاني في الثقافات المحلية.

- **فيكتور تيرنر (Victor Turner)** درس الطقوس والرموز الدينية، وبيّن دورها في تعزيز التماسك الاجتماعي.
- **ماري دوغلاس (Mary Douglas)** حللت الرموز المتعلقة بالنقاء والنجاسة في الثقافات المختلفة، وربطتها بالنظام الاجتماعي.

المحـــور العاشر

الدراسات الأنثروبولوجية في الجزائر قبل الاستقلال

1. العلاقة بين الانثروبولوجيا وقوى الاستعمار الغربي:

شكل انتشار معاهد الأنثروبولوجيا وأقسامها الجامعية في مناطق مختلفة من العالم خلال القرن العشرين، وظهور عدد متزايد من العلماء غير الغربيين في هذا المجال، تطورًا مهمًا في مسار الأنثروبولوجيا. غير أنّ هذا الحقل العلمي لا يزال يعاني من ضعف الإقبال الأكاديمي في العديد من المجتمعات، بسبب الصورة السلبية المرتبطة به لدى عدد من المتخصصين في العلوم الإنسانية والاجتماعية، الذين يرون في الأنثروبولوجيا امتدادًا للخطاب الاستعماري الغربي. بل إن بعض الباحثين ذهب إلى حدّ وصفها بـ"العلم الاستعماري"، بالنظر إلى توظيفها التاريخي في خدمة المشاريع الإمبريالية.

ينطلق هذا الموقف الرافض للأنثروبولوجيا من منطلق مشابه لرفض الاستشراق، باعتبار أن كليهما أسهما في إنتاج خطابٍ يُقزِّم "الآخر" ويبرّر الهيمنة عليه. فقد استغل المستعمِر الغربي المعرفة التي أنتجها كلّ من الاستشراق والأنثروبولوجيا عن الشعوب غير الأوروبية لترسيخ سلطته وسيطرته. ومن هذا المنظور، وُضعت الأنثروبولوجيا والاستشراق في خانة واحدة، وتعرّضا للموقف النقدي ذاته، بوصفهما خطابين تأسّسا على "صمت الآخر" وإقصائه من إنتاج المعرفة عن ذاته. وكأنّ الحلّ الأمثل، في نظر بعض النقّاد، هو إسكات الأنثروبولوجيا نفسها بدل تمكين "الآخر" من أن يتحدث عن ذاته وينتج معرفةً جديدةً متحرّرة من هيمنة الاستشراق والاستعمار والمركزية الحضارية.

ومع أن الربط بين الأنثروبولوجيا والاستعمار أو الاستشراق له ما يبرّره تاريخيًا، إذ لا يمكن إنكار أن الاستعمار قد ساهم في بلورة موضوع الأنثروبولوجيا لخدمة أغراضه في السيطرة على الشعوب، وأتاح في الوقت نفسه للغرب اكتشاف ثقافاتٍ وشعوبٍ أخرى، فإنّ هذا الارتباط لا يلغي تطوّر الأنثروبولوجيا لاحقًا. فقد تجاوزت الدراسات الأنثروبولوجية الحديثة حدود الاستشراق، ولم تعد تقتصر على دراسة "الشرق" أو "الآخر" غير الغربي. كما أنّ كثيرًا من علماء الأنثروبولوجيا في القرن العشرين واجهوا النزعة المتمركزة حول الغرب، وسعوا إلى بناء مقاربات جديدة لفهم الإنسان والثقافة بعيدًا عن المنظور الاستعماري. (رباب رسلان وآخرون، 2023، ص14–15)

وعليه، فإن وصف الأنثروبولوجيا بأنها "علم استعماري" يُعدّ تبسيطًا مخلًّا، لأنه يحصرها في الممارسة الغربية فقط، في حين أن التفكير الأنثروبولوجي – بمعناه الواسع – كان موجودًا قبل ظهور هذا العلم في الغرب، وبرز في الحضارات الأخرى، بما في ذلك عند العرب والمسلمين، الذين مارسوا أشكالًا من الفهم المقارن للثقافات والأنماط الاجتماعية.

ارتبط تطوّر الأنثروبولوجيا منذ نشأتها الأولى بالعمل الميداني الذي شكّل ركيزة أساسية لفهم المجتمعات الإنسانية في تنوعها الثقافي والاجتماعي. غير أن هذا الجانب الميداني لم يكن بمعزل عن السياقات التاريخية

والسياسية التي أحاطت به، إذ تداخلت فيه الدوافع العلمية مع الأهداف الاستعمارية، فغدت المعرفة الأنثروبولوجية أحيانًا أداة لفهم الآخر وأحيانًا وسيلة للسيطرة عليه.

"فالأنثروبولوجيا في جانبها الميداني أو التطبيقي تُعدّ فرعًا من فروع الإتنولوجيا، إذ تهتم بتطبيق المعارف والنظريات والأساليب المنهجية التي طوّرها الباحثون الأنثروبولوجيون على مجتمعات محدّدة، ولا سيّما تلك التي تُوصَف بأنها بدائية أو بسيطة من حيث التنظيم الاجتماعي والثقافي. وقد ارتبط هذا الجانب الميداني تاريخيًا بالاحتكاك المباشر بين الإنسان "المتحضّر" والشعوب المحلية، سواء من خلال البحث العلمي أو عبر أشكال السيطرة الخارجية، كالاستعمار والاحتلال.

ومن هذا المنطلق، لوحظ أن الدراسات الأنثروبولوجية الميدانية قد شهدت نشاطًا واسعًا وازدهارًا ملحوظًا عقب الحرب العالمية الثانية، حيث سارعت الدول الاستعمارية الكبرى، ولا سيّما الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا وفرنسا، إلى تشجيع هذا النوع من الدراسات في المستعمرات والمناطق التابعة لها. كان الهدف المعلن هو فهم النظم الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية السائدة لدى الشعوب الخاضعة للاستعمار، بما يشمل عاداتها وتقاليدها وطقوسها الدينية وأعرافها في التعامل اليومي.

إلا أن هذا الاهتمام لم يكن بريئًا أو خالصًا للدافع العلمي، إذ كان يُراد من خلاله توفير قاعدة معرفية دقيقة تساعد الإدارات الاستعمارية على إحكام سيطرتها على تلك الشعوب، وضبط شؤونها الداخلية بما يخدم مصالح القوى الاستعمارية. فالمعرفة الأنثروبولوجية هنا تحوّلت إلى أداة وظيفية مكّنت المستعمِر من إدارة الحكم المحلي بفعالية أكبر، واستغلال الموارد الاقتصادية والبشرية للمستعمرات تحت غطاء "التنمية" و"التحديث" و"نشر الحضارة." (الشماس، 2004، ص166-167)

2. الأنثربولوجيا في الجزائر قبل الاستقلال:

استعانت الإدارة الاستعمارية بالمعرفة التاريخية لمنطقة شمال إفريقيا عامة. وقد كلفها ذلك عدة سنوات قبل هذا التاريخ المذكور لجمع المعلومات اللازمة لتحقيق أهدافها. وما يؤكد على أن التاريخ كمادة معرفية وكأخبار عن الأمم السابقة كانت له أسبقية على الأنثروبولوجيا بالنسبة للاستعمار الغربي، هو وجود كثير من الوثائق والمخطوطات التي تصنف منطقة البربر ومنطقة إفريقيا الشمالية التي تتحدث عن المماليك البربرية ومماليك فاس والجزائر وغيرها. كل هذه الوثائق والمعلومات كانت معطيات التاريخية كانت من اجتهاد الكثير من المعاصرين والمسافرين والقنصليين المتوجهين الى الضفة الجنوبية للبحر الأبيض المتوسط وتحديدا الى شمال إفريقيا. ان هذه الشهادات والوثائق والمخطوطات التاريخية تدل على مدى أهمية المعرفة التاريخية لدى المستعمر التي بحث عنها العسكريون الفرنسيون لتعزيز وجودهم في الجزائر. ومن خلال هذه المعرفة تمكنت الدراسات الكولونيالية ذات الطابع التاريخي والاثنوغرافي للجزائر من الظهور والتطور. اذ مهما كانت هذه الدراسات تتميز بالوصف الاثنوغرافي

للبعد الانتروبولوجي الاستعماري فهي قبل كل شيء كانت تتميز بالطابع التاريخي للمنطقة. وقد أخذت الدراسات التاريخو- انتروبولوجية على الجزائر، ثلاث أصناف. تميز كل صنف عن الآخر حسب التطور المرحلي والاستراتيجي الذي اعتمد عليه المستعمر.

- **الصنف الأول: دراسات استكشافية قبل الاحتلال** التي اعتمد فيها المستعمر على الدراسات التاريخية للمنطقة ليأخذ صورة أولية عما يهمه، خاصة تضاريس البلاد، مناخها وجبالها ووديانها وحث مسالكها المختلفة نذكر في هذا الصدد دراسات كل من بايسنال Peyssonnel (1725) وشاو Shaw (1720-1752).
- **الصنف الثاني: الدراسات العسكرية إبان الاحتلال** وتميزت بالطابع العسكري وكمثال نذكر تلك التي أقيمت على منطقة ترارة بتلمسان، من طرف ضباط نواكس Noix وقينار Guinard، وبواتل Boitel الذين ركزوا على المعرفة المعمقة للمنطقة من كل الجوانب. ولعل أشهر الدراسات التي كانت في منطقة القبائل **تيزي وزو** التي أنجزها كل من Hanoteau وكذلك Letoumeux تحت عنوان" **منطقة القبائل وأعرافها**" التي صدرت عام 1893.
- **الصنف الثالث: دراسات الكولونيالية الأكاديمية**، نستطيع ان نشير في هذا المحور الى الدراسة Emile Masqueray وهو أحد الجامعيين الذين اهتموا بالإشكالية الاستعمارية من الزاوية العلمية. (بوحسون العربي، 2010، ص165-166)

لقد سُخِّرت الأنثروبولوجيا من طرف المستعمر لاحتلال الشعوب بواسطة استغلال المعلومات المجمعة عن الأهالي التي سمحت لهم بنهب خيراتهم الاقتصادية وسلبهم مقوّماتهم الثقافية، وذلك باستخدام وسائل متنوّعة والتجهيل والافقار، والقهر والإكراه والعنف وحتى القتل، وهذا ما حدث للشعب الجزائري من الفترة الممتدة ما بين 1945 الى 1954 عندما أقدمت فرنسا على تجريد المواطنين من ممتلكاتهم وتهجيرهم إلى الجبال. حاول دو توكوفيل الربط بين السياسة الاستعمارية والمعرفة حول الجزائر من خلال تحليل إحدى المراسلات الاستعماريّة التي تطرقت إلى دراسة العادات والتقاليد والأعراف السائدة لدى الجزائريين، وكان مضمونها " لم تكن لنا أي أفكار واضحة عن مختلف القوميّات تسكن المنطقة ونواميسها الاجتماعيّة، وقد كنّا نجهل أبسط المعاني لأي كلمة من اللغة التي يتحدّثونها، وحتى الجغرافية البلد نفسه، وموارده، ومجاريه المائية، فعندما نتمكّن من اللغة ومعرفه الخلفيّات والممارسات الاجتماعية للعرب نستطيع حينئذ السيطرة والهيمنة التي يكنّها هؤلاء الرجال للحكم السابق (أي الحكم التركي)، عندئذ يصبح المجال متاحا لنا لممارسة أساليبنا في الحكم، ومن ثمّ فرنسة البلاد وإخضاعها". (رباب رسلان وآخرون، 2023، ص45-46)

فالاهتمام بالبحث العلمي، والاستشراق جزء منه، كان ما يزال في مرحلته الأولى، فقد شمل تقريبا مختلف الميادين، ولكن أعمال المستشرقين كان يتميز بميزتين، الأولى كونها استكشافية لمعرفة المجتمع الجزائري ومصادره ولهجاته وعقائده وعلاقاته وتاريخه. وثانية قلة المستشرقين المحترفين والاعتماد على المستشرقين المترجمين. وكان معظم هؤلاء من العسكريين الذين يؤدون مهمات عسكرية وإدارية أكثر مما كانوا يؤلفون ويبحثون. (أبو القاسم سعد الله، 1998، ص49)

فالأعمال كانت تقوم في البداية على جهود العسكريين بالدرجة الأولى، تعتمد الترجمة أكثر من التأليف، كما نلاحظ أن بعض الاعمال كانت مليئة بالحقد على العرب والمسلمين مثل تأليف **كاريت** التي تكاد تخلو من الروح العلمية. ومن الشواهد الذي اقر بارتباط البحث العلمي الى جانب الاحتلال هو ما ذهب إليه غوستاف ميرسييه الذي ربط بين الاحتلال العسكري للجزائر والاحتلال العلمي فقال:"ان البحث العلمي صار جنبا الى جنب مع الاحتلال (العسكري)، وان"الاحتلال العلمي قد سار الى جنب تلقيح الارض".

كانت هناك كثير من الجمعيات العلمية التي كانت تحت تأثير واشراف العسكريين الذين كانوا في الميدان، فقد تعددت وقدمت خدمات كبيرة للبحث رغم انتمائها للإدارة الاستعمارية وأهدافها المصادرة لتطور الطبيعي للشعب الجزائري، كانت الجمعيات ضيقة الأفق منطلقة من وجهة نظر عنصرية أحيانا، اذ كانت تقوم على البحوث العرقية والأنثروبولوجية والنظريات التي تدعو الى التفوق الحضاري الفرنسي والإنسان الأبيض على العموم. (أبو القاسم سعد الله، 1998، ص87-89) ومع ذلك يعتبر ما نشرته هذه الجمعيات في مجالاتها ثروة كبيرة للبحث والمعرفة بصفة عامة. ونحن نجد بعض الجزائريين الأعضاء في الجمعيات كانوا يقدمون نتائج بحوثهم ايضا الى العلماء الفرنسيين خدمة للاستعمار.

وقبل أن تظهر هذه الجمعيات ظهرت في فرنسا جمعيات خصصت اهتمامًا كبيراً للاحتلال الفرنسي في الجزائر، ومن ذلك الجمعية الأسيوية والجمعية الشرقية الجمعية الجغرافية. فكل جمعية من هذه الجمعيات أصدرت مجلة وفتحت أعمدتها لكتاب الفرنسيين حلوا بالجزائر أو جعلوا همهم الربط بين ما يجري فيها وما يجري في العالم الإسلامي على العموم. وكانت حركة الاستشراق الفرنسي يومئذ آخذة في النمو. فصادف احتلال الجزائر اهتماما خاصا بالشؤون الشرق والإسلام. لقد سبق القول إن الجمعية الآسيوية قد تأسست في باريس سنة 1822 وان رئيسها كان **دي ساسي** المتوفى سنة 1838. وقد شارك في المجلة الآسيوية عدد غير قليل من المستشرقين الفرنسيين الذين استقروا بالجزائر، منهم بنجامين فانسان، وشيربونو. أما الجمعية الشرقية فقد تأسست في باريس سنة 1841 وأثرت مجلة الشرق. وجاء في قانونها الأساسي انها تنسيق بين الأعضاء المعهد الفرنسي والقناصل والرحالة، وأنها تهتم بكل ما يهم حاضر ومستقبل بلدان الشرق. وتقول الفقرة القانونية صراحة"يجب أن نبذل جهدنا للهيمنة عليها (أي بلدان الشرق) لصالح الحضارة- وكذلك الجزائر-، هذه الأرض الأفريقية الواسعة التي كانت

من قبل متوحشة (باربار Barbare) ومتمردة. وها هي اليوم تفتخر بقوانيننا وفنوننا وعاداتنا وصناعتنا، وهي تحث الخطى تحث الخطى نحو التقدم". (أبو القاسم سعد الله، 1998، ص91)

ولقد تعددت الجمعيات العلمية والتي منها جمعية وهران بمبادرة أحد العسكريين كذلك كانت الجمعية الجغرافية لمدينة الجزائر. إذ يرجع الفضل في إنشائها سنه 1896 إلى العقيد بولينياك. وقد أنشأت هي أيضا مجلة ضمت بحوثا مختلفة المستوى، واهتمت بالصحراء وافريقيا وبالجزائر. وكتب فيها العسكريون بالدرجة الأولى عدة مونوغرافات عن تجاربهم في البلديات والبعثات العلمية. وكان من كتابها بعض المدنيين أيضا أمثال جوزيف ديبارمي الذي اختص بالأنثروبولوجيا في منطقة متيجة وتطور الحركة الوطنية والنفسية الجزائرية من خلال النصوص الشعبية والفولكلور. كما أن هناك جمعيات اقل شهرة، نذكر منها جمعية الأثرية والسياحية لسوق اهراس، وجمعية الأثرية لمنطقة سطيف، وجمعية أصدقاء تلمسان القديمة بقيادة المستشرق ألفريد بيل. وفي 1909 ظهرت في العاصمة جمعية التاريخ الطبيعي للقطر الجزائري، ثم الجمعية الفرنسية للفيزياء– فرع الجزائر العاصمة.وبعد تكاثر الجمعيات توزع جهود الباحثين من خلالها، ظهرت فكرة جديدة لجمع الشمل والتعاون والتبادل الخبرات، وذلك بإنشاء اتحادية لهذه الجمعيات، سميت (فيدرالية الجمعيات العلمية لشمال افريقية). وواضح أن هذه العنوان لا يقتصر على الجمعيات العلمية في الجزائر، ولكن يضم جمعيات علمية فرنسية على مستوى تونس والمغرب الأقصى أيضا. فالتنسيق بين الجمعيات المذكورة كان ضروريا لخدمة أهداف الاستعمار القريبة والبعيدة في منطقه المغرب العربي كلها. (أبو القاسم سعد الله، 1998، ص97–98)

ومهد دي فوكو للسياسة البربرية الفرنسية، وتمزيق السكان وبإعلانه ان البربر أقرب الى الفرنسيين من العرب، وأنهم مستعدون في نظره لتقبّل الروح اللاتينية التي انتموا اليها في العصور الغابرة، وأنهم إذا دخلوا المسيحية فسيتبعهم العرب مكرهين لا محالة. وقد سار ماريشال ليوتي في المغرب والآباء البيض في الجزائر على خط دي فوكو. فقد كان هدفه فصل البربر عن العرب والمساس بالشريعة الإسلامية بتحكيم الأعراف والعادات في البربر. (أبو القاسم سعد الله، 1998، ص136)

أجريت العديد من الدراسات والأعمال خلال المرحلة الاستعمارية، وكانت الجزائر مجتمعا ومؤسسات رسمية وغير رسمية موضوعا بحثيا مباشرا، حيث عمل العديد من المتخصصين في العلوم الإنسانية بالخصوص على دراسة المجتمع الجزائري والتنقيب في بني بنياته الاجتماعية والثقافية والاقتصادية وحتى الدينية في محاولة منهم لفهم الميكانيزمات التي تتحكم في البنى المجتمعية، وكان الغرض من هذه الدراسات إمّا خدمة الأيديولوجيا الكلونيالية أو تأسيس أبحاث علمية متخصصة حول المجتمع الجزائري لعل أبرزها كتابات ايميل ماسكراي، كورنيلتريملي، بيير وغيرهم... فقد عزم الفرنسيون منذ بداية الاحتلال على توظيف دراسات السوسيولوجية والأنثروبولوجية والتأريخية للهيمنة على المجتمع الجزائري وتفكيك خصوصياته، والتأثير على مكوناته الهوياتية موظّفا المنتجات الفكرية الميدانية للكم

الهائل من هذه الدراسات، لتؤسس فيما بعد لسوسيولوجيا كولنيالية، درست مجتمعا عاش مرحلة تاريخية صعبة جدا، افتقد فيها لسلطته السياسية والعسكرية. وتم استبدال نظام الإدارة والتسيير بنظام استعماري حرم الفرد من الملكية أراضيه وثرواته، وأدى الى في نهاية الأمر الى فعل مقاوماتي مختلف الأشكال استدعى ضرورة تركيز المستعمر على تدميره وتفكيكه كل عناصر الداعمة لهذا الفعل، وهو ما عملت عليه الدراسات الاجتماعية المختلفة للكثير من الباحثين الفرنسيين، ساهمت من شنّ محاولات تفكيكية استعمارية للرابط الاجتماعي القوي في المجتمعات المحلية الجزائرية من خلال بعض الممارسات منها استبدال الأسماء العربية الثلاثية بألقاب مشينة تهدف الى قطع الروابط القبلية، ومن ثم إضعاف الرابط الديني بالتضييق على الإسلام السني وتشجيع التصوف وبناء المزارات والترويج الأفكار القدرية التي تجعل من فعل المقاومة حرام وأن الفرد الذي يقاوم الاستعمار يكون حكمه مثل حكم المنتحر، والترويج الخطاب القدري كاعتبار الاستعمار قضاء وقدر، وبذلك حمل الخطاب الرسمي الفرنسي مفهوم إسلام الجزائر، ذلك الإسلام الذي يُمكّن للاستعمار، ناهيك عن تكوين نخب من الجزائريين متشبع بالثقافة الفرنسية ومدافعة عنها بقوة...(نورة قنيفة، جمال تالي، 2023، ص510)

ومن أشهر الأبحاث الانثروبولوجيا حول الجزائر:

- دراسات **Germaine Tillion** التي استقرت في الأوراس لأربع سنوات وأسست لنظرة جديدة للإثنولوجيا الاستعمارية ومن أشهر أعمالها (الحريم وأبناء العمومة).
- دراسات **Jacques Berque** الذي يعتبر من الوجوه البارزة في الحقل الدراسات المغاربية قام بعدة أبحاث حول المنهج القانوني المغاربي وقانون الأعراف والعلاقة بين العادات البربرية والعادات الإسلامية، ومن أشهر مؤلفاته (البناءات الاجتماعية في أعالي الأطلس).
- دراسات **بيار بورديو Pierre Bourdieu** الذي استقر بالجزائر في إطار تأديته للخدمة العسكرية وبها درس في كلية الآداب، ومن أشهر مؤلفاته (سوسيولوجيا الجزائر) و(أزمة الزراعة التقليدية في الجزائر).

3. الأنثروبولوجيا بعد الاستقلال الجزائر:

بعد نيل الجزائر استقلالها سنة 1962، شهدت الساحة الأكاديمية والعلمية تحولات عميقة مست مختلف مجالات المعرفة، وكان من بينها علم الأنثروبولوجيا الذي ارتبط في الوعي العام بالممارسات الاستعمارية الفرنسية. فقد وجدت الأنثروبولوجيا نفسها أمام مرحلة جديدة، اتسمت بإعادة النظر في مكانتها ووظيفتها داخل المجتمع الجزائري المستقل، وما إذا كان بالإمكان فصلها عن إرثها الاستعماري وتوظيفها لخدمة قضايا التنمية الوطنية وفهم البنية الاجتماعية والثقافية للمجتمع الجزائري.

"ومن هذا المنطلق، رسخ في ذهن أصحاب القرار السياسي بعد مرحلة الاستقلال عدم تدريس الأنثروبولوجيا في الجامعات الجزائرية باعتبارها "علماً استعمارياً"، وأن الأنثروبولوجيين الفرنسيين الذين رافقوا الحملة الاستعمارية ساهموا بإسهاماتهم المعرفية في خدمة أهداف الاحتلال واستمراره. ولهذا رأت الحكومة الجزائرية آنذاك ضرورة إقصاء الأنثروبولوجيا من النشاط الأكاديمي والاجتماعي، وعدم الاعتراف بها كحقل علمي مستقل. وقد أدى هذا الموقف الرسمي إلى حصر تدريسها في بعض أقسام البيولوجيا والإثنولوجيا فقط، دون أن تحظى بمكانة واضحة في منظومة التعليم العالي" .(محمد سعيدي، 2015، ص3)

واستمر هذا الوضع إلى غاية نهاية الثمانينيات، حين بدأت تظهر أسماء فكرية وأكاديمية جزائرية من أبرزهم **محمد أركون، عبد القادر جغلول، ناصر الدين سعيدوني، عبد الحميد بورايو** وغيرهم أعادت النظر في هذا الموقف، وسعت إلى إعادة الاعتبار للأنثروبولوجيا كعلم يسهم في تحليل الواقع الاجتماعي والثقافي للمجتمع الجزائري، بعيدًا عن المنظور الاستعماري. ظهرت أسماء أكاديمية جزائرية.

فشهدت هذه المرحلة تحوّلًا نوعيًا في المقاربة، إذ أُعيد تعريف الأنثروبولوجيا باعتبارها مدخلًا علميًا لفهم البنية الحضارية والاجتماعية للإنسان الجزائري في إطار وطني موضوعي.

"وفي هذا السياق، بدأت الجامعة الجزائرية تُدرّس هذا التخصص في الثمانينيات، حيث فُتح أول قسم يُعنى بـ "الثقافة الشعبية" بجامعة وهران سنة 1984، وتأسست لاحقًا مراكز بحث علمي متخصصة كان لها دور بارز في إحياء هذا الحقل المعرفي، من أبرزها **مركز البحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية (CRASC)** بوهران، و**المركز الوطني للبحث في عصور ما قبل التاريخ والأنثروبولوجيا والتاريخ (CNRPAH)** بالجزائر العاصمة. وقد ساهمت هذه المؤسسات في تحويل الأنثروبولوجيا من علم مشكوك في خلفيته إلى مجال أكاديمي وطني يخدم البحث العلمي والتنمية الثقافية والاجتماعية" . (محمد سعيدي، 2015، ص3)

ومع مطلع التسعينيات، اتسع نطاق الاهتمام الأنثروبولوجي في الجزائر ليشمل موضوعات معاصرة مثل التحولات الاجتماعية في المدن، والطقوس والعادات الشعبية، والهوية الثقافية، والأنثروبولوجيا الدينية، وأنثروبولوجيا الاتصال، والتحولات القيمية لدى الشباب .كما أصبح الاهتمام بالتراث اللامادي جزءًا من الرؤية الأنثروبولوجية الوطنية التي تسعى إلى الحفاظ على الخصوصية الثقافية للمجتمع الجزائري.

وقد برزت في العقود الأخيرة دعوات أكاديمية إلى **تحرير الأنثروبولوجيا الجزائرية من النماذج الغربية** وبناء خطاب أنثروبولوجي "من الداخل"، يعبّر عن خصوصية التجربة الثقافية والاجتماعية المحلية. كما سعت بعض الأبحاث إلى تبنّي مقاربات "**ما بعد كولونيالية**" تُعيد الاعتبار للذات الجزائرية، وتُسهم في فهم الإنسان الجزائري في تفاعله مع محيطه الطبيعي والثقافي والاجتماعي بعيدًا عن التبعية الفكرية والمنهجية للغرب.

وهكذا، يمكن القول إن الأنثروبولوجيا في الجزائر قد قطعت شوطًا هامًا منذ الاستقلال؛ إذ انتقلت من علمٍ منبوذ سياسيًا إلى حقل معرفي فاعل يسهم في دراسة المجتمع الجزائري، وفهم تحوّلاته الاجتماعية والثقافية، والمشاركة في صياغة سياسات تنموية تراعي خصوصياته الحضارية والإنسانية.

المحور الحادي عشر

منهج وتقنيات البحث الأنثروبولوجي

1. المنهج الأنثروبولوجي:

1.1.المنهج العلمي:

تشتق كلمة (منهج) Method من فعل (نهج) وهو يعني سلك وسار واتبع، فمنهج اسم المكان لفعل (نهج) ويعني الطريق أو السبيل. وقد عرفه المعجم الفلسفي باللغة العربية بأنه "الطريق الواضح في التعبير عن الشيء، أو في عمل شيء، أو في تعليم شيء طبقا لمبادئ معينة، وبنظام معين، بغية الوصول إلى غاية معينة".

والكلمة بالعربية لكلمة Method الإنجليزية التي تعني طريقة، أو نظاما، أصلها يوناني استعملها اليونانيون القدامى بمعنى البحث أو المعرفة.

فالمنهج بشكل عام هو الطريقة التي يسلكها الباحث للإجابة على الأسئلة التي تثيرها المشكلة موضوع البحث، فعندما يواجه الباحث أو الانسان العادي مشكلة ما فإنه يبدأ بالتفكير كيف سيحل هذه المشكلة، والمنهج هو طريقة الحل، فأما أن تكون طريقة الحل غير علمية أي تعتمد على الأساطير والأفكار المسبقة غير المبرهن عنها، ودون الرجوع الى واقع الظاهرة بالملاحظة والتجربة، والمقارنة، وفي هذه الحالة نكون أمام المنهج غير علمي وإما على العكس من ذلك ننطلق من الملاحظة والتجريب ونستعمل أدوات البحث العلمي، ومن هنا نكون أمام المنهج العلمي.

ومن المؤكد أن اختلاف المنهج المتبع للوصول الى الحل يؤدي إلى اختلاف النتائج أو الحلول، بل يمكن القول إن علوم حديثة لم يكن مبرر وجودها ظهور موضوعات جديدة مكتشفة، ولا نظريات وقوانين جديدة، بل طريقة جديدة–منهج– امتلك قدرة أكثر من غيره على التعامل مع موضوعات محددة تنتمي إلى نوع من المعرفة، وفي هذا يقول بيرسون Perason تستند وحده كل علم الى المنهج لا إلى الموضوع، فليست الوقائع في ذاتها هي التي تخلق وتصنع العلم، ولكنه المنهج الذي بواسطته تعالج تلك الوقائع.

لا ينفصل المنهج العلمي عن المعرفة العلمية، فهو تقنية المعرفة، وهو عماد المعرفة العلمية، فهذه الأخيرة لا تكتسب إلا بالمنهج العلمي، وعليه فان تاريخهما واحد، كما أنهما بالإضافة إلى النظريات والقوانين العلمية تشكل أساس ومحتوى ونسق التفكير العلمي. (ابراش، 2009، ص65–66)

المنهج يعني مجموعة من القواعد التي يتم وضعها بقصد الوصول إلى الحقيقة في العلم "إنه الطريقة التي يتبعها الباحث في دراسته للمشكلة لاكتشاف الحقيقة". والمناهج أو الطرق البحث عن الحقيقة تختلف باختلاف المواضيع، ولهذا توجد عدة أنواع من المناهج العلمية التي سنتطرق لها بعد قليل. (بوحوش، الذنيبات، 2007، ص99)

وبهذا فالمنهج هو" الطريق المؤدي إلى الغرض المطلوب من خلال دراسة المصاعب والعقابات، ويعني في الفكر العلمي المعاصر الطريق المؤدي إلى الكشف عن الحقيقة في العلوم بواسطة طائفة من القواعد العامة التي تهيمن على سير العقل وتحدد عملياته حتى يصل الى نتيجة معلومة".

وبشكل عام فإن المنهج العلمي يمكن وصفه بأنه"فن التنظيم الصحيح لسلسلة الأفكار العديدة إمّا من أجل الكشف عن الحقيقة، حين نكون بها جاهلين أو من أجل البرهنة عليها للآخرين حين نكون بها عارفين" .

وتختلف المناهج باختلاف المواضيع، ولكل منهج وظيفته وخصائصه التي يستخدمها كل باحث في ميدان اختصاصه، والمنهج أيا كان نوعه هو الطريقة التي يسلكها الباحث للوصول إلى نتيجة معينة. وإذا كان الباحثون يتجنبون المناهج الخاطئة لأنها لا تقودهم الى الحلول الصحيحة، فإنهم يحرصون على استخدام المناهج العلمية التي ثبت نجاحها ويسعون لإيجادة فن استخدام الأسلوب الملائم في كل قضية يدرسونها.

فإذا كان البحث حول موضوع تاريخي، فإنه يتعين على الباحث أن يعتمد على المنهج التاريخي، وإذا كان البحث حول دراسة ظاهرة معينة من تصرفات الأفراد وردود فعلهم، فإن ذلك يتطلب استعمال منهج دراسة الحالة، وفي بعض الحالات يجد الكاتب نفسه مجبرا على استخدام منهجين أو أكثر وذلك إذا كانت طبيعة المشكلة التي يدرسها تتطلب ذلك. (بوحوش، الذنيبات، 2007، ص102)

2.1. المنهج الأنثروبولوجي:

المنهج الأنثروبولوجي هو طريقة دراسة تهدف إلى فهم الثقافات والمجتمعات البشرية من خلال دراسة سلوك الأفراد والعلاقات الاجتماعية والممارسات الثقافية داخل هذه المجتمعات. يعتمد هذا المنهج على مجموعة من الأدوات والتقنيات البحثية، مثل الملاحظة بالمشاركة، والمقابلات المتعمقة، ودراسة النصوص الثقافية، لجمع بيانات دقيقة وشاملة عن الجماعات البشرية. يركز الأنثروبولوجيون على دراسة الأنماط الاجتماعية والثقافية لتفسير السلوك البشري، وفهم كيفية تشكل وتطور المجتمعات وتنوعها عبر الزمن.

والدراسة الميدانية يقصد بها البحوث التي يقوم بها الدارس الاجتماعي في منطقة اثنوغرافية أو في مجتمع محلي، وفي الانثروبولوجيا المعاصرة لم تعد هذه المنطقة الاثنوغرافيا مقصورة بالضرورة على المجتمع المحلي التقليدي القروي أو القبلي، بل يمكن أن تغطي دراسات للمجتمعات الحضرية أو الصناعية أو غيرها التي يختارها الباحث لدراستها دراسة مركزة، كما استخدم نفس الاتجاه في دراسة الثقافة الفرعية وفي اجراء البحوث على مؤسسات داخل المجتمع الصناعي الحديث، ففي حين كان يقال في الماضي أن الأنثروبولوجيا هي دراسة الشعوب البدائية و الثقافات القبلية الغريبة وغير المعروفة والمجتمعات المحلية القروية، لم يعد يصح اليوم تعريف الانثروبولوجيا المعاصرة وفقا لهذا المعيار وإنما أصبحت تتميز باستخدام المناهج الأنثروبولوجية المتميزة في العمل الميداني وفي التحليل. (روبرت ايمرسون وآخرون، 2010، ص13)

من خلال ما سبق، نجد أن البحث الميداني دراسة منظمة لحوادث وأنواع نشاط عادية كما تحدث في الأوضاع الحياتية الفعلية. وهو استقصاء طبيعي يحدث في"**الميدان**"، أي في سياق طبيعي غير مصطنع بهدف إجراء الدراسة. (سارانتاكوس، 2017، ص361)

ولقد مرت الدراسة الميدانية في الانثروبولوجيا في بدايتها بالاعتماد على المعلومات التي كان يجمعها ضباط الإدارة الاستعمارية والمبشرين والرحالة والتجار وهم في الغالبية من غير المتخصصين، مما جعل هذه الكتابات الأنثروبولوجية موسومة بالمبالغة والتضارب وسوء التأويل، لذلك كان لذي لزاما على الباحثين إيجاد طرق جديدة تضمن مصداقية أكبر للمعلومات وتلتقي بالبحث الأنثروبولوجي إلى المستوى العلمي.

وهكذا، برزت الأنثروبولوجيا الميدانية / التطبيقية، علما يساعد في تحقيق أمرين أساسيين، في المجتمعات المدروسة: (الشماس، 2004، ص167)

- حلّالمشكلات الناتجة عن الإدارة والحكم المحلّي، في المجتمعات البدائية والمحلية.
- معالجة مشكلات التغيير الحضاري السريع في هذه المجتمعات، والمساعدة في التكيّف المناسب.

وقد أدّت الحاجة إل تقصّي المعلومات في السنوات الأخيرة– أينما وجدت، إلى زيادة استخدام مناهج علم الأنثروبولوجيا الميدانية، في دراسة الشعوب، ليس البدائية فحسب، بل والشعوب المتعلمة أيضا وفي أماكن متعددة من العالم.

ولذلك، ينتهج الباحث الأنثروبولوجي منهجا محدّدا في بحثه، ويستخدم مجموعة من الوسائل والأدوات للحصول على بياناته...ويتبع مجموعة من الخطوات قبل القيام بالبحث وفي أثنائه، كما يواجه بعض الصعوبات والمشكلات، عليه أن يتعامل معها ببدائل مناسبة. فقد كان اهتمام الباحث الأنثروبولوجي الأوّل، منصبّا على ملاحظة القوانين الرئيسية العامة التي تحكم المجتمعات الإنسانية، أو الكشف عنها، وواجهتهّ مجموعة من الصعوبات، لكنه لم ييأس من إنجاز بحثه كاملا، ولا سيّما أن نموذج الثقافة الإنسانية ليس بسيطا وليس سهلاً.

إن من الميزات الأساسية للمنهج العلمي/الميداني، ذلك الارتباط الوثيق بين النموذج النظري والنموذج المنهجي، والمنطوي بالتالي على استخدام التقنيات الكميّة في الدراسات الأنثروبولوجية، والذي يشبه إلى حد بعيد ذلك الارتباط بين النظرية والمنهج في العلوم الجديدة، التي ما زالت موضع نقاشات حادة.

ولكن الأسس الهامة في الدراسات الأنثروبولوجية بميادينها المختلفة، تتمثل في إقامة الباحث في مكان دراسته، يعايش الجماعة كما هي في الواقع، ويحصل على كلّ ما يريده من علاقات وقيم وعادات وأنماط حياة، تحدّد طبيعة هذا المجتمع وهويته الثقافية. ولذلك، فإنّ ثمّة مبادئ أساسية–كما يرى مالينوفسكي–لا بدّ أن يستند إليها الأنثروبولوجي في بحثه الميداني، وهي:

- أن يكون الباحث الميداني ملمّا إلماماً بالمعلومات الأنثروبولوجية، وأن يكون لديه هدف علمي واضح لموضوع بحثه.
- أن يعيش الباحث (الأنثروبولوجي) الميداني، في المجتمع الذي يدرسه، ويقطع اتصاله بالعالم الخارجي بصورة تامّة، ويحصر اهتمامه بالجماعة التي يدرسها.
- أن يطبّق عدداً من الأساليب، في جمع المعلومات وتبويبها وتفسيرها، أي أنّ عليه أن يستخدم طرائق عدّة مختلفة من طرائق البحث الميداني، لأنّ بعض الطرائق التي يمكن ان تصلح لدراسة ظاهرة أنثروبولوجية محدّدة، قد لا يصلح تطبيقها في دراسة ظاهرة أخرى. (الشماس، 2004، ص169)

2. أهداف المنهج الأنثروبولوجي:

يهدف منهج البحث في الأنثروبولوجيا إلى:

- التنبؤ بالمستقبل عن طريق دراسة الماضي والحاضر.
- فهم الحياة الاجتماعية والثقافية للشعوب ووصفها بدقة.
- محاولة استكشاف الحضارات السابقة.
- محاولة استكشاف أصل الإنسان وتطوَره.

ومن الطرائق الميدانية التي يمكن اعتبارها أيضا أدوات عمل فاعلة في العمل الميداني والتي أقرها علماء الانثروبولوجيا، نذكر منها: طريقة الملاحظة المباشرة، وطريقة الاستمارة، وطريقة المشاركة وطريقة الحالة الفرضية.

وإذا كان كلّ مفهوم نظري له بدائل إجرائية Proceduresing Alternative، تستخدم للملاحظة والإجراء العلمي، فإن الفكرة ذاتها نجدها مطبقة في الدراسة الانثروبولوجية، حيث يستخدم الباحث أكثر من مقياس، وأكثر من طريقة للملاحظة، في دراسة النظم الثقافية/الاجتماعية.

وهكذا تختلف وسائل كل طريقة وفائدتها عن الأخرى، باختلاف الوضع الذي يجد الباحث نفسه فيه، وباختلاف نمط الثقافة التي يدرسها، أو اختلاف المشكلة الخاصة التي يدرسها.

3. مناهج البحث الأنثروبولوجي:

تعتمد الدراسات الأنثروبولوجية على عدة مناهج وأساليب خاصة في إجراء البحوث والدراسات الأنثروبولوجية، من أهمها:

- المنهج الوصفي.
- المنهج الإثنوغرافي.
- المنهج التاريخي.

- المنهج المقارن.
- المنهج البنائي الوظيفي.

وفي مايلي سنتطرق لمعرفة كل منهج بإختصار:

1.3.المنهج الوصفي:

المنهج الوصفي في البحوث الأنثروبولوجية هو أحد الأساليب الأساسية المستخدمة في دراسة الثقافات والمجتمعات البشرية. يركز هذا المنهج على جمع وتفسير البيانات الوصفية المتعلقة بالعادات والتقاليد والسلوكيات والتفاعلات الاجتماعية داخل مجموعة معينة. يعتمد الباحثون الأنثروبولوجيون على المنهج الوصفي لتحقيق فهم عميق وشامل لثقافة أو مجتمع ما، وذلك من خلال وصف دقيق للظواهر والأنشطة الاجتماعية.

"المنهج الوصفي عبارة عن طريقة لوصف الموضوع المراد دراسته من خلال منهجية علمية صحيحة، وتصوير النتائج التي يتم التوصل إليها على أشكال رقمية معبرة يمكن تفسيرها. كما يعرف على أنه وصف دقيق وتفصيلي لظاهرة أو موضوع محدد على صورة نوعية أو كمية رقمية، فالتعبير الكيفي يصف الظاهرة ويوضح خصائصها، أما التعبير الكمي فيعطينا وصفا رقميا يوضح مقدار هذه الظاهرة او حجمها أو درجة ارتباطها مع الظواهر المختلفة الأخرى، وقد يقتصر هذا المنهج على وضع قائم في فترة زمنية محددة أو تطويرًا يشمل عدة فترات زمنية.

يعتبر الوصف ركنًا أساسيًا من أركان البحث العلمي، ومنهجه من أهم المناهج المتبعة فيه، إذ إن الباحث الذي يرغب في الوصول الى نتائج علمية يعتمد عليها لابدّ من أن يحرص على وصف الوضع الراهن للظاهرة، وذلك برصدها وفهم مضمونها والحصول على أوصاف الدقيقة وتفصيلية لها بغية الإجابة عن الأسئلة التي يطرحها والمشكلات التي يدرسها". (رجاء وحيد دويدري، 2000، ص183)

المنهج الوصفي في البحوث السوسيوأنثروبولوجية برز بشكل ملحوظ في نهاية القرن الثامن عشر ونشط بشكل كبير في القرن التاسع عشر. تم استخدامه من قبل الباحثين مثل فريدريك لوبلاي(F.Play)(1806-1882م) لدراسة الحالة الاقتصادية والاجتماعية للطبقة العاملة في فرنسا، ولكن التطور الهام الذي اسهم في تطوير الأسلوب الوصفي في البحث كان في القرن العشرين.(رجاء وحيد دويدري، 2000، ص184) هذا المنهج أصبح أساسياً في الدراسات الاجتماعية والإنسانية حيث يهدف إلى وصف الظواهر كما هي بدون تدخل أو تعديل، وهو ما يجعله مناسباً لدراسة السلوكيات والعادات الاجتماعية بشكل موضوعي ودقيق.

في البداية، كان التركيز في هذا المنهج على جمع البيانات بشكل مكثف ووصفها بدقة، ومع مرور الوقت تم تطوير أدوات وأساليب لجمع وتحليل هذه البيانات مثل الاستبيانات والملاحظات والمقابلات. الأنواع المختلفة من المنهج الوصفي تشمل المنهج الوصفي التحليلي، والمنهج الوصفي الارتباطي، والمنهج الوصفي التطويري، والدراسات المسحية، وكل منها يستخدم في سياقات بحثية مختلفة حسب طبيعة الظاهرة المدروسة.

إن المنهج الوصفي التحليلي يُعتبر من أبرز المناهج المستخدمة في الدراسات الاجتماعية والأنثروبولوجية. وقد بدأ استخدام هذا المنهج منذ القدم، حيث ارتبط بالمسوح الاجتماعية الأولى والدراسات العلمية في أوروبا. حيث برز استخدام المنهج الوصفي التحليلي بشكل أكبر في العصر الحديث، خصوصاً من خلال ثلاث محطات رئيسية:

- حركة المسح الاجتماعي في إنجلترا :حيث تم استخدام المنهج الوصفي في تحليل الظروف الاجتماعية بهدف فهم مشكلات المجتمع ووضع سياسات لمعالجتها.
- الدراسات في فرنسا :عندما استخدم فريدريك لوبلاي المنهج المونوجرافي لدراسة الأوضاع الاجتماعية وتحليلها بشكل مفصل.
- الدراسات الأنثروبولوجية في الولايات المتحدة :حيث ارتبط هذا المنهج بالدراسات الأنثروبولوجية لفهم الثقافات والمجتمعات من خلال وصفها وتحليلها.

يستخدم المنهج الوصفي التحليلي لوصف الظواهر كما هي في الواقع، وتحليل البيانات وربطها للوصول إلى فهم شامل ومتكامل للظواهر المدروسة، مما يجعله مناسباً للدراسات التي تتطلب جمع بيانات كمية ونوعية وتفسيرها بطرق علمية دقيقة.

2.3. المنهج الإثنوغرافي:

المنهج الإثنوغرافي هو أسلوب بحث نوعي يستخدم لدراسة المجتمعات والثقافات من خلال الملاحظة المباشرة والمشاركة مع الأفراد في بيئتهم الطبيعية. يعد هذا المنهج حجر الزاوية في الأنثروبولوجيا لأنه يتيح للباحث فهم الظواهر الاجتماعية والثقافية من منظور الأفراد داخل المجتمع نفسه. يتميز هذا المنهج بالتركيز على التفاصيل الدقيقة للحياة اليومية، مما يساعد على تقديم صورة شاملة عن ثقافات وعادات المجتمعات. (أبوزيد، 1998، ص129) بتطبيق هذا المنهج، يتمكن الباحث من:

- **اكتساب فهم عميق للممارسات الاجتماعية** :يساعد المنهج في فهم العادات، التقاليد، والقيم الثقافية التي قد تكون غير واضحة أو غير مفهومة من الخارج.
- **دراسة السياقات الاجتماعية المحلية** :يعزز قدرة الباحث على دراسة السلوكيات في سياقاتها الطبيعية، مما يمنح رؤى دقيقة وغير متحيزة.
- **استخلاص بيانات غنية وشاملة** :يوفر المنهج الإثنوغرافي بيانات تفصيلية وشخصية حول تفاعلات الأفراد والعلاقات الاجتماعية.
- **التفاعل مع المجتمع المدروس** :يساعد الباحث في فهم التجارب الشخصية والتفاعلات اليومية التي تُشكل الثقافة والهوية.

بذلك، يُعتبر المنهج الإثنوغرافي أداة فعالة لفهم تعقيدات المجتمعات البشرية من الداخل.

خطوات البحث الإثنوغرافي:

- ✓ التحضير للبحث: اختيار المجتمع أو المجموعة المستهدفة.
- ✓ تحديد أهداف البحث والأسئلة المراد الإجابة عنها.
- ✓ العمل الميداني: التواجد في الموقع لفترة زمنية طويلة لفهم الثقافة من الداخل.
- ✓ بناء علاقات مع أفراد المجتمع لكسب الثقة وتحقيق تفاعل أعمق.
- ✓ الملاحظة المباشرة والمشاركة: مراقبة الأنشطة اليومية للمجتمع المستهدف.
- ✓ المشاركة الفعلية في الأنشطة لفهم تجارب الأفراد بشكل أفضل.
- ✓ جمع البيانات: استخدام تقنيات مثل تدوين الملاحظات، إجراء المقابلات، وتسجيل المحادثات.
- ✓ تحليل البيانات: تفسير النتائج بناء على السياق الثقافي والاجتماعي للمجتمع.
- ✓ كتابة التقرير: إعداد تقرير شامل يعكس نتائج البحث، مع تضمين وصف دقيق للتجارب والملاحظات. (عيسى محمدعلي، 2005، ص165)

ويمكن تطبيق هذا المنهج في العديد من السياقات لدراسة المجتمعات المختلفة. إليك بعض الأمثلة:

- **دراسة قبيلة أو مجتمع محلي** :يستخدم المنهج الإثنوغرافي لدراسة العادات والتقاليد والممارسات اليومية لقبيلة أو مجتمع محلي. الباحث يعيش مع المجتمع، يشارك في أنشطتهم اليومية، ويسجل ملاحظاته حول النظم الاجتماعية والعلاقات بين الأفراد.
- **دراسة مجموعات ثقافية فرعية** :يمكن استخدام المنهج الإثنوغرافي لدراسة مجموعات ثقافية معينة داخل مجتمع أكبر، مثل الشباب، المهاجرين، أو مجموعات دينية معينة. يساعد ذلك في فهم كيفية تفاعل هذه المجموعات مع بعضها البعض ومع المجتمع الأوسع.
- **دراسة بيئات العمل** :يُستخدم هذا المنهج لدراسة الديناميكيات في بيئات العمل، مثل المصانع، المستشفيات، أو الشركات. الباحث يشارك في العمل اليومي للعاملين ويسجل ملاحظاته حول التنظيم الداخلي والعلاقات بين الموظفين.
- **دراسة المجتمعات الحضرية** :يمكن تطبيق المنهج الإثنوغرافي لدراسة الحياة في المناطق الحضرية، مثل الأحياء الفقيرة، المجتمعات السكنية، أو مناطق الأعمال. يساعد ذلك في فهم التحديات التي تواجه هذه المجتمعات وكيفية تعامل الأفراد معها.
- **دراسة النظم التعليمية** :يُستخدم المنهج الإثنوغرافي لدراسة البيئة التعليمية في المدارس أو الجامعات. الباحث يشارك في الفصول الدراسية، يتفاعل مع الطلاب والمعلمين، ويلاحظ الطرق التعليمية والعلاقات داخل المؤسسة التعليمية.

- **دراسة المجتمعات الافتراضية:** مع تطور التكنولوجيا، يُستخدم المنهج الإثنوغرافي لدراسة المجتمعات التي تتشكل عبر الإنترنت، مثل المنتديات الإلكترونية، ألعاب الفيديو الجماعية، أو شبكات التواصل الاجتماعي، الباحث يشارك في هذه المنصات ويسجل تفاعلات الأعضاء لفهم الديناميكيات الاجتماعية فيها.

باستخدام المنهج الإثنوغرافي، يمكن للباحثين الحصول على فهم عميق وشامل للمجتمع المدروس من خلال تجربة الحياة اليومية لأفراده وتسجيل الملاحظات حول تفاعلاتهم وسلوكياتهم.

3.3. المنهج التاريخي:

المنهج التاريخي هو الطريق الذي يتبعه الباحث في جمع معلوماته عن الأحداث والحقائق الماضية، وفي فحصها ونقدها وتحليلها والتأكد من صحتها، وفي عرضها وترتيبها وتفسيرها، واستخلاص التعميمات والنتائج العامة منها والتي لا تقف فائدتها على فهم أحداث الماضي فحسب بل تتعداه الى المساعدة في تفسير الأحداث والمشاكل الجارية وفي توجيه التخطيط بالنسبة للمستقبل. ويقوم المنهج التاريخي على أساس من الفحص الدقيق والنقد الموضوعي للمصادر المختلفة للحقائق التاريخية، ويستعمل في جمع المعلومات ونقدها وترتيبها وتنظيمها وتفسيرها واستخلاص النتائج العامة منها كثيرا من وسائل البحث العلمي وأدواته التي تستخدمها مناهج البحث الأخرى. (بوحوش، الذنيبات، 2007، ص107)

وعلى هذا الأساس يعرف المنهج التاريخي بأنه" عملية منظمة وموضوعية لاكتشاف الأدلة وتحديدها وتقييمها والربط بينها من أجل إثبات حقائق معينة، والخروج منها باستنتاجات تتعلق بأحداث جرت في الماضي، إنه عمل يتم بروح التقصي الناقد لإعادة البناء، وصمم ليحقق غرضاً صادقاً أميناً لعصر مضى". (ابراش، 2009، ص142)

وتكمن أهمية الدراسات التاريخية في أنها تطلعنا على نسبية كل شيء وعلى كون الاوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية والديانات، وكل شيء هو في حالة تقلب، وتحول، فالحاضر ما هو إلا نسخة حديثة عن الماضي، والدراسات التاريخية ليست حكرًا على علم دون غيره من العلوم الاجتماعية، بل هي قاسم مشترك بينها جميعاً، لأنها تتناول مجمل نواحي الحياة الإنسانية. (ابراش، 2009، ص137)

وفي الأنثروبولوجيا أو علم الإنسان يؤكد أصحاب المدرسة التاريخية على أهمية مفهوم التاريخ الثقافيCultural Histor، فيذهب ميتلند Maitland الى أن: "الأنثروبولوجيا عليها ان تختار بين أن تكون تاريخية أو لا تصبح شيئا على الاطلاق"، كما ذكر بيركت سميث K.Birket Simith إلى أن"الحاضر لا يمكن فهمه إلا كان التاج للماضي"، لذلك فإن المشكلة الحيوية للإثنولوجيا كما يفهمها، يتعين أن تكون مشكلة تاريخية، كذلك افتتح سابيرE.Sapir مقاله الكلاسيكي الشهير عن"**منظور الزمان** "بقوله " إن الانثروبولوجيا الثقافية تتجه أكثر فأكثر نحو الاعتراف بأنها علم تاريخي أساساً.

فالمعلومات التي نحصل عليها يتعذر فهمها سواء في ذاتها أو في صلتها بعضها ببعض إلا بوصفها نهاية تتابع معين للأحداث التي تضرب بجذورها في الماضي السحيق، ومن الضروري أن يتحقق عندنا نوع من الفهم التاريخي للوقائع بوصفها الهدف الإثنولوجي الخاص بالباحث.

وعموما فإن مصطلح التاريخ الثقافي يكتسب معناه الحقيقي ودلالته في ضوء علم المناهج، وتنقسم المناهج في هذا الصدد قسمين: قسم انثروبولوجي، وقسم وضعي تاريخي.

أما القسم الأنثروبولوجي فهو يعطينا المداخل التي يمكن بواسطتها الكشف عن إعتبارات الزمان وصياغتها في تصورات ثقافية محددة، أما القسم التاريخي فهو الوسيلة التي بواسطتها ستصبح تلك النتائج منظورات تاريخية صادقة ومفيدة بالنسبة للشعوب التي ندرسها، والنتاج النهائي لذلك كله هو التاريخ الثقافي.

وهكذا تحتل الثقافة في الأنثروبولوجيا مكانة رئيسية، ويعد البحث التاريخي للثقافة مطلبًا هامًا وحيويًا بالنسبة للأنثروبولوجيا الثقافية، ويعكس هذا الاهتمام دراسة نشأة الثقافة وتطورها وأصولها، وعملية إعادة بناء تاريخ الثقافة، وتقوم هذه الدراسة على أساس دراسة توزيع الخصائص الثقافية وتحليلها ثم التحقق من مدى إمكانية حدوث احتكاكات واتصالات بين الوحدات الثقافية، بل يمكن ان تكشف أيضا التتابع الزمني الذي ظهرت فيه هذه الاحتكاكات والاتصالات.

أما علماء التأويل التاريخي للثقافة من أمثال كروبير Kroeber فإنهم يرون أن التاريخ هو في جوهره محاولة لإعطاء وصل دقيق لموضوع الدراسة، وليس معالجة التتابعات الزمنية، ولهذا أعتقد أنه يمكننا الاعتماد على المنهج التاريخي في دراسة الأحداث والوقائع الحالية، وكذلك في دراسة الظواهر التي تحدث في زمن محدد، وهو ما يعرف باسم الدراسات المتزامنة Synchronic، هذا فضلاً عن دراسة الظواهر التي تحدث في أزمان متعددة Diachronic فكأن ماهية التاريخ لا تنحصر في عنصر الزمن كما أن الذي يميز الدراسة التاريخية والوصفي التحليلي لأية مجموعة من الظواهر الثقافية في موقف معين بالذات. وعلى ذلك فإن الدراسة التاريخية تأخذ في اعتبارها عنصر الزمان الى جانب عنصر المكان، وهذا هو المحك الأساسي التي تقوم التفرقة عليه بين العلم والتاريخ، ولا شك أن هذا الإصرار على أهمية المنهج التاريخي في دراسة الثقافة يوجد لدى كثير من علماء الأنثروبولوجيا الثقافية.

وعلى ذلك فان الاهتمام بتاريخ الإنسان يعتبر من بين المصادر الأساسية للدراسات الأنثروبولوجية وقد تمثل ذلك في الدراسات في المقارنة للمجتمعات والنظم الاجتماعية، في محاوله إعادة بناء تاريخ مجتمعات بعينها، فقط اعتمد كل من فولتير Voltaire وجوستاف كلم Gustav Klemn وسير هنري مين Sir Henry Maine وماكلينان J.F.Mclenain و باخوفن Bachofen و فوستيل دي كولانج Fustel de Coulanges و لويس

مورجان L.H.Morgan و إدوارد تايلور E.B.Taylor اعتمدوا جميعا على المصادر التاريخية في إقامة علم اجتماع مقارن عن الثقافة والمجتمع.

وإذا انتقلنا الى الدراسات الأنثروبولوجية الأمريكية المعاصرة سنجد أيضا إهتمام واضح بالمصادر التاريخية فيما يعرف اصطلاحاً باسم" **الذاكرة الثقافية**" Memory Culture حيث تحاول المدرسة التاريخية أن تعتمد على ذاكرة كبار السن من القبائل الهندية لكي تحصل على معلومات عن ثقافة هذه القبائل.

ويعتمد علماء الأنثروبولوجيا والمهتمين بتاريخ الشعوب على ثلاث مصادر ومناهج رئيسية في تحقيق أهدافهم هي:

- **وثائق مكتوبة Written Documents**: فبرغم الصعوبات التي تواجه الاعتماد على هذه الوثائق، وخاصة في المجتمعات التي لا توجد عنها وثائق مدونة، إلا أن محاولات حديثة تبذل لجمع مادة يمكن الاعتماد عليها في تكوين بعض المعلومات المنظمة عن هذه المجتمعات.
- **التراث الشفهي Oral Traditions**: حيث يغطي التراث الشفهي أنواع متعددة من الظواهر والأنظمة والعلاقات الاجتماعية، ويمكن أن نعثر على التراث الشفاهي من دراسة هذه الظواهر الاجتماعية، حيث تكشف عن أهمية الاعتماد على هذا المصدر في البحوث التاريخية الأنثروبولوجية.
- **البحث الحقلي Field Work**: حيث يمثل البحث الحقلي القائم على الملاحظة بالمشاركة وجمع البيانات من الواقع مصدراً رئيسيًا للمعلومات، وجزاء رئيسيا من تدريب الباحث الأنثروبولوجي، وذلك بهدف إبراز الظواهر المختلفة للأنساق الاجتماعية والعلاقات المتبادلة بينها إلى جانب تقديم وصف دقيق ومتكامل للحياة الاجتماعية في مجتمع أو ثقافة معينة، وهذا لن يتم إلا من خلال اجراءات وأساليب البحث الحقلي. (أحمد فاروق، 2013، ص40-42)

4.3.المنهج المقارن:

ينطبق المنهج المقارن على الأنثروبولوجيا بجميع فروعها ومجالاتها الدراسية، فأي بحث أنثروبولوجي ينطوي بالضرورة على مقارنات بين متغيرين أو أكثر، ويقصد بالمنهج المقارن في مجال الانثروبولوجيا "دراسة الظواهر الاجتماعية في مجتمعات مختلفة، أو أنماط محددة من مجتمعات، وكذلك مقارنة النظم الاجتماعية الرئيسية من حيث استمرارها وتطورها والتغير الذي يطرأ عليها، أو حتى مقارنة المجتمعات بعضها ببعض. "

أما عن مجالات البحث المقارنة في الأنثروبولوجيا فهي تتلخص فيما يلي:

– دراسة أوجه الشبه والاختلاف بين أنماط الرئيسية للسلوك الاجتماعي، ويشمل ذلك أيضا دراسة السلوك السياسي للأفراد مثل التصويت في الانتخابات وغيرها، وكذلك دراسة السلوك الإجرامي معدلات الجرائم في المجتمع وأنماطها في مجتمعات مختلفة.

- دراسة نمو وتطور مختلف أنماط الشخصية، والاتجاهات السيكولوجية والاجتماعية في مجتمعات مختلفة وثقافات متعددة، وتمثل هذه الدراسات بحوث الثقافة والشخصية ودراسات الطابع القومي National character.
- دراسة النماذج المختلفة من التنظيمات Organizations، وخصوصا التنظيمات البيروقراطية مثل النقابات العمالية والتنظيمات السياسية والصناعية والمهنية في المجتمعات مختلفة.
- دراسة النظم الاجتماعية Sociel institutions، والتي بالضرورة تنقسم الى أقسام فرعية، مثل تحليل المعايير النظامية العامة أي دراسة نظم الزواج والأسرة والقرابة، ثم دراسة الأنساق الثقافية مثل المعتقدات الدينية، ودراسة العمليات التي تطرأ على المجتمع مثل التحضر والديمقراطية، ودراسة النظم الفرعية كالعادات والفلكلور، وهي الدراسات ذات صلة وثيقة بالأنساق الثقافية.
- تحليل ومقارنة مجتمعات بأكملها، فعادة ما تتم المقارنة بين المجتمعات وفقا للنمط الرئيسي السائد للنظم الاجتماعية والثقافية الموجود فيها. (مصطفى عمر وآخرون، 2008، ص113)

أما عن صعوبات المنهج المنهجية والنظرية، فإن بناء الأنماط من أجل المقارنة يطرح عددا من المشكلات المنهجية والنظرية يمكن تلخيصها على النحو التالي: (watwick D,& samucl osherson,1973, p43-47)

- مشكلة اختيار وحدة المقارنة التي على أساسها سوف تتحدد المتغيرات الرئيسية في البحث.
- مشكلة تحديد المؤشرات التي نقارن على أساسها بين المتغيرات، حيث تختلف هذه المؤشرات تبعا لاختلاف وحدة المقارنة.
- مشكلة إمكانية المقارنة Comparability بالنسبة لكل وحدة من وحدات المقارنة.
- مشكلة المعاينة Sampling، فالعينات الصغيرة نسبيا لوحدات المقارنة تثير تساؤلا عن مدى إمكانية صياغة مقارنات متعمقة تجريبية، والمشكلة المنهجية القائمة بالنسبة للعينات عموما هي مدى تمثيل هذه العينات للمجتمع الأصلي، ففي الدراسات المقارنة التي تهدف الى اختبار الفروض أو القضايا العامة، تكون درجة تمثيل الوحدات المقارنة للمجتمع الأصلي الذي تنتسب إليه مسألة بالغة الأهمية.

5.3.المنهج البنائي الوظيفي:

حاول هذا المنهج المزاوجة بين المنهج المقارن والاتجاه الوظيفي في الدراسات الأنثروبولوجية حتى يتمكن من دراسة الظواهر الاجتماعية في سياقها الكلّي من ناحية، والتعرف على الأدوار والوظائف التي يؤديها كل نظام من النظم الاجتماعية من ناحية أخرى لمعرفة طبيعة البناء الاجتماعي للمجتمع ككل.

واكتسب أهمية البحث المقارن بعد أن كتب نادل Nadel بعض الدراسات الانثروبولوجية، والتي أكد فيها على الحاجة الملحة والماسة لدراسة الوقائع الاجتماعية في مواقف صناعية تمكننا من المقارنة بينها، وهو يؤكد

أن علماء الأنثروبولوجيا يتمسكون دائما بالسياق الأشمل، ويتمكنون من عزل العناصر عن سياقها دون أن تفقد معناها. (أحمد فاروق، 2013، ص44)

ولقد كانت المدارس التاريخية المختلفة في الأنثروبولوجيا وبخاصة في المدرسة الأمريكية تنظر الى الثقافة عموما، باعتبارها مجموعة من العناصر غير المتصلة، بل والمتباينة في نشأتها، الا أن البعض قد تصدى لهذا المفهوم، وبخاصة العلماء الوظيفيين وعلى رأسهم مالينوفسكي برونسلاو، حيث تتخذ الوظيفية عنده جانبين، **الجانب الأول:** يذهب الى أن ثقافة هي عبارة عن كيان كلي وظيفي متكامل شبيهة بالكائن الحي، ولا نستطيع أن نفهم أي جزء من أي ثقافة إلا في ضوء علاقته بالكل. **الجانب الثاني:** هو محاولة تحديد الوظيفة النهائية للثقافات الإنسانية، وتفسير وجودها في المجتمعات، وهذا يبرز مفهوم الوظيفة الثقافية. في حين يوجه **راد كليف براون** اهتمامه الى دراسة المجتمع لا الى الثقافة، فيؤكد أن المجتمع يتكون من أجزاء متداخلة وظيفيا، وهو بذلك يسعى الى تحقيق الأهداف التالية:

- الوصف الدقيق للأداء الوظيفي للأبنية الاجتماعية الموجودة في المجتمعات الإنسانية، مؤكدا على دورها في الحفاظ على بناء الاجتماعي.
- التصنيف المنهجي للظواهر الاجتماعية.
- صياغة القوانين العامة التي تحكم الظواهر الاجتماعية. (مصطفى عمر وآخرون، 2008، ص117-118)

ولذلك فإن المنهج البنائي الوظيفي يهتم اهتماما كبيرا ببناء الثقافة، والعلاقة القائمة بين أجزائها، كما يهتم أيضا بدراسة المجتمع والثقافة والعلاقات المتداخلة والمتشابكة بينها، والتي تتساند مع بعضها تساندا وظيفيا.

6.3. طريقة الاختبارات النفسية:

طريقة تستخدم لتحديد خصائص شخصية أفراد المجتمع موضوع الدراسة، وهي تستخدم نادرا مقارنة بالاختبارات النفسية التي أدخلها الأنثروبولوجيون الثقافيون المنحدرون من تخصصات أخرى وتعتمد جميع هذه التقنيات المرتبطة أساسا بعلم النفس، في تحديد العلاقة بين الشخصية والحضارة في مجتمع ما، فهي تهدف إلى" قياس سلوك مجموعة من الأفراد مرة واحدة وفي وقت واحد بواسطة فاحص واحد." (صلاح أحمد مراد، 2005، ص 239)

وتستعمل الاختبارات النفسية في الأنثروبولوجيا وهذا حسب ماعرفها Bein على أنها مجموعة مرتبة من المثيرات أعدت لكي تقيس بعض العمليات العقلية أو السمات النفسية لعينة ما من الأفراد بصورة كمية أو كيفية، ويعرفها فؤاد أبو حطب أنها طريقة منظمة للمقارنة بين الأفراد أو داخل الفرد الواحد في السلوك أو عينة منه في ضوء معيار أو مستوى أو محك (صلاح أحمد مراد، 2005، ص230). وتستخدم الاختبارات النفسية في الأنثروبولوجيا الثقافية أكثر من الأنثروبولوجيا الاجتماعية بهدف دراسة وتحديد العلاقة بين الشخصية والمكونات الحضارية والثقافية للمجتمع.

4. الطرق الأنثروبولوجية:

ويعتمد الباحث الانتروبولوجي في تطبيق المنهج العلمي أثناء دراساته الميدانية على طرق وتقنيات بحث معينة أهمها:

1.4. الملاحظة L'observation:

تعني فحص الظواهر أو تسجيلها وطبقا لهذا المعنى يمكن أن تكون الملاحظة مباشرة أو غير مباشرة شخصية أو غير شخصية، كما أن أي أسلوب لجمع البيانات يعتبر ملاحظة بما في ذلك جمع البيانات من السجلات.

كما أنها تشير الى فحص السلوك مباشرة عن طريق باحث أو مجموعة من الأشخاص يقومون بدور الملاحظين وتحتاج ظواهر المعقدة إلى درجة من التحليل وتفسير البيانات.

والملاحظة هي فعل إبداعي تستخدم في كثير من الأغراض منها استكشاف بعض الظواهر، الاستبصار بسلوك معين، تلقي الضوء على البيانات الكمية فتضيف إليها بعدا كيفيا، كما أنها تعطينا صورة واقعية للظواهر التي تتناولها حيث تصفها بدقة، وتفيد في الدراسات الكشفية والتجريبية، كما أنها أداة رئيسية في الدراسات الميدانية والأثنوغرافية والاستطلاعية ويجب أن تأخذ في عين الاعتبار أن كل فرد له بعض الاهتمامات والمجالات التي تؤثر على اختياره وملاحظته. ولقد كان لعلماء الأنثروبولوجيا في عصر الحديث الفضل في لفت أنظار الباحثين الاجتماعيين الى أهمية الملاحظة كوسيلة هامة من وسائل جمع البيانات، وكان لخصوبة المادة العلمية التي جمعوها عن الشعوب البدائية أثر كبير في توجيه أذهان الباحثين في استخدام نفس الأسلوب في البحث خاصة في الدراسات الجماعات الصغيرة. (أحمد فاروق، 2013، ص59-61)

وتقتضي الملاحظة جمع بيانات عن طريق المشاهدة بشكل رئيس. ويمكن ان تستخدم تقنية الملاحظة وحدها لجمع البيانات أو بالتعاون مع غيرها من التقنيات كالمقابلة الجماعية والدراسة الوثائقية ودراسة الحالة. وعلى الرغم من أن الملاحظة تدرس الأشخاص، يمكنها أيضا أن تركز على الأشياء بصفتها مخرجات لفعل الإنسان وتصرفاته، أو بصفتها جزءًا من البيئة المادية. وفيما يلي سنناقش طبيعة الملاحظة وأنواعها وسيرورتها ونوضح أهميتها في البحث في الأنثروبولوجي:

- **ملاحظة المباشرة والملاحظة غير المباشرة:** تدرس الملاحظة المباشرة الناس فرديا أو جماعيا. أما غير المباشرة فتدرس الأفراد من خلال مخرجات أفعالهم ونتائجها، حيث يقوم الباحث بملاحظة ما تركه الافراد من الآثار وتقويمه وتحليله، وقد لا يكون هؤلاء الأفراد موجودين، ومن خلال هذه الملاحظات يستنتج الباحث بعض النتائج المتعلقة بحياة أولئك الأفراد. (سارانتاكوس، 2017، ص395)

والملاحظة المباشرة هي أحد الأساليب التي يستخدمها الباحث المقيم في دراسة الشعوب البدائية. ويقوم هذا الأسلوب على مراقبة أو معاينة أفراد الشعب الذي تجري عليه الدراسة، في أثناء تأدية أعمالهم

اليوميّة المعتادة، وهذا يقتضي من الباحث الأنثروبولوجي أن يقيم فترة لا تقل عن سبعة الى ثمانية أشهر في المجتمع المدروس، وتفهم ما يدور فيه. ذلك بحضور المناسبات العامة التي يقيمها أبناء هذا الشعب كالحفلات والاجتماعات الدينية أو الشعبية، وحلقات الرقص، ومراسم الدفن وغيرها... ورصد الحركات التصرّفات، وتسجيل ما يجدر تسجيله من حوارات واغاني وتراتيل، وما الى ذلك من التعبيرات التي يبديها الأفراد في هذه المناسبات. كما يجب أن يحسن الباحث لغة التخاطب بلغة الأهالي، حتى وان كان السلوك الذي يشاهده غير لفظي. والإقامة في المجتمع البحث، تعني ملاحظة دقائق الحياة اليوميّة كما تجري بين الناس...وتحتاج هذه الطريقة إلى أن يكون الباحث ملما بأهداف بحثه وبطبيعة المجموعة المدروسة. وأن يتمتع بقدر كبير من الاهتمام والوعي، بأبعاد الظاهرة التي يقوم بدراستها وكيفيّة رصد هذه الأبعاد بدقة وموضوعية، حيث يتوقف على ذلك صدق المعلومات، وفائدتها العلميّة. (الشماس، 2004، ص174)

- **الملاحظة المنظمة Systematic Observation:** وهي التي تخضع للضبط العملي (سواء بالنسبة لموقف الملاحظة أو الملاحظة أو الأشخاص الذين تتم ملاحظتهم) وتنحصر في موضوعات محددة سلفا، وتقتصر على اجابة الأسئلة أو تحقيق الفروض التي وضعها الباحث. ويشيع هذا الأسلوب في الدراسات الوصفية والدراسات التي تختبر فروض سببية لما تتميز به من دقة وعمق.

وتستخدم هذه الملاحظة لاختبار النظريات والأسس Basis والقوانين، وتشرح لنا معنى الحقائق والمواقف الاجتماعية، وتتنوع إجراءاتها ووسائلها بتنوع الظروف، وهي تتميز بأنها أسلوب معين تتوفر له شروط الضبط Control بالنسبة لكل من الملاحظOberver والأفراد الملاحظين، وتعرف فيه وحدات الملاحظة وما يسجل من مادتها، وتحدد فيه الظروف الملاحظة من الزمان ومكان وأشخاص.

وتتميز الملاحظة المنظمة بأن الملاحظ (الباحث) يضع خطة محددة قبل العمل، وهذه الخطة تشمل على بعض التجارب العلمية، كما أنه قد يلجأ لاستعمال بعض الأدوات والأجهزة السمعية والبصرية، والعديد من السجلات والوثائق كما أنه يستعمل المقاييس التي تحدد نسبة الخطأ. (أحمد فاروق، 2013، ص70)

- **الملاحظة بالمشاركة:L'observation participant** هي التي يجريها الباحث أثناء مشاركته لمن يدرسهم في الأنشطة التي يقومون بها. ويغلب استخدام هذا النوع من الملاحظة بواسطة علماء الأنثروبولوجيا الذين يدرسون الأقوام البدائية حيث يعيش الباحث وسط أفراد المجتمع كواحد منهم ويشارك في الأنشطة التي يقومون بها ويجري ملاحظاته عما يجري وعن خبراته الشخصية. (بوحوش، الذنيبات، 2007، ص86)

الملاحظة بالمشاركة وهي طريقة منهجية في البحث الأنثروبولوجي، ترتبط بمالينوفوسكي (1922)، إلى أن أصبحت عنصرا أساسيا في الدراسة الميدانية في الأنثروبولوجيا الثقافية والاجتماعية المعاصرة. والواقع أن الملاحظة

بالمشاركة تكاد تمثل للكثير من الباحثين مرادفا للبحث في الأنثروبولوجيا أو الأثنوجرافيا. وقد دعا مالينوفسكي الى اطالة الفترات الزمنية للدراسة الميدانية، حتى تتاح للباحث الانثروبولوجي فرصة الاندماج في الحياة اليومية لأبناء مجتمع البحث. وبذلك يقلل من تأثير وجوده وتدخله الى أدنى حد ممكن. وبالتالي تسمح تلك الفترة الزمنية للباحث بالتوصل إلى فهم كامل للمعاني الثقافية، والإحاطة بالبناء الاجتماعي للجماعة وما يسوده من علاقات وظيفية متداخلة ومتبادلة بين العادات والمعتقدات التي تبدو للوهلة الأولى غير مترابطة ومستعصية على التفسير. والملاحظة بالمشاركة طريقة للبحث يتحتم توجيهها الى دراسة المجتمعات المحلية الصغيرة والثابتة نسبيا، والتي صارت بمثابة المجال المفضل للدراسة عند الأنثروبولوجي. ولا تزال ملاحظة بالمشاركة عنصرا أساسيا في البحث الأنثروبولوجي المعاصر. (شارلوت سيمور، 1992، ص650) والملاحظة بالمشاركة تمتاز بعدة مميزات منها أنها:

- تمتاز بصدق بياناتها وغزارتها لأنها تكون قد جمعت في بيئتها الطبيعية.
- تفسح المجال أمام الباحث بصفته عضوا في الجماعة أن يلاحظ جوانب السلوك الخفية وأن يتفهم سلوك أفرادها بشكل أدق وأن يقرأ المعاني التي ترتسم على وجوه أفرادها وأن يناقش موضوعات حساسة لا يجرؤ الباحث الغريب عن الجماعة أن يطرحها. (فوزي غرايبة وآخرون، 1981، ص35)
- تتميز الملاحظة بالمشاركة بكونها تلاحظ التواصل والتفاعل بطريقة طبيعية غير منظمة، حيث يتم تطوير تصميم البحث وتعديله في أثناء الملاحظة في علاقة مباشرة وجها لوجه وبأسلوب منفتح ومرن. (سارانتاكوس، 2017، ص408)

طريقة الملاحظة بالمشاركة تختلف عن طريقة الملاحظة البسيطة. ففي طريقة الملاحظة البسيطة يستعمل الباحث بصره واحاسيسه وادراكه فقط في تقصي الحقائق وجمع المعلومات واقتفاء الحوادث التي تقع في الحقل الاجتماعي، ومثل هذه الطريقة لجمع المعلومات لا تساعد العالم الاجتماعي أو الأنثروبولوجي في الحصول على المعلومات الذاتية والباطنية التي تتعلق بالحياة السيكولوجية والعقلية الأفراد المبحوثين ونحن نعلم بأن دراسة ذاتية في علم الاجتماع وعلم النفس وعلم الأنثروبولوجيا الاجتماعية أهم من دراسة الحياة الظاهرية للأفراد والجماعات والمؤسسات التي تهتم هذه العلوم بدراستها و فهمها واستيعاب جوانبها الكلية والشمولية. (بوحوش، الذنيبات، 2007، ص90)

2.4. طريقة الاستمارة (الاستبانة Questionnaire):

يمكننا تعريف الاستبيان بأنه أداة لجمع البيانات المتعلقة بموضوع بحث محدد عن طريق استمارة يجري تعبئتها من قبل المستجيب. (فوزي غرايبة وآخرون، 1981، ص53) فهي أداة مفيدة من أدوات البحث العلمي للحصول على حقائق، والتوصل الى الوقائع والتعرف على الظروف والأحوال ودراسة الموافق والاتجاهات والآراء المختلفة بالنسبة لمشكلة يعلجها الباحث. (رجاء وحيد دويدري، 2000، ص330)

إن استخدام الاستبيان في البحوث الأنثروبولوجية قد شهد بعض التغيرات مع مرور الزمن، ويتفاوت في درجة استعماله حالياً مقارنة بما كان عليه في السابق. هناك عدة عوامل تؤثر على هذا التغير:

- **التطور التكنولوجي** :بفضل التطور التكنولوجي، أصبح من السهل توزيع وجمع الاستبيانات إلكترونياً، مما يتيح الوصول إلى عينة أكبر وأكثر تنوعاً. هذا قد زاد من جاذبية استخدام الاستبيانات في البحوث الأنثروبولوجية الحديثة.
- **المنهجيات متعددة الأساليب** :هناك توجه متزايد نحو تبني منهجيات متعددة الأساليب في البحث الأنثروبولوجي، حيث يتم دمج البيانات النوعية والكمية للحصول على صورة أكثر شمولية. في هذا السياق، يمكن أن تكون الاستبيانات جزءاً من الأدوات المستخدمة لجمع البيانات.
- **التخصصات الفرعية:** بعض التخصصات الفرعية داخل الأنثروبولوجيا، مثل الأنثروبولوجيا الطبية أو الأنثروبولوجيا الاقتصادية، قد تعتمد بشكل أكبر على الاستبيانات لجمع بيانات كمية يمكن استخدامها لتحليل الاتجاهات والإحصائيات.
- **البحوث التطبيقية:** في البحوث الأنثروبولوجية التطبيقية، مثل تلك التي تُجرى لصالح المنظمات الحكومية أو غير الحكومية، يمكن أن يكون هناك اعتماد أكبر على الاستبيانات لجمع بيانات سريعة وموثوقة لتوجيه السياسات أو البرامج.
- **الاستجابة لتحديات البحث** :في بعض الأحيان، يمكن أن تواجه البحوث الأنثروبولوجية التقليدية تحديات في الوصول إلى المشاركين أو في جمع البيانات الميدانية بطرق تقليدية. في مثل هذه الحالات، يمكن أن تكون الاستبيانات وسيلة فعالة لجمع البيانات.
- **تطور التصميم الاستبياني** :تصميم الاستبيانات أصبح أكثر تطوراً ودقة، مما يسمح بجمع بيانات أكثر تعقيداً وتفصيلاً تتعلق بالجوانب الثقافية والاجتماعية.

مع ذلك، لا يزال هناك تفضيل قوي للمناهج النوعية التقليدية مثل الملاحظة بالمشاركة والمقابلات المتعمقة في العديد من الدراسات الأنثروبولوجية، خاصة تلك التي تهدف إلى فهم السياقات الثقافية بشكل أعمق وأكثر تفصيلاً.

غير أن درجة استخدام الاستبيانات في البحوث الأنثروبولوجية قد زادت إلى حد ما ولا يمكن الاستغناء عنه وقد يكون مكمل للمنهجيات النوعية التقليدية، فهو يعد من الأدوات المهمة في البحث الأنثروبولوجي، نظرا لتعدد مزاياه والتي هي منها:

- **جمع البيانات بشكل منهجي** :يساعد الاستبيان في جمع بيانات منتظمة ومنهجية من عدد كبير من الأفراد، مما يمكن الباحث من تحليل المعلومات بدقة واستنتاج النتائج بشكل أكثر موثوقية.

- **تنوع المعلومات:** يمكن للاستبيان أن يشمل مجموعة متنوعة من الأسئلة التي تغطي جوانب مختلفة من الموضوع المدروس، مما يساعد في الحصول على صورة شاملة ومعمقة للمجتمع أو الثقافة المدروسة.
- **الوصول إلى شريحة واسعة من الناس:** يمكن توزيع الاستبيان على نطاق واسع، سواء كان ذلك بشكل ورقي أو إلكتروني، مما يسمح للباحثين بالوصول إلى مجموعة كبيرة ومتنوعة من الأشخاص، وبالتالي جمع بيانات تمثل التنوع داخل المجتمع المدروس.
- **الكفاءة في الوقت والتكلفة:** يعد الاستبيان أداة فعالة من حيث الوقت والتكلفة مقارنة بالأساليب الأخرى مثل المقابلات الشخصية أو الملاحظات الميدانية، مما يمكن الباحث من جمع كمية كبيرة من البيانات في فترة زمنية قصيرة وبموارد أقل.
- **تحليل البيانات الكمية والنوعية:** يمكن أن يحتوي الاستبيان على أسئلة كمية (مثل الخيارات المتعددة) وأسئلة نوعية (مثل الأسئلة المفتوحة)، مما يمكن الباحث من تحليل البيانات بطرق متعددة والحصول على رؤى معمقة.
- **تسهيل المقارنة والتحليل الإحصائي:** يمكن أن تساعد الإجابات الموحدة التي يتم جمعها عبر الاستبيانات في إجراء مقارنات بين مجموعات مختلفة وتحليل البيانات باستخدام الأدوات الإحصائية، مما يعزز من دقة النتائج وموثوقيتها.
- **ضمان الخصوصية والراحة:** يمكن أن يشعر المجيبون بالراحة عند ملء الاستبيان لأنهم قد يكونون أكثر استعدادًا للكشف عن معلومات شخصية أو حساسة عندما يعرفون أن إجاباتهم ستظل مجهولة الهوية.

استعمال الاستبيان في البحث الأنثروبولوجي يمكن أن يكون مفيدًا جدًا إذا تم تصميمه وتنفيذه بشكل صحيح. يمكن أن يساعد في تحقيق فهم أعمق وأكثر شمولية للثقافات والمجتمعات المدروسة، وفي نفس الوقت يمكن أن يكون أداة فعالة من حيث الوقت والموارد.

3.4. طريقة الحالة الفرضية Hypothesis case:

تقوم هذه الطريقة على بناء افتراضات حول عناصر الظاهرة الاجتماعية/ ثقافية، يسعى البحث الى إثباتها والتحقق منها، حيث لا تظهر جماعة ما هذه العناصر إلاّ في حوادث أو حالات معينة.

وبناء على ذلك، تسعى هذه الطريقة الى فصل حالات في الحياة الناس تبعا لأشخاص وعلاقات وحوادث فرضية تتّفق مع النماذج السائدة فثقافة الجماعة، والتي يستخدمها الباحث لإدارة المناقشات وتوجيهها، مع أفراد الجماعة الموضوعة تحت الدراسة. ولذلك عندما تكون الحوادث مصطبغة بمعنى غيبي سحري مشؤوم، مثل

الولادة، أو عندما تتضمن مسائل الاقتصادية وقائع، لا يريد الفرد أن يكشف عنها إذا كانت تعنيه أو تعني شخصا آخر، يمكن أن تجري المناقشة بحرية إذا لم يكن الشخص المعني موجودًا. (الشماس، 2004، ص177)

4.4. المقابلة:

المقابلة من الأدوات الرئيسية لجمع المعلومات والبيانات في دراسة الأفراد والجماعات الإنسانية. كما أنها تعد من أكثر وسائل جمع المعلومات شيوعا وفاعلية في الحصول على البيانات الضرورية لأي بحث. والمقابلة ليست بسيطة بل هي مسألة فنية. (بوحوش، الذنيبات، 2007، ص75)

ويمكن تعريفها بأنها" تفاعل لفظي يتم بين شخصين في موقف مواجهة حيث يحاول أحدهما وهو القائم بالمقابلة ان يستثير بعض المعلومات أو التعبيرات لدى المبحوث، والتي تدور حول آرائه ومعتقداته."

يجد الباحث أن طريقة المقابلة الشخصية هي أفضل وسيلة لحصوله على المعلومات. رغم أنه يستطيع الحصول على حقائق أو آراء معينة بطرق مختلفة، الا أن هناك بعض البيانات التي لا يمكن الحصول عليها الا بالمقابلة وجها لوجه. وفي المناسبات متعددة يدرك الباحث أنه من الضروري رؤية وسماع صوت كلمات الاشخاص موضوع البحث. (فوزي غرايبة وآخرون، 1981، ص43)

تتكون المقابلة في أبسط صورها من مجموعة من الأسئلة والبنود التي يقوم الباحث بإعدادها وطرحها على الشخص موضوع البحث وجها لوجه، ويقوم الباحث بتسجيل الإجابات عليها بنفسه.

" لإن الباحث هو من يدير المقابلة ويستوجب أن يتميز بمهارات مهنية ليتمكن من تحفيز المبحوث باهتمام ولطف للاستجابة بالشكل الذي يمكن الباحث من الحصول على المعلومات الصحيحة وليس على الانطباعات، والمقابلة نوعين موجهة وغير موجهة، ونحن نعتقد أن طبيعة البحث الأنتروبولوجي تجعل من المقابلة الغير موجهة التقنية الأنجع خاصة وأن التوجه الحديث في البحوث الانتروبولوجية لا يعتمد على بناء الفرضيات المسبقة بل يدخل الباحث إلى الميدان بأكبر قدر من الحرية في التعامل مع موضوع البحث والمبحوثين .إن هذا التوجه أصبح مكرسا بعدما تنامى وعي الباحثين في العلوم الاجتماعية بأن على الباحث أن يسعى من خلال بحثه للوصول إلى إجابات للأسئلة التي تفرضها طبيعة الموضوع لا تلك الأسئلة التي يطرحها الباحث انطلاقا من اهتماماته الخاصة .كذلك نعتقد أن الفرضيات في البحث هو استلاب من حيث أن الباحث يتحول إلى عبد لتحقيق تلك الفرضيات.

وتتميز تقنية المقابلة الغير موجهة على نظيرتها المقابلة الموجهة من حيث أنها تسمح للمبحوث للتعبير عن ذاته دون عوائق نفسية فالباحث الانتروبولوجي يحاور الإخباريون دون اللجوء إلى الأسئلة المعدة مسبقا أو الأسئلة المغلقة .إنه يفتح مجالا للحوار والحديث حول موضوع مستخدما استراتيجية منظمة ليمكن المبحوث من التعبير عن ذاته وقيمه ومعتقداته وممارساته دون الإحساس بالضغط كما هو الحال عندما يتعلق الأمر بالأسئلة

المباشرة والموجهة التي تتطلب التفكير وتتيح المجال لتحويل الأفكار وتزييفها .إن المقابلة الغير موجهة تتيح الاسترسال الذي إذا ما تمكن الباحث من إدارته بلباقة من خلال التدخل في الوقت المناسب وبالشكل المناسب لتمكن من جمع أكبر مادة عن المبحوثين. (سيكوك وقريصات، 2014، ص111)

من خلال ما سبق نجد أن المقابلة كونها أحد الأدوات الأساسية في البحث الأنثروبولوجي، تتيح للباحث جمع معلومات غنية ومفصلة عن الثقافات والمجتمعات المختلفة من خلال التفاعل المباشر مع الأفراد. وفي عصرنا الحالي، ازدادت أهمية المقابلة نظراً للتغيرات السريعة التي تشهدها المجتمعات بفعل العولمة والتكنولوجيا. تساعد المقابلة الباحثين على فهم الأبعاد المختلفة للحياة اليومية للأفراد، بما في ذلك العادات والتقاليد والمعتقدات والقيم. كما تمكنهم من الوصول إلى معاني أعمق ومعقدة قد لا تكون واضحة من خلال وسائل البحث الأخرى. بالإضافة إلى ذلك، تساهم المقابلة في بناء علاقة ثقة بين الباحث والمجتمع المدروس، مما يعزز من دقة وصدق البيانات المجمعة. في ظل التحديات المعاصرة، مثل التنوع الثقافي المتزايد والحاجة إلى فهم ديناميكيات الهوية والانتماء، تبقى المقابلة أداة لا غنى عنها لفهم التحولات الاجتماعية والثقافية بعمق وفعالية.

5.4.طريقة الاخباريين:

تعد طريقة الإخباريين واحدة من الطرق الأساسية في البحث الأنثروبولوجي، حيث تعتمد على جمع المعلومات من أفراد معينين يُطلق عليهم "الإخباريين" Informants. هؤلاء الإخباريون يمتلكون معرفة واسعة وثقة في موضوع البحث، وغالبًا ما يكونون من داخل المجتمع المدروس. فهُم الأشخاص العارفون بـ "النشاط"، أو" الحدث" ، أو " القضية " موضوع البحث، بمعنى ان الباحث الأنثربولوجي، إذا اراد مثلا ان يقوم بجمع مادة علمية حول" التنشئة الاجتماعية للأبناء "فعليه في هذه الحالة ان يسأل الآباء عن اساليب تعاملهم مع الأبناء من الجنسين من حيث التوجه والمراقبة والنصح والعقاب والتدريب... الخ، كما ان عليه ان يسأل ايضا المشتغلين بالتربية والتعليم والتقويم ويسأل الأجداد حول رؤيتهم لطرق التربية المعاصرة، كما يسأل الأبناء في رؤيتهم للمعاملة التي يلقونها داخل الأسرة. (مختار رحاب، 2014، ص09)

تهدف هذه الطريقة إلى فهم العادات، والتقاليد، والمعتقدات، والقيم من خلال منظور الأفراد الذين يعيشون تلك التجارب". وهذا لا يعني أن يكتفي الباحث الانثروبولوجي بتلك المعلومات والتفسيرات التي يحصل عليها عن طريق الاخباريين بل عليه ان يتحقق بنفسه من كل ما يذكر أو يقال له، ومن ثم فإنه يتخذ من الإخباريين مدخلا للاندماج في المجتمع والتعرف عليه، لذلك لابد أن يستعين الباحث الأنثروبولوجي في دراسته الحقلية بعدد من الأشخاص الذين يشغلون مراكز وأوضاع أساسية في مختلف قطاعات البناء الاجتماعي ويفترض أن يكون لدى هؤلاء الإخباريين معرفة تفصيلية بالثقافة السائدة. ومن المواد التي يفيد منها الباحث الانثروبولوجي، والتي يحصل عليها من بعض الاخباريين، تلك المادة السجلة سواء كانت صورا فوتوغرافية، أو أشرطة تسجيل مسجل عليها

مواد ثقافية عديدة، أو أفلاما لبعض الأنشطة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية، يمكن أن تفيد الباحث فائدة محققة في إجراء بحثه والإلمام بعناصر البناء الاجتماعي لمجتمع بحثه". (مصطفى عمر وآخرون، 2008، ص123)

لذلك تعتبر طريقة الإخباريين فعّالة في البحث الأنثروبولوجي لأنها توفر نظرة عميقة ومباشرة إلى حياة وثقافة المجتمع المدروس من خلال الأشخاص الذين يعيشونها يوميًا.

6.4. الطريقة الجينيالوجية approche généalogique:

الطريقة الجينيالوجية في الأنثروبولوجيا هي أسلوب بحثي يستخدم لتتبع الأنساب والعلاقات الأسرية في المجتمعات المختلفة. تهدف هذه الطريقة إلى فهم الهياكل الاجتماعية وديناميكيات القوة والعلاقات بين الأفراد والمجموعات من خلال تحليل أنماط النسب والزواج والتحالفات الأسرية.

كان ريفرز (W. H. R. Rivers) من الرواد في تطوير الطريقة الجينيالوجية، فقد وضع أسس هذه الطريقة في الأنثروبولوجيا أثناء عمله ضمن بعثة جامعة كامبريدج إلى جزر توريس ستريت في عام 1898 م، وهي تقوم على أساس تتبع العلاقات بين الإخباري وسائر المرتبطين به قرابيا، وتسجيل ما يراه من بيانات تشمل الأسماء والأنواع وتواريخ الميلاد والزواج والطلاق والوفاة والإقامة و أنواع الروابط الزواجية، والعمل، وغير ذلك من البيانات التي تفيد موضوع الدراسة ,ويقوم الباحث باستخلاص هذه المعلومات في مذكراته خلال العمل الحقلي، ثم يقوم بعد ذلك بتفريغها في أية صورة تساعد على فهم العلاقات ولقاء الضوء على التنظيم الاجتماعي القائم، وعندما توضع هذه البيانات في صورة تخطيط هندسي فإنها تعبر تعبيرا سريعا وواضحا عن العلاقات والارتباطات وينبغي ان ينتبه الباحث منذ البداية إلى أهمية الحرص على تفهم معاني المصطلحات من وجهة نظر الأهالي بمعنى الأبوة الاجتماعية والبيولوجية , ومعنى البنوة المستمدة من الميلاد او الرضاعة او التبني او غيرها ,وكذلك طريقتهم في تقدير الأعمار وحساب التواريخ. (مختار رحاب، 2014، ص08)، من خلال ما سبق نجد أن ريفرز استخدم هذه الطريقة لجمع وتحليل بيانات الأنساب والعلاقات الأسرية للسكان المحليين، وقد ساهمت أعماله بشكل كبير في تطوير الدراسات الأنثروبولوجية للقرابة والهياكل الاجتماعية، وأصبحت جزءا أساسيا من المنهج الأنثروبولوجي فيما بعد.

رادكليف براون (A. R. Radcliffe-Brown) وكلود ليفي ستراوس (Claude Lévi-Strauss):

على الرغم من أن راد كليف براون وليفي ستراوس قد ساهموا بشكل كبير في دراسة القرابة والهياكل الاجتماعية، إلا أن أعمالهم جاءت بعد تأسيس ريفرز للطريقة الجينيالوجية. رادكليف براون وليفي ستراوس استخدموا الطريقة الجينيالوجية كجزء من أبحاثهم الأوسع في الأنثروبولوجيا البنيوية والوظيفية، وقدموا إضافات هامة لفهم الديناميات الاجتماعية والرمزية للقرابة.

- **رادكليف براون:** ركز على العلاقات القرابية كجزء من البنية الاجتماعية وكيف تسهم في الحفاظ على النظام الاجتماعي.

- **كلود ليفي ستراوس:** استخدم الطريقة الجينيالوجية لفهم العلاقات الرمزية والهياكل القرابية في مختلف الثقافات، كما ورد في كتابه: "**الهياكل الأولية للقرابة Les Structures élémentaires de la parenté**".

وهناك غيرهم من استخدموا هذه الطريقة في دراساتهم ومن هذه الأعمال نذكر أيضا **فوكو، ميشيل،** "المراقبة والمعاقبة: ولادة السجن". يُعتبر فوكو من الباحثين الذين استخدموا المنهج الجينيالوجي في تحليل الأنظمة العقابية وتطورها.

طور هذه الطريقة البنيويون واستخدمت في دراسة المجتمعات البدائية والبدوية التقليدية نظرا لطبيعة العلاقات فيها، وهي تتأسس على الدراسة البنيوية لشجرة النسب l'arbre généalogique وتقسم هذه الطريقة الجماعات في المجتمعات المدروسة حسب أشجار الأنساب"الفردية "و" القبلية "و" العرفية".

تتبع أشجار الأنساب طريقة تسمح باسترجاع ذاكرة أفراد العائلة وكل الأحداث التي لها دلالات تمكننا من التعرف على تاريخ الأسرة والانتماء العائلي وأن الأفراد ليسوا نتاج أبناءهم فقط بل هم نتاج عالم من قبل يتموقعون في منظور تحول وانتقال من جيل إلى جيل يدفعنا للبحث في الجذور والهوية، وتستخدم الطريقة الجينيولوجية:

- للبحث في التحولات والظواهر المتواترة من جيل إلى جيل وتكشف عن الأسرار العائلية وتداول الخرافات، كما تسمح بالتعرف على آثار الصدمات غير المتجاوزة من طرف الأفراد ووضعيات الأطفال وتحولاتهم وتأثير صدمة الموت في اللاشعور الجمعي .
- تأخذ هذه الطريقة بعين الاعتبار أيضا الأدوار العائلية والقواعد لفهم النماذج التحولية في لعب الأدوار داخل العائلات وفي فضاءات المجتمع المحلي.
- كما تسمح الطريقة الجينيالوجية بالتعرف على الذات العائلية والتوترات الاجتماعية من علاقات وتفاعلات وسلوكات فردية واجتماعية على مختلف المستويات :الاقتصادية من خلال أسلوب الإنتاج وأنماط المعيشة والكسب والاهتمامات المهنية .السياسية من خلال تطور القيادة داخل الجماعة وتمثل الزعامة .
- إن هذه الطريقة تسعى إلى فهم التوترات الباطنية من خلال ما هو ظاهري في العائلة ومنه في المجتمع. (سيكوك وقريصات، 2014، ص112)

وعموما استخدامات الطريقة الجينيالوجية تكمن في:

-**الدراسات الإثنوغرافية:** تستخدم لفهم المجتمعات التقليدية التي تعتمد بشكل كبير على العلاقات الأسرية.

-**البحوث التاريخية:** تستخدم في تتبع تاريخ العائلات وتأثيرها على تطور المجتمعات.

- **الدراسات الأنثروبولوجية الحديثة:** تستخدم في تحليل التغيرات في الهياكل الأسرية في المجتمعات المعاصرة.

ولقد ساعدت نظريات كل من: **جون بوان John R. Bowen** و**جوناتان فريدمان Jonathan Friedman** و**ميشال غيران Michel Guérin** في فهم التنظيمات العائلية ويعتمد الباحث الأنثروبولوجي على "**أشجار الانساب الفردية** " أكثر لأنها تدرس بعمق العلاقات القرابية والنماذج الثقافية ومعاش الأسر وأنماط الاختيار الزواجي خاصة في المجتمعات القبلية حيث يهتم الأفراد بتتبع انتماءاتهم القرابية وانتقال وتداول النماذج الثقافية عبر الأجيال، بالمقابل يظهر ذلك الاهتمام ضعيفا في المجتمعات الحضرية أين تتباعد العلاقات القرابية وتظهر العلاقات مرتبطة أكثر بالمصالح المشتركة والاتجاهات كما هو الحال في التجمعات السكانية الحديثة". (سيكوك وقريصات، 2014، ص112)

المحـــور الثاني عشر

علم الآثار Archaeology

علم الآثار(Archaeology):

يعد علم الآثار، لا سيّما في التقاليد الأكاديمية الأمريكية، أحد الفروع الرئيسة لعلم الإنسان (الأنثروبولوجيا) الذي يهتم بدراسة الإنسان ماديًا وثقافيًا عبر الزمان والمكان. ويُعنى علم الآثار تحديدًا بدراسة التراث المادي للإنسان من خلال ما خلّفه من أدوات، ومساكن، ونقوش، وهياكل، وغيرها من الشواهد التي تساعد على إعادة بناء أنماط الحياة والممارسات الاجتماعية والرمزية للمجتمعات الماضية.

أما في أوروبا، فيرتبط علم الآثار أكثر بميدان التاريخ، غير أنه يختلف عنه في طبيعة مصادره ومنهجيته؛ فبينما يعتمد المؤرخون أساسًا على الوثائق والسجلات المكتوبة لتتبع مسيرة الشعوب، يعتمد علماء الآثار على الشواهد المادية للكشف عن مراحل تطور الحضارات الإنسانية، وأسباب التحولات الكبرى التي عرفتها، كظهور الزراعة، وتأسيس المدن، وتطور شبكات التجارة، وانهيار المدنيات القديمة مثل حضارة المايا أو الرومان.

وتبرز هذه المقاربة التكامل بين علم الآثار والأنثروبولوجيا، إذ يُعتبر علم الآثار فرعًا من فروع الأنثروبولوجيا الأربعة الكبرى إلى جانب الأنثروبولوجيا الثقافية، واللغوية، والفيزيائية. فالأنثروبولوجيا تدرس الإنسان في شموليته –جسدًا وثقافةً وسلوكًا– بينما يركّز علم الآثار على البعد المادي لتلك الثقافة، أي على ما تركه الإنسان من بقايا تعبّر عن حياته ومعتقداته وتنظيمه الاجتماعي.وبذلك يُعدّ علم الآثار الجانب التاريخي والمادي للأنثروبولوجيا، إذ يقدّم الأدلة الملموسة التي تساعد في تفسير الظواهر الثقافية ضمن سياقها الزمني الطويل، سنعرض فيما يلي نشأة علم الآثار ومفهومه مع إبراز أهم أهدافه وعلاقته بالأنثروبولوجيا، بوصفها الإطار النظري الأوسع لدراسة الإنسان في كليّته.

1. نشأة وتطور علم الآثار:

اهتم علم الآثار في بداية نشأته بوصف ما خلفه الإنسان من أشياء وفنون متعددة ومعرفة الحضارات المنقرضة من قبل بعض الرحالة والهواة في كثير من بلدان العالم القديم، هذا الاهتمام لم تكن له طريقة خاصة أو أسلوب مميز. وبهذا يمكن لنا أن نقول بأن هيرودوت هو أب علم الآثار من خلال أثره الموسوم "**الإلياذة والأوديسة**"، إذ قدم لنا بعض الأوصاف والتطبيقات العملية ونقلنا الى خارج الزمن الحاضر. (علي حسن، 1993، ص18–19)

ونشأة علم الآثار حسب بروس تريغر: يرجع **بروس تريغر** بدايات علم الآثار إلى القرن الثامن عشر، حين بدأ الأوروبيون يدركون أن الأرض والإنسان أقدم مما ورد في الروايات الدينية التقليدية. وقد تطور هذا الإدراك تدريجياً بفضل تراكم الملاحظات الجيولوجية والاكتشافات المادية التي كشفت عن عصور ما قبل التاريخ.وورد عنه مراحل تطور علم الآثار كالآتي:

- **الجذور الأولى:** يُشير **بروس تريغر (Bruce Trigger)** في الفصول الأولى (خاصة الفصلين الأول والثاني) إلى أن الجذور الأولى لعلم الآثار تعود إلى ما قبل القرن التاسع عشر، حين كان الاهتمام بالماضي يقتصر على جمع التحف والنقوش القديمة لأغراض جمالية أو فضولية، دون اتباع أي منهجية علمية.وقد وصف هؤلاء الأشخاص بالفعل بأنهم("**Antiquarians**"**محبو العاديات)**، أي أولئك الذين كانوا يجمعون القطع الأثرية من المقابر أو المواقع القديمة بهدف اقتنائها أو عرضها، وليس من أجل دراستها علميًا أو تفسيرها تاريخيًا.يقول **تريغر** في هذا السياق: "كان الاهتمام بالماضي في القرنين السابع عشر والثامن عشر محصورًا في جمع الآثار الكلاسيكية والمصنوعات القديمة من أجل قيمتها الجمالية أو النادرة، أكثر من كونه سعيًا إلى الفهم العلمي للمجتمعات الماضية. وقد شكّل هؤلاء المحبون للعاديات النواة التي مهّدت لظهور علم الآثار المنهجي في القرن التاسع عشر". (Trigger, 2006, p 123)
- **الثورة الجيولوجية وتأثيرها:** شهد القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر تحولًا جذريًا في النظرة إلى الزمن الطبيعي والتاريخ الإنساني، بفضل ما يُعرف بالثورة الجيولوجية. فقد قدّم علماء الجيولوجيا مثل: **جيمس هاتون (James Hutton)** و**تشارلز لايل (Charles Lyell)** تصورًا جديدًا للأرض يقوم على فكرة العمق الزمني الطويل(Deep Time) ، مؤكدين أن الطبقات الجيولوجية تتكون تدريجيًا عبر عمليات طبيعية بطيئة تمتد لملايين السنين، وهو ما عُرف لاحقًا بمبدأ **الوتيرة الواحدة (Uniformitarianism)**. وقد كان لهذا التحول أثر بالغ في الفكر الأثري، إذ أتاح للباحثين إمكانية تفسير الطبقات الأرضية بوصفها تسلسلًا زمنيًا يمكن من خلاله تتبع النشاط الإنساني القديم. ومع تزايد الاكتشافات الميدانية، أدرك العلماء أن الأدوات الحجرية والعظام التي عُثر عليها في طبقات عميقة لا تعود إلى عصور تاريخية قريبة، بل إلى مراحل سحيقة من عمر الإنسان، مما مهّد لظهور مفهوم "الإنسان ما قبل التاريخ". (Trigger, 2006, p 130)
- **اكتشاف الإنسان ما قبل التاريخ:** ويشير **تريغر** إلى أن الاعتراف بوجود إنسان ما قبل التاريخ مثّل نقطة التحول الحاسمة في نشأة علم الآثار كعلم مستقل. فقد تم في منتصف القرن التاسع عشر، تحديدًا في مواقع مثل **سان أشيل (Saint-Acheul)** في فرنسا، العثور على أدوات حجرية مصاحبة لعظام حيوانات منقرضة داخل طبقات أرضية غير مضطربة، ما وفر دليلًا قاطعًا على أن الإنسان عاش في عصور موغلة في القدم سبقت الكتابة والتاريخ المدون.لقد أدى هذا الاكتشاف إلى إعادة تعريف الإنسان نفسه وتاريخه، وغيّر المفهوم السائد الذي كان يربط نشأة الإنسان بفترات

حديثة نسبيًا. من هنا اعتبر تريغر أن منتصف القرن التاسع عشر هو اللحظة التأسيسية لعلم الآثار العلمي. (Trigger, 2006, p 138-143)

- **ظهور المناهج الأولى:** وفي النصف الثاني من القرن نفسه، بدأت تتبلور المناهج العلمية الأولى في البحث الأثري، حيث تم الانتقال من مرحلة الهواية إلى **مرحلة العلم المنظم** .ويرى تريغر أن هذه الفترة شهدت ظهور أساليب أساسية مثل **التأريخ الطبقي (Stratigraphy)** الذي يقوم على مبدأ ترتيب الطبقات الأرضية من الأقدم إلى الأحدث، و**التصنيف النمطي (Typology)** الذي يعتمد على تحليل شكل الأدوات وتطورها الزمني.أتاح هذان المنهجان للباحثين إمكانية بناء تسلسل زمني نسبي للثقافات القديمة على أسس علمية، مما منح علم الآثار طابعًا استقرائيًا تجريبيًا (Trigger, 2006, p 150).
- **التأسيس الأكاديمي:** وبحلول أواخر القرن التاسع عشر، أصبح علم الآثار أكثر تنظيمًا واحترافية، حيث أُنشئت أولى الجمعيات والمعاهد الأثرية في أوروبا، وبدأ تدريسه في الجامعات كمادة أكاديمية .وفي هذا السياق يؤكد تريغر أن علم الآثار انتقل نهائيًا من كونه نشاطًا للهواة إلى كونه علمًا تاريخيًا تجريبيًا (Historical and Empirical Science)، هدفه لم يعد مجرد جمع التحف، بل فهم الإنسان والمجتمع من خلال بقاياه المادية.(Trigger, 2006, p 162)

يرى تريغر أن نشأة علم الآثار لم تكن لحظة واحدة، بل عملية تطور فكري امتدت قروناً، بدأت بالفضول الجمالي، وتطورت مع العلوم الطبيعية، حتى أصبحت منهجاً علمياً لدراسة الإنسان في ماضيه الطويل.

2. تعريف علم الآثار Archaeology :

علم الآثار هو تعريب لكلمة أركيولوجي بالفرنسية Archéologie وبالإنجليزية Archéology، وهي مشتقة من الكلمتين اليونانيتين (Archaia) و (Logos) ، وتعني الأولى البداية، قديم أو عتيق، بينما الثانية تعني علم أو دراسة. بمعنى أن الأركيولوجيا هو العلم الذي يقوم بدراسة ماضي الإنسان من خلال ما تركه من مخلفات بطرق العلم الحديث. (زيدان عبد الكافي، 2004، ص20)

يتطلب العمل الأثري دقة متناهية من خلال استخدام أساليب علمية حديثة كالمسح الميداني (التحري)، والتنقيب الأثري، والتوثيق، والتصوير الجوي... إلخ. إذا علم الآثار هو دراسة الحضارة الإنسانية من خلال كشف، وتوثيق، وتسجيل وتحليل البقايا المادية من مصنوعات يدوية، وحقائق حيوية، وبقايا بشرية لغرض كتابة تاريخ الإنسان القديم بصورة زمنية تسلسلية بغرض عرض أحداثه، وإبراز منتجاته وإيضاح درجة تطور أو تدهور حضارته. (علي حسن، 1993، ص12)

أما دائرة المعارف الأمريكية فتعرفه على أنه: "العلم الذي يتعامل مع ماضي الإنسان بهدف اكتشاف تاريخه، وصياغة تسلسل الأحداث التي شهدتها حقب ما قبل التاريخ والحقب التاريخية المبكرة".(غلين دانيال، 2000، ص17)

وينقسم علم الآثار بصفة عامة له فرعين هما :

- **علم أثار ما قبل التاريخ** :هو فرع يهتم بماضي الإنسان قبل المعرفة بالكتابة ويرجع إلى عهد المجموعات البشرية المبكرة التي عاشت في شرق إفريقية، التي يعود تاريخها إلى مليونين ونصف مليون سنة خلت، أو ربما يزيد على ذلك .
- **علم الآثار القديمة:** يختص بالمخلفات المادية للحضارة البشرية التي عرفت الكتابة. (غلين دانيال، 2000، ص15)

3. أهداف علم الآثار:

يسعى علماء الآثار إلى تحقيق مجموعة من الأهداف العلمية والإنسانية من خلال اهتمامهم بالمخلفات المادية التي خلّفتها الشعوب عبر العصور. ويُعدّ هذا العلم وسيلة أساسية لإعادة بناء تاريخ الإنسان وفهم مسار تطوره الثقافي والاجتماعي عبر الزمن.من بين أبرز أهداف علم الآثار:

- التعرف على حياة الإنسان في الماضي من خلال اكتشاف ودراسة المواقع الأثرية المنتشرة في مختلف مناطق العالم، وتتبع تطوره وانتشاره على سطح الأرض. ويهدف ذلك إلى إعادة تركيب أنماط الحياة والإنجازات البشرية منذ العصور الحجرية الأولى وحتى فجر الحضارات التاريخية، بالاعتماد على أساليب البحث العلمي الحديثة مثل التصوير الجوي، والمسح الميداني، وعمليات الحفر الأثري الدقيقة، والتحليل المخبري للقى.
- فهم طبيعة الثقافات الإنسانية القديمة وإعادة بناء التاريخ الثقافي للشعوب عبر دراسة وتحليل محتويات المواقع الأثرية في سياقاتها الزمانية والمكانية، مما يتيح اشتقاق التسلسل الزمني والثقافي لتطور الإنسان، والتعرف على أنماط تفكيره وسلوكه وعلاقته ببيئته الطبيعية والاجتماعية.
- دراسة تطور الحياة البيولوجية والسلالات الإنسانية من خلال ما تكشفه البقايا البشرية من خصائص تشريحية، تساعد في تفسير التغيرات التطورية التي مرّ بها الإنسان عبر العصور.
- كما يهدف علم الآثار إلى تحديد العلاقة بين الإنسان وبيئته، وفهم كيفية تكيّفه مع الظروف الطبيعية، واستثماره للموارد المتاحة في بناء الحضارات.
- ويُعنى أيضًا بالحفاظ على التراث الثقافي والإنساني، وصون المواقع الأثرية من الاندثار، لما تحمله من قيمة رمزية وتاريخية تمكّن الأجيال المعاصرة من إدراك جذورها وفهم مسارها الحضاري.

وباختصار، فإن علم الآثار لا يقتصر على جمع الآثار وتصنيفها، بل يتجاوز ذلك إلى تحليل المعاني والسلوكيات الإنسانية الكامنة وراءها، في سبيل فهم شامل لتاريخ الإنسان وثقافته وتفاعله مع البيئة عبر العصور.

4. علم الآثار وعلاقته بالأنثروبولوجيا:

تعد أهمية علم الآثار بالغة في كونه يربط الماضي بالحاضر، إذ يمدّ الأنثروبولوجيا بالمعطيات المادية التي تساعدها على فهم تطور الإنسان وثقافته وسلوكياته عبر الزمن .فمن خلال دراسة البقايا الأثرية، يتمكن الباحث من تفسير كيفية نشوء المجتمعات البشرية، وتطور أنماط الإنتاج، والعلاقات الاجتماعية، والأنظمة الرمزية والدينية التي ميّزت كل مرحلة تاريخية.

كما يساهم علم الآثار في تغذية الوعي التاريخي والحضاري لدى الأفراد والمجتمعات، من خلال إبراز الجذور العميقة للهوية الثقافية، وتعزيز الانتماء للتراث الإنساني المشترك، ولا يقتصر دوره على الجانب الأكاديمي فحسب، بل يمتد إلى خدمة التنمية الثقافية والسياحية عبر حماية المواقع الأثرية وتثمينها كمصادر للتربية والتثقيف والاقتصاد الثقافي.

وبذلك، يشكل علم الآثار ركيزة أساسية في الأنثروبولوجيا المعاصرة، لأنه يوفر قاعدة معرفية دقيقة تساعد على فهم الإنسان في كليّته: ماضيه، وحاضره، وتفاعله المستمر مع بيئته ومجتمعه.

- **علم الآثار والأنثروبولوجيا الاجتماعية:** إن دراسات الأنثروبولوجيا الاجتماعية التي تهتم بدراسة المجتمعات البشرية وبُناها وأنساقها، تشكل دعامة مهمة لعلم الآثار في تفسيره لمادته الأثرية التي تنشأ في حالة اجتماعية ما وتتأثر بها وتؤثر بها أيضاً.
- **علم الآثار والأنثروبولوجيا الحيوية (الفيزيقية):** كون النوع الإنساني له تاريخ تطوري بيولوجي كشفت عنه الدراسات الأنثروبولوجيا الطبيعية فبالتالي إن المخلفات الأثرية المرتبطة بالتسلسل التطوري للبشر تشكل حلقة وصل بين العلمين، ويتضح هذا في أدوات الهوموراركتوس والنيدرتال والعاقل، وفي هذا المجال نجد الآثاري الأنثروبولوجي يعملان في نفس الحفرية، فاللقى البيولوجية للإنسان يدرسها الأنثروبولوجي واللقى الدالة على النشاط الإنساني (مصنوعات، رسوم، آثار استيطان) يدرسها الآثاري. (محمد نادية، 2006، ص254-255)، كما تواصلت هذه العلاقة بشكل لا أساس علمي له، وذلك في دراسة الأنثروبولوجية للسلالات البشرية ما بعد الإنسان العاقل ومحاولة المفاضلة بينها وربط الآثار المميزة والحضارة بسلالات بشرية معينة.
- **علم الآثار والأنثروبولوجيا الثقافية:** كون علم الآثار معني بالكشف عن الماضي الثقافي للمجتمعات الإنسانية وهذا الموضوع هو نفسه جزئ مما تتناوله الأنثروبولوجيا الثقافية في دراستها

لثقافة المجتمعات الإنسانية في الماضي والحاضر، وقد نتج عن العلاقة بين العلمين منطلقات بحث مشتركة يمكن تعداد منها:

- ✓ التركيز على ما يتكرر في السلوك الإنساني وليس على الحالات الفردية.
- ✓ محاولة الكشف عن وجود وحدود ظاهرة الانتشار الثقافي.
- ✓ الاهتمام بالعامل البيئي وتأثيره على الثقافة.
- ✓ وضع فرضيات وتخمينات لفهم وتفسير الثقافة. (محمد نادية، 2006، ص252)

5. أهمية التنقيب في علم الآثار وعلاقته بالأنثروبولوجيا:

إن فكرة التنقيب من الآثار التي تتكرر مرارًا وتكرارًا في صورتنا العقلية عن الباحث الأنثروبولوجي أو مشروع حقل الآثاري غالبا ما يشار اليها ب" **التنقيب**". ولكن ليس معروفًا عموما هو النمط العالي في التنقيبات التي يستخدمها الآثاري في انجاز أهداف عمله الميداني:

- العناية الدقيقة أن ألا تتضرر المواد المكتشفة في عملية التنقيب.
- تسجيل موقع ومحيط كل شيء مكتشف برسوم وملاحظات وصور فوتوغرافية لكي يستطيع الآثاري فيما بعد أن يثبت الدقة تامة أي مواد وجدت في الاكتشاف تعود معًا في جمع خاص من المواد لحقبة خاصة من الزمن، كما تتمثل مثلا: في مستويات المواد المستودعة–علم الطبقات– في موقع معين.
- جمع المواد المهمة المترابطة، تجمع وتسجل: عينات من التربة، بقايا مواد حيوانية ونباتية، أنماط صخور ونماذج جيولوجية أخرى، وكل انواع المواد الاخرى المتعلقة بالآثار الباقية أو المبادئ أو الأشياء المقابر أو المجوهرات أو الاعمال الفنية أو الأدوات الحجرية أو الاسلحة او الاعمال اليدوية الأخرى التي يكتشف الآثاري النقاب عنها.
- إن الآثاريين الهواة الممولين جيدا الذين ينقلون تقارير عن اكتشاف **مدن ضائعة** و**أعمال فنية رائعة** و**كتابات غير مترجمة**، غالبا ما يتبين أنهم مخربو مواد آثارية لأنهم لا يولون عناية فائقة بمتطلبات رسم خرائط وتسجيل ما ذكر آنفا. وحين يجري التنقيب على لقية آثارية من غير عناية فائقة فليس ثمة أي طريقة لتثبيت تعاقب أزمان المواد وعلاقات الأشياء المختلفة بعضها ببعض، والمعلومات الأخرى الحاسمة الدراسة العلمية. ان الآثاري يشبه بطريقة ما المتحري عن إيجاد مفاتيح يبحث عنها، غالبا ما تكون حاذقة جدا.

ولأجل الحفاظ على المعلومات والمواد، فإن على الآثاري أن يجلب مختبرًا محمولا إلى موقع العمل الميداني. وبعد أن ينصب جهازه في موقع آثاري (غالبا ما يكون اختيار موقع نفسه نتيجة شهور من العمل في الاستكشاف والمسح المضنيين) يرسم الآثاري المخطط التمهيدي الرئيس الذي سيعمل ضمنه. تقسم الأماكن التي سيجرى

التنقيب فيها الى قطع تقاس جيدًا، قد تكون مربعات لمساحة كل مربع أربع أقدام مربعة مثلا، ويبدأ كل منقب العمل في قطعة خاصة به بعناية شديدة لئلا يتلف اي مادة يستخرجها من الأرض. وحين يجد الآثاري أي شيء مهم – آلة، هيكل عظمي، كسرة من عمل فني–فإنه يكشفه ببطء شديد، ويستعمل أحيانًا أدوات مثل عيدان تنظيف الأسنان، وفرش الأسنان، وفرش الرسم الصغيرة لكي يتجنب إتلاف المواد الرقيقة. من غير تدريب خاص على هذه التقنيات، فإن المنقب يكسر ويحطم كثيرا من الأشياء المكتشفة. (بيرتي ج بيلتو، 2010، ص57)

تكتسب أهمية التنقيب الأثري من كونه أداة لاستكشاف تطور المجتمعات الإنسانية: من أنماط المعيشة إلى التنظيم الاجتماعي والمعتقدات، ما يمكّننا من فهم كيف عاش البشر في عصور مختلفة وكيف تفاعلوا مع بيئتهم ومع بعضهم البعض. هذا الفهم المادي الموجه من خلال التنقيب لا يوفر فقط معلومات عن الماضي، بل يقدّم منظورًا على الجذور الثقافية والهوية، ويساعد على صون التراث الحضاري.فهو يُتيح فهماً أعمق لتطور المجتمعات البشرية من خلال تتبع مسارات التحول الثقافي والاقتصادي والديني، مما يجعل علم الآثار ليس مجرد دراسة للماضي، بل أداة لفهم الحاضر وإدراك جذور الهوية الإنسانية المشتركة. فكما أشار Trigger ، فإن علم الآثار لا يقتصر على جمع التحف بل أصبح يُعنى بفهم الإنسان والمجتمع من خلال مادّته المادية.

كما أوضّح بروس تريغر أن علم الآثار، يمثل علمًا متطورًا ليس فقط لفهم الماضي المادي، بل لاستعادة الذاكرة الإنسانية من خلال بقايا الحضارات القديمة وتحليلها بطريقة علمية. التنقيب الأثري – كما يشير تريغر – ليس مجرد جمع تحف، بل عملية بحث ميداني منهجي، تستند إلى أساليب علمية مثل الطبقية والتصنيف، لاستنباط معلومات تاريخية وثقافية دقيقة. (Trigger, 2006, p 532–540)

من جهة أخرى، العلاقة بين علم الآثار والأنثروبولوجيا –وفق منظور تريغر– هي علاقة تكاملية وأساسية. (Trigger, 2006, p 538–542) علم الآثار يغذّي الأنثروبولوجيا بتحليل البُعد المادي للثقافة، بينما توفر الأنثروبولوجيا الإطار النظري لفهم المعاني الرمزية والبشرية للبقايا الأثرية. وبهذا، يصبح علم الآثار فرعًا من فروع الأنثروبولوجيا، يُكمّلها في دراسة الإنسان ككائن مادي وذو ثقافة.

ومما سبق، نفهم أن العلاقة بين علم الآثار والأنثروبولوجيا يتيح رؤية شمولية للإنسان، تجمع بين البعد المادي والرمزي، بين الماضي والحاضر، وتُبرز أنّ دراسة الإنسان لا تكتمل إلا عبر التكامل بين التنقيب الميداني والتحليل الثقافي. ومن هنا، فإن علم الآثار، بما يقدمه من معطيات علمية دقيقة، يظلّ ركيزة أساسية لكل مشروع يسعى إلى فهم الإنسان في كليّته، وإلى صون ذاكرته الحضارية للأجيال القادمة.

الخاتمة

من خلال ما تم تناوله في مقياس مدخل الى الأنثروبولوجيا، يتضح أهمية هذا العلم من خلال ما يتسم به من خصائص تؤهله أن يكون جدير بالاهتمام، من خلال ما قدم من دراسات علمية أكاديمية في سبيل خدمة الانسان والمجتمع ككل، من خلال العمل على تكوين معرفة بالشعوب وثقافتها ونمط عيشها وطرق تفكيرها، وهذا ما توضح لنا خلال نشأة هذا العلم في المراحل الأولى، كان عبارة عن كتابات نشأت من خلال الرحالات ومشاهدات لعادات وتقاليد المجتمعات المختلفة، برزت نتيجة اهتمام من ذوي المفكرين والرحالة غير إن الإرهاصات التي تبلورت خلال القرون الأخيرة والمتمثلة في الدراسات العلمية أدى بذلك انتقال الفكر الأنثروبولوجي مع بداية النصف الثاني من القرن 20 في الدراسات الاجتماعية والثقافية من البحوث التاريخية والتطورية إلى الميدانية (الحقلية)، وأصبحت الأنثروبولوجيا علما قائما بذاته، له مناهجه ومواضيعه وأهدافه، وأخذ يتطور تباعا للتطور الذي حدث على المجتمعات البدائية، واتسع نطاقه الآن إلى دراسة قرى الفلاحين، بما فيها الأوروبية، وكذلك البيئات الصناعية، والمدن في المجتمعات النامية، والشركات المتعددة الجنسيات...، كما تنوعت فروع الأنثروبولوجيا وتشابكت وعلم البيولوجيا، وصولا إلى دراسات الحياة الاجتماعية للشعوب المعاصرة، الريفية والحضرية.

قائمة المراجع:

- إبراهيم ابراش (2009): المنهج العلمي وتطبيقاته في العلوم الاجتماعية، ط1، دار الشروق، عمان، الأردن.
- أبو القاسم سعد الله(1998): تاريخ الجزائر الثقافي، ج6، ط1، دار الغرب الإسلامي، الجزائر.
- أبو زيد أحمد (1998): مقدمة في الأنثروبولوجيا الاجتماعية، دار المعارف، القاهرة، مصر.
- أحمد زكي بدوي (2009): معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية إنجليزي-فرنسي-عربي، مكتبة لبنان، لبنان.
- أسامة عبد الرحمان النور، أبوبكر يوسف شلابي(2002): الاتجاهات النظرية في الانثروبولوجيا، مجلة الآثار والانثروبولوجيا السودانية (أركماني)، العدد 2، متوفرة على موقع: https://kosharkamani.blogspot.com/2017/03/blog-post_10.html
- ألسندرو، دورانتي (2013): الأنثروبولوجيا الألسنية، ترجمة: فرانك درويش، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان.
- إيفانز بريتشارد(1960): الأنثروبولوجيا الاجتماعية (علم الانسان الاجتماعي)، ترجمة: أحمد أبوزيد، منشأة المعارف، الإسكندرية، مصر.
- بوحسون العربي(2010): بين التاريخ والانثروبولوجيا: دراسة في الانثروبولوجيا الاستعمارية، مجلة المغاربية للدراسات التاريخية والاجتماعية، مجلد 2، العدد1، ص163-173.
- بيار بونت وميشال أيزار وآخرون (2011): معجم الإثنولوجيا والأنثروبولوجيا، ترجمة: مصباح الصمد، ط2، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.
- بيرتي ج بيلتو (2010): دراسة الانثروبولوجيا المفهوم والتاريخ، ترجمة: كاظم سعد الدين، سلسلة ثقافية، العدد 24، بيت الحكمة، بغداد، العراق.
- توماس هايلاند ايروكسون، فين سيفرت نيلسون (2013): تاريخ النظرية الأنثروبولوجية، ترجمة: لاهاي عبد الحسين، دار أوما، العراق.
- توماس هيلان إريكسن، فين سيفرت نيلسن (2014): تاريخ الأنثروبولوجيا، ترجمة: عبده الريس، ط1، العدد 2152، المركز القومي للترجمة، القاهرة، مصر.
- جاستون بوتول (2021): تاريخ علم الاجتماع، ترجمة: غنيم عبدون، دار الكتب المصرية، مصر.
- جاك لومبار(1997): مدخل الى الأنثروبولوجيا، ترجمة: حسن قبيسي، ط1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المملكة المغربية.

- الجسماني عبد العال (1992): علم النفس وتطبيقاته الاجتماعية، الدار العربيّة للعلوم، بيروت.
- جورج بلانديه (2007): الأنثروبولوجيا السياسية، ترجمة: علي المصري، ط2، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت.
- حسن شحاتة سعفان (1966): علم الإنسان (الأنثروبولوجيا)، مكتبة لعرفان، بيروت.
- حسين عبد الحميد أحمد رشوان (2003): الأنثروبولوجيا في المجالين النظري والتطبيقي، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، مصر.
- حسين فهيم (1986): قصة الأنثروبولوجيا–فصول في تاريخ علم الإنسان–، العدد 98، عالم المعرفة، الكويت.
- دحماني سليمان (2022): نشأة الأنثروبولوجيا الاقتصادية وجدل الشكلانيين والجوهرانيين، مجلة مجتمع تربية عمل، مجلد 07، العدد 01، ص50–58.
- رباب رسلان وآخرون(2023): الأنثروبولوجيا: قراءة تحليلية–نقدية في سياقاتها التاريخية، مناهجها، نظرياتها، ومبانيها–، ط1، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية، العراق.
- رجاء وحيد دويدري(2000): البحث العلمي–أساسياته النظرية وممارسته العلمية–، ط1، دار الفكر، دمشق، سورية.
- روبرت ايمرسون وآخرون (2010): البحث الميداني الاثنوغرافي في العلوم الاجتماعية، ترجمة: هناء الجوهري، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، مصر.
- روبرت لوي (2007): تاريخ الأنثروبولوجيا–من البدايات حتى الحرب العالمية الثانية–، ترجمة: نظير جاهل، ط2، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت.
- زيدان عبد الكافي كفافي (2004): المدخل إلى علم الآثار، مؤسسة حمادة للدراسات الجامعية والنشر والتوزيع، الأردن.
- سعاد علي حسن شعبان (2004): الأنثروبولوجيا الثقافية لإفريقيا، معهد البحوث والدراسات الإفريقية، جامعة القاهرة، مصر.
- سعيدي محمد (2013): الأنثروبولوجيا مفهومها وفروعها واتجاهاتها، دار الخلدونية، الجزائر.
- سوتيريوس سارانتاكوس (2017): البحث الاجتماعي، ترجمة: شحدة فارع، ط1، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، لبنان.
- السيد حافظ الأسود(2002): الأنثروبولوجيا الرمزية–دراسة نقدية للاتجاهات الحديثة في فهم الثقافة وتأويلها–، منشأة المعارف، الإسكندرية، مصر.

- سيكوك قويدر، قريصات الزهرة (2014): إشكالية المنهج في البحوث الأنثروبولوجية، مجلة الحوار الثقافي، مجلد03، العدد01، ص105-114.
- شارلوت سيمور سميث (1992): موسوعة علم الإنسان-المفاهيم والمصطلحات الأنثروبولوجية، ترجمة: علياء شكري وآخرون، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، مصر.
- شاكر مصطفى سليم (1981): قاموس الأنثروبولوجيا إنجليزي-عربي، ط1، جامعة الكويت.
- صلاح أحمد مراد، أمين علي سليمان (2005): الاختبارات والمقاييس في العلوم النفسية والتربوية ط2، دار الكتاب الحديث، القاهرة، مصر.
- عاطف وصفي (1971): الأنثروبولوجيا الثقافية-دراسة ميدانية للجالية الإسلامية بمدينة ديربورن الأمريكية-، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان.
- عامر مصباح (2010): علم الاجتماع الرواد والنظريات، ط1، دار الأمة، الجزائر.
- عامر مصباح (2010): علم الأنثروبولوجيا، دار الكتاب الحديث، القاهرة، مصر.
- عبد الهادي التازي (2002): ابن بطوطة أمير الرحالة، الدار المصرية اللبنانية، مصر.
- العثمان وسام (2002): المدخل إلى الأنثروبولوجيا، ط1، مطبعة الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا.
- عصام محمد منصور (2016): المدخل إلى علم الاجتماع، ط1، دار الخليج، الأردن.
- عطيل لموالدي عواطف(2016): محاضرات في الانثروبولوجيا-دعم بيداغوجي لطلاب علم الاجتماع، موجهة الى طلبة السنة الثانية علم الاجتماع، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، قسم علم الاجتماع، جامعة الشاذلي بن جديد، الطارف.
- علي أسعد وطفة (2011): علم الإنسان "الأنثروبولوجيا"-علم في طور الارتقاء-، مجلة المركز العربي للتعريب والترجمة، العدد 41، دمشق، ص97-131.
- علي الجابري (1997): الأنثروبولوجيا-علم الأناسة، منشورات جامعة دمشق، سوريا.
- علي حسن(1993): الموجز في علم الآثار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر.
- علي عبد الله الجباوي (1996): الفكر الأنثروبولوجي في التراث الفكري العربي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، القاهرة، مصر.
- عماد عبد الرحيم الزغول، علي فالح الهنداوي (2014): مدخل إلى علم النفس، ط8، دار الكتاب الجامعي، الإمارات العربيّة المتحدة.

- عمار بوحوش، محمد محمود الذنيبات (2007): مناهج البحث العلمي وطرق إعداد البحوث، ط4، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر.
- عميرات محمد أمين، جمال الدين بابا(2025): الأنثروبولوجيا الرمزية بالفن التشكيلي الشّعبي، مجلة إحالات، المجلد 7، ص72-82.
- عويشة بوزيد (2022): الأنثروبولوجيا السياسية: بحث في دلالة المفهوم، مجلة أنثروبولوجية الأديان، المجلد 18، العدد 01، ص894-911.
- عيسى الشمّاس (2004): مدخل إلى علم الإنسان (الانثروبولوجيا)، مكتبة التنوير، دمشق، سوريا.
- عيسى محمد علي (2005): مناهج البحث الأنثروبولوجي، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان.
- غلين دانيال(2000): موجز تاريخ علم الآثار، ترجمة: عباس سيد أحمد محمد علي، ط1، دار الفيصل الثقافية، الرياض، المملكة العربية السعودية.
- فاروق أحمد مصطفى وآخرون (2013): مدخل إلى الأنثروبولوجيا (علم الإنسان)، دار المعرفة الجامعية، جامعة الإسكندرية، مصر.
- فاروق مصطفى إسماعيل (1980): الأنثروبولوجيا الثقافية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الإسكندرية، مصر.
- فوزي غرايبة وآخرون (1981): أساليب البحث العلمي في العلوم الاجتماعية والإنسانية، ط2، الجامعة الأردنية، عمان، الأردن.
- فيليب لايورت-توالرا، جان بيار فارنييه (2004): إثنولوجيا أنثروبولوجيا، ترجمة: مصباح الصمد، ط1، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والتوزيع والنشر، بيروت.
- قباري محمد إسماعيل (1971): الأنثروبولوجيا العامة، منشأة المعارف، الإسكندرية، مصر.
- مارك أوجيه، جان بول كولاين (2008): الأنثروبولوجيا، ترجمة: جورج كتوره، ط1، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان.
- مازن مرسول محمد (2015): الأنثروبولوجيا نحو أناسة ممنهجة، مجلة أنثروبولوجيا، مجلد 1، العدد 1، ص106-129.
- محمد أبو زيد (2001): أعلام الفكر الاجتماعي والأنثروبولوجي الغربي المعاصر، ج1، دار غريب، القاهرة، مصر.
- محمد الجوهري وآخرون (2004): الأنثروبولوجيا الاجتماعية قضايا الموضوع والمنهج، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر.

- محمد الجوهري وآخرون (2007): مقدمة في دراسة الأنثروبولوجيا، الدار الدولية، القاهرة، مصر.
- محمد الخطيب (2005): الأنثروبولوجيا الاجتماعية، دار علاء الدين، دمشق، سوريا.
- محمد حسن غامري (1991): مقدمة في الأنثروبولوجيا العامة "علم الإنسان"، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.
- محمد حسن غامري (1991): مقدمة في الأنثروبولوجيا العامة" علم الانسان"، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.
- محمد ذرذاري (2019): الأنثروبولوجيا الحضرية: أي حدود لمقاربة الإنسان؟، مجلة العلوم الاجتماعية، المجلد 5، العدد 2، ص107-127.
- محمد سعيدي(2015): الانثروبولوجيا والتراث الشعبي في الجزائر: تاريخ ومسارات، موقع السفير العربي، متوفر على موقع:https://assafirarabi.com/ar/4440/2015/12/03/
- محمد نادية (2006): البحث الأركيولوجي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر.
- مختار رحاب (2014): مناهج وتقنيات البحث الأنثروبولوجي في موضوع أسماء الأعلام L'anthroponymie، مجلة العلوم الاجتماعية، العدد93، ص1-11.
- مصطفى تيلوين (2011): مدخل عام في الانثروبولوجيا، ط1، دار الفارابي، بيروت، لبنان.
- مصطفى عمر وآخرون (2008): قضايا العلوم الإنسانية إشكالية المنهج، الهيئة العامة لقصور الثقافة، سلسلة والعلم (1)، مصر.
- نعيم حبيب جعنيني (2009): علم اجتماع التربية المعاصر بين النظرية والتطبيق، ط1، دار وائل للنشر، عمان، الأردن.
- نورة قنيفة، جمال تالي(2023): علم الاجتماع في الجزائر (قراءات في الممارسة والتفكير)، مجلة الآداب، العدد164، ص507-526.
- وسام العثمان (2002): المدخل الى الأنثروبولوجيا، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا.
- يحي مرسي عيد بدر (2007): أصول علم الإنسان-الأنثروبولوجيا-، ج1، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، مصر.
- Benedict, R. (1934). Patterns of Culture. Boston: Houghton Mifflin.
- Boas, Franz (1938): The Mind of Primitive Man. New York: The Macmillan Company.
- Claude Riviére (2013) : introduction à l'anthropologie, Hachette Education, France.
- Eriksen, T. H., & Nielsen, F. S (2013): A History of Anthropology. Pluto Press.

- Goodenough, Ward H (1971): Culture, Language, and Society. Reading, MA: Addison-Wesley.
- Haviland, W. A (2003): Cultural Anthropology (10th ed.), Wadsworth/Thomson Learning.
- Haviland, William A (2013): Cultural Anthropology. 14th ed. Belmont: Wadsworth.
- Herskovits, M. J (1955): Cultural Anthropology. New York: Knopf.
- Keesing, Roger M (1976): Cultural Anthropology: A Contemporary Perspective. New York: Holt, Rinehart & Winston.
- Kluckhohn, C (1951). Values and Value-Orientations in the Theory of Action. In T. Parsons & E. Shils (Eds.), Toward a General Theory of Action, Harvard University Press.
- Kottak, Conrad Phillip (2017): Cultural Anthropology: Appreciating Cultural Diversity. 18th ed. New York: McGraw-Hill.
- Kroeber, A. L (1957): Style and Civilization. Ithaca, NY: Cornell University Press.
- Kroeber, A. L., & Kluckhohn, C (1952): Culture: A Critical Review of Concepts and Definitions. Cambridge, MA: Harvard University Press.
- Kuper, A (1996): Anthropology and Anthropologists: The Modern British School, Routledge, London.
- Lévi-Strauss, C (1962) : La pensée sauvage, Plon, Paris.
- Lévi-Strauss, Claude (1966): The Savage Mind. Chicago: University of Chicago Press.
- Mead, Margaret (1935): Sex and Temperament in Three Primitive Societies. New York: Morrow.
- Signorelli, A (1996) : Antropologia culturale : storia e problemi, Laterza, Roma.
- Trigger, Bruce G. (2006): A History of Archaeological Thought, 2nd ed, Cambridge University Press.
- watwick D,& samucl osherson (1973):Comparativ Research/methods,NJ prenticc Hail.